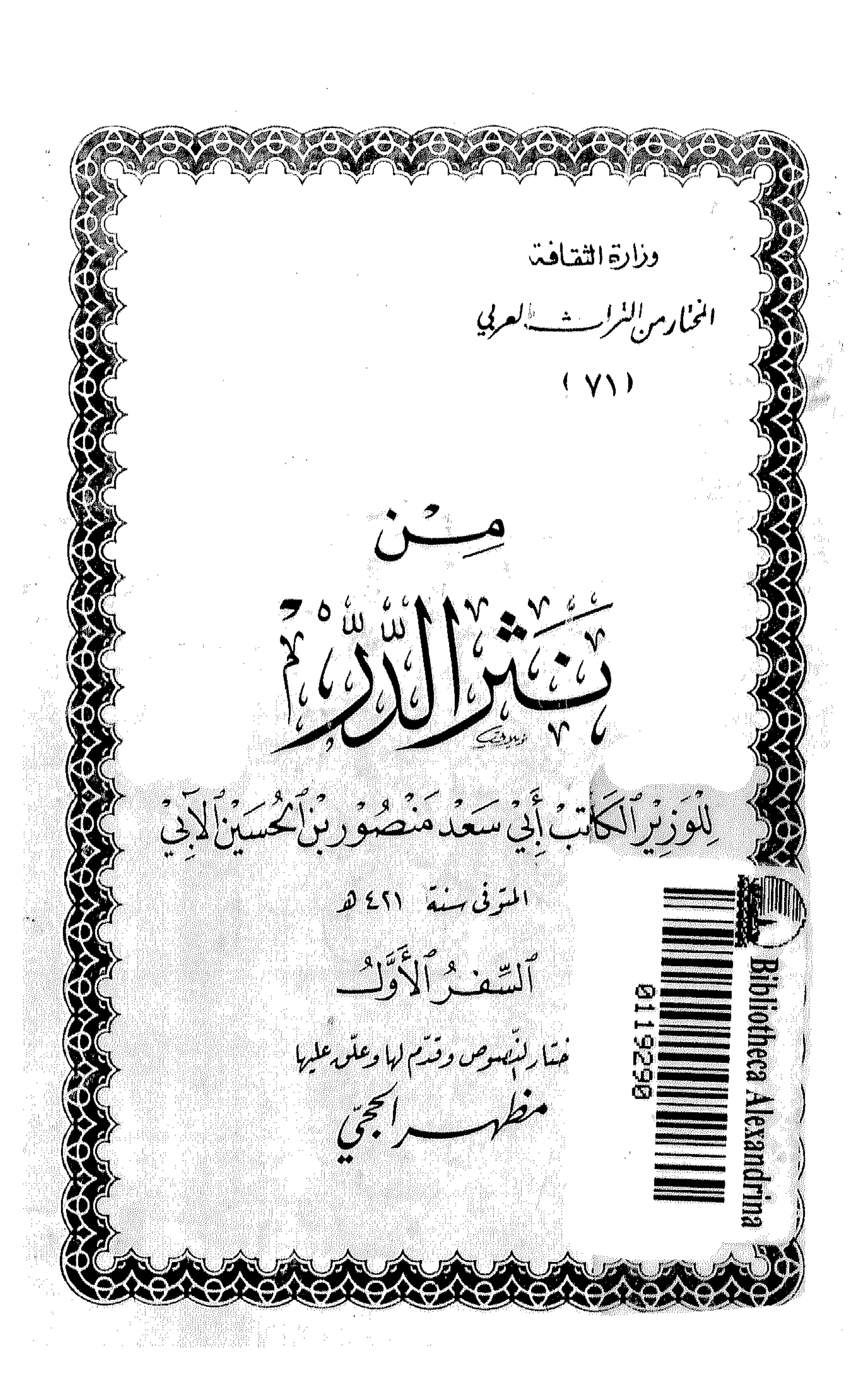


وزارة الثقافة
المختار من التراث العربي
(٧١)
من
نثر الدر
للوزير الكاتب أبي سعد منصور بن الحسين الآبي
المتوفى سنة ٤٢١ هـ
السفر الأول
اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها
مظهر الحجي

الاشراف الفني : زهير الحمو

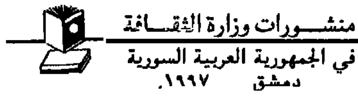
وِزَارَةُ الثَّقَافَة
المُخْتَارُ مِنَ التُّرَاثِ العَرَبِي
- ٧١ -

مِن نَثْرِ الدُّرِّ

لِلوَزِيرِ الكَاتِبِ أَبِي سَعْدٍ مَنْصُورِ بنِ الحُسَينِ الآبِي
المتوفى سنة ٤٢١ هـ

السِّفْرُ الأَوَّلُ

اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها
منظر الحجي



منشورات وزارة الثقافة
في الجمهورية العربية السورية
دمشق ١٩٩٧.

من نثر الدر / أبو سعد منصور بن الحسين الآبي ،
اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها مظهر الحجي . -
دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٧ . - ٤ ج ؛ ٢٠ سم . -
(المختار من التراث العربي ؛ ٧١ - ٧٤) .

١- ٨١٨,٠٢ س ع د م ٢- العنوان
٣- أبو سعد الآبي ٤- الحجي ٥- السلسلة
مكتبة الأسد

الايداع القانوني : ع - ٤٤١ / ٣ / ١٩٩٧

المقدمة



يعد كتاب «نثر الدر» واحداً من أمهات كتب الاختيارات في الأدب العربي القديم، ومصدراً قيّماً من مصادر الأدب والتاريخ العربيين، وهو وإن لم يحظ بشيوع الذكر كغيره من المصادر أمثال العقد الفريد أو أدب الكاتب إلا أنه لا يقل عنها أهمية، بل إنه يبذها مجتمعة بمنهجه المتميز الذي اعتمده الكاتب في ترتيب موضوعاته؛ كما أنه يلتقي معها بموضوعاته التي تضمنت الكثير من المأثورات الأدبية والإشارات التاريخية والأخبار والنوادر والتراجم وألوان الجدّ والهزل والخطب والرسائل والحكمة والمثل، وقد رتبت هذه الموضوعات وفق تسلسل زمني محكم وامتدت حتى أواخر العصر العباسي.

مؤلف الكتاب:

ولد الوزير الكاتب أبو سعد منصور بن الحسين الآبي في «آبة» وإليها نسب، وهي قرية من قرى أصفهان. ولا تذكر المصادر شيئاً عن زمن ولادته، شأنه في ذلك شأن الكثيرين من الأعلام الذين لا تهتم بهم كتب التراجم إلا بعد نبوغهم واشتهارهم بفن من الفنون أو علم من العلوم. وليس بين أيدينا الكثير لنتعرف إلى أسرته، ويبدو أنها لم تكن بالأسرة المغمورة تماماً أو القليلة الشأن، وعلى الرغم من أن المصادر لا تذكر شيئاً

عن أبيه فإنها تذكر الكثير عن أخيه أبي منصور الذي كان من عظماء الكتّاب وكبار الوزراء وقد ولي الوزارة للملك طبرستان.

ومن الراجح عندي أن الآبي نشأ كغيره من الأدباء في رعاية المعلمين ثم صحون المساجد وتلقى علوم عصره على أيدي علماء أجلاء، فحصل ووعى.

وعندما انتقل في حياته الراشدة إلى التأليف والكتابة صرح في كتبه بأسماء عدد من العلماء الشيوخ الذين تأثر بهم ونقل عنهم، فذكر الجاحظ والمبرد والصولي وابن قتيبة، كما كان صديقاً للصاحب بن عباد وعنه روى الكثير.

لقد امتدت حياة الوزير الآبي بين القرنين الرابع والخامس الهجريين، وهذه المرحلة تعد من أهم المراحل في تاريخ أمتنا العربية الإسلامية، لأنها تمثل عصر القمة والتألق على صعيد الحضارة والفكر والعلوم والأدب. لقد استوعبت الأمة الإسلامية ثقافات الأمم القديمة ونقلتها ثم صهرتها في بوتقتها وطبعتها بطابعها العربي الإسلامي، وإن نظرة واحدة إلى أسماء الأعلام الذين عاشوا في تلك الفترة تؤكد ما ذهبنا إليه.

لقد كان الوزير الآبي واحداً من هؤلاء الأعلام، وإن آثاره تدل على إنه كان أديباً موسوعياً واسع الاطلاع متمثلاً

لعلوم عصره، ولكنه لا يتميز بآراء خاصة أو بحوث فكرية كالجاحظ في موازناته وتحليلاته أو ابن قتيبة في بحوثه ودراساته.

ولم يقف الأديب الوزير عند حدود التأليف بل اقتحم عالم الأدب المبدع فكان شاعراً حسن الشعر، وإن لم يكن ممتازاً، مع ميل ظاهر فيه للمجون، كما كان كاتباً ناثراً، وكان نثره جيداً بليغاً يميل فيه إلى السجع مع تزيينه ببعض المحسنات على نمط أسلوب النثر الشائع في عصره والذي يتمثل في مدرسة ابن العميد.

أما آثاره التي تركها للمكتبة العربية الإسلامية فليست بالكثيرة ولكنها تدل على تميّز وغزارة وشمول، وهي: «نثر الدر» و«الأنس والعرس» و«تاريخ الري».

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن بعد هذا الحديث عن الوزير الأديب هو: أين يقف الوزير السياسي في عالم السياسة؟

لم يذكر مترجمو الآبي أي أثر من آثاره وزيراً واكتفوا بذكر آثاره الأدبية أما المؤرخون كابن الأثير وابن كثير فإنهم يمرون على عهده دون إشارة إلى اسمه مما يدل على أنه لم يكن وزيراً قوياً أو سياسياً متميزاً. كان عصره عصر اضطراب وقلق

وصراعات وفتن بين الدويلات التي تنضوي اسمياً تحت راية الدولة العباسية. وكان هذا العصر يحتاج إلى شخصية سياسية متمرسة محنكة، ولم يكن الآبي هذه الشخصية، كما لم يكن سلطانه كذلك أيضاً.

لقد وزر الآبي للسلطان مجد الدولة في إقليم الريّ، ولكن السلطان الفعلي لم يكن مجد الدولة بل أمه التي قبضت عليه وسجنته حينما سولت له نفسه أن يشق عصا الطاعة عليها، ثم أعادته إلى الحكم شخصية ضعيفة لا حول لها ولا طول. وقد اختلّت أمور الريّ بعد وفاة أم مجد الدولة وتمرد عليه جنوده، ولكن السلطان الضعيف بقي منصرفاً إلى قراءة كتب الأدب وتأمل رقعة الشطرنج حتى انتهى ملكه على أيدي الغزنويين.

لقد تأثر السلطان بوزيره الأديب أو صادفت اهتماماته الأدبية هوى في نفسه ولو كان الوزير غير الآبي، من ذوي الكفايات، لكان له دور بارز في مثل هذه الظروف تحت ظل حكم يوائم مذهبه الشيعي، ولكن الأحداث مجتمعة تدل على أن ملكة الأدب غلبت على الآبي، فلم يكن بالوزير القوي.

وما قيل عن الآبي الوزير يقال عن الآبي الشيعي المذهب. فقد كان شيعياً مؤمناً بمذهبه ولكنه لم يكن متعصباً له

ولا داعياً من دعاته على الرغم من موقعه في عالم الأدب والسياسة. لقد أجمع الذين ترجموا له على مدحه، رغم اختلاف ميولهم السياسية والمذهبية، كما أغفلت كتب الشيعة ذكر اسمه في قائمة الدعاة العاملين في حقل الدعوة المذهبية. لقد كان أديباً معتدلاً في مذهبه منصفاً في آرائه وأحكامه وهو وإن كان يذكر آل البيت في كتابه بكثير من التعظيم والإجلال فإنه يذكر بقية الصحابة بكثير من الاحترام والتوقير.

منهج الكتاب:

ليس في الكتاب جديد من حيث نوع التأليف الأدبي، ولكن الجديد فيه والمنهج المميز له هو الشكل الذي اختاره المؤلف، وسنوجز منهجه بالملاحظات التالية:

آ- قصد الآبي -كما صرح في مقدمة كتابه- أن يخلو الكتاب من الخطب والقصائد الطوال وأن يكون مجموعة أقوال بليغة وطريفة وغير مترابطة بحيث يصدق عليه عنوان «نثر الدر».

ب- اتبع الآبي بعض من سبقه في التأليف الأدبي، كالجاحظ وابن قتيبة، في مزج الجد بالهزل ترويحاً عن النفس واستدراجاً للقارئ، ولكنه خصص للهزل والمحون أبواباً في كل فصل، وأخلى الفصل الأول منه رعاية للقرآن الكريم

والحديث الشريف، وآل البيت، ولكن هذا الفصل لم يخل من بعض الدعابة اللطيفة.

جـ- جعل المؤلف الشخصية محوراً للأقوال والأخبار، وقدم لكل فصل مقدمة اشتملت على أبوابه كلها. وعلى الرغم من أنه لا يوجد بين هذه الأقوال جامع يربطها إلا بلاغتها أو طرافتها، فإنها في مجموعها تفيد في فهم الشخصية والإحاطة بجوانبها المختلفة.

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أن الكتاب ليس كتاب تراجم ككتب الطبقات المعروفة، لأن المؤرخين جعلوا للحوادث الأهمية الأولى وللأقوال الأهمية الثانية، أما الآبي فقد عكس هذا المنهج. فالأقوال هي الهدف الأول، والحوادث تابعة لها.

د- بدأ المؤلف خطوة جديدة في سرد الآيات القرآنية وأنشأ شبه فهرسة لموضوعاتها. ومع أنه لم يستوعب الموضوعات كلها ولا الآيات التي في الموضوع الواحد، فإن ما فعله كان خطوة جديدة تابعها بعض المستشرقين في عصرنا الراهن أمثال «لابوم» في كتابه «تفصيل آيات القرآن الكريم».

هـ- اختار الأحاديث النبوية الشريفة بذوق الأديب، لا بعقلية المحدّث، فاهتمامه بالطرافة أكثر من اهتمامه بالإسناد.

موضوعات الكتاب وأبوابه:

يقول ابن قتيبة: «من أراد أن يكون عالماً فليزم فناً واحداً، ومن أراد أن يكون أديباً فليتوسع.» وقد اختار الوزير الآبي أن يكون أديباً وجاء كتابه الموسوعي ليدل على سعة اطلاعه على المعارف الأدبية وما تستلزمه من روافد ثقافية ومعرفية. فأنت واجد في «نثر الدر» التاريخ والتراجم والأخبار والطرائف والخطب والأحاديث والتفسير وبعض الشعر.

يقول الوزير الآبي في مقدمة كتابه: «واقتصرت فيما أوردته فيه على الفقر الفصيحة والنوادر المليحة، والمواعظ الرقيقة والألفاظ الرشيقة، وأخليته من الأشعار ومن الأخبار الطوال التي تجري مجرى الأسماء. وسميته «نثر الدر» فلا يُعثر فيه من النظم إلا بالبيت الشارد والمصراع الواحد الذي يرد في أدراج الكلام، يتم به مقطعه، وأثناء خطاب يحسن منه موقعه. وهو كتاب ينتفع به الأديب المتقدم كما ينتفع به الشادي المتعلم، ويأنس به الزاهد المتنسّك، كما يأنس به الخليع المتهتّك، ويحتاج إليه الملك في سياسة ممالكه كما يحتاج إليه المملوك في خدمة مالكه وهو نعم العون للكاتب في رسائله وكتبه وللخطيب في محاوراته وخطبه، وللواعظ في إنذاره وتحذيره وللقاضي في

إذكاره وتبصيره وللزاهد في قناعته وتسليته وللمتبتّل في نزاهته وتخليته. فأما النديم فغير مستغن عنه في مسامرة رئيسه، وأما المُلْهِي فمضطر إليه عند مضاحكته وتأنيسه. وقد جعلته سبعة فصول يشتمل كل فصل على أبواب يتشابه ما فيها وتتقارب معانيها وذكرت أبواب الفصول في أوائلها ليقرب الأمر فيه على متناولها.» اهـ.

وإليك أبواب الكتاب كما أوردها المؤلف وبإيجاز:

الجزء الأول: ويشتمل على خمسة أبواب هي: ١- آيات من القرآن الكريم بألفاظ متشابهة ونظائر متشاكله. ٢- ألفاظ من الحديث الشريف موجزة فصيحة. ٣- نكت من كلام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام. ٤- نكت من كلام الأئمة من ولد عليّ رضي الله عنهم والأشراف من أهل بيته. ٥- نكت من كلام سادة بني هاشم.

الجزء الثاني: ويشتمل على عشرة أبواب هي:

١- كلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ٢- كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ٣- كلام عثمان بن عفان رضي الله عنه. ٤- كلام سائر الصحابة رضي الله عنهم. ٥- كلام عمر بن عبد العزيز رحمه الله. ٦- مزح الأشراف والأفاضل.

٧- الجوابات المستحسنة جداً وهزلاً ٨- نوادر المتنبئين. ٩- نوادر المدينيين. ١٠- نوادر الطفيليين والأكلة.

الجزء الثالث: ويشتمل على ثلاثة عشر باباً هي:

١- كلام معاوية بن أبي سفيان وولده. ٢- كلام مروان بن الحكم وولده. ٣- كلام خلفاء بني العباس. ٤- كلام جماعة من بني أمية. ٥- نكت من كلام الزبيريين. ٦- نوادر أبي العيناء ومخاطباته. ٧- نوادر مُزَبِّد. ٨- نوادر أبي الحارث جُمَّين. ٩- نوادر الجماز. ١٠- نوادر المجانين. ١١- نوادر البخلاء. ١٢- كلام الشطّار. ١٣- العيّ ومخاطبات الحمقى.

الجزء الرابع: ويشتمل على أحد عشر باباً هي:

١- كلام شرائف النساء. ٢- نكت من كلام سائر نساء العرب وجواباتهن المستحسنة. ٣- الحيل والخدائع. ٤- نكت من كلام الحكماء. ٥- الحكم والآداب التي جاءت على لفظ الأمر والنهي. ٦- الحكم والأمثال. ٧- نكت من سياسة السلطان وأدب الرعية. ٨- نوادر الجواري والنساء المواجن. ٩- نوادر القُصَّاص. ١٠- نوادر القضاة. ١١- نوادر لأصحاب النساء والزُّناة والزَّواني.

الجزء الخامس: ويشتمل على اثنين وعشرين باباً هي:

١- كلام زياد وولده. ٢- كلام الحجّاج. ٣- كلام الأحنف بن قيس. ٤- كلام المهلب وولده. ٥- كلام أبي مسلم. ٦- كلام جماعة من أمراء الدولتين. ٧- توقيعات وفصول للوزراء والكتاب. ٨- كلام القضاة في الدولتين. ٩- كلام الحسن البصري. ١٠- نكت من كلام الشيعة. ١١- كلام الخوارج. ١٢- الغلط والتصحيف. ١٣- نوادر في اللحن والنحو. ١٤- نوادر للمخنثين. ١٥- نوادر اللاطة. ١٦- نوادر البغّائين. ١٧- نوادر جُحَا. ١٨- نوادر أشعب. ١٩- نوادر السُّؤَّال. ٢٠- نوادر المعلمين. ٢١- نوادر الصبيان. ٢٢- نوادر العبيد والمماليك.

الجزء السادس: وقد جعله في قسمين واشتملا على ستة عشر بابا وهي:

آ- أبواب القسم الأول: ١- نكت من كلام فصيح الأعراب. ٢- فقر وحكم للأعراب. ٣- أدعية وكلام لسُؤَّال الأعراب. ٤- أمثال العرب.

ب- أبواب القسم الثاني: ٥- النجوم وأنواعها على

مذهب العرب . ٦- أسجاع الكهان العرب . ٧- أوابد العرب . ٨- وصايا العرب . ٩- أسامي أفراس العرب . ١٠- أسامي سيوف العرب . ١١- نوادر الأعراب . ١٢- أمثال العامة والسِّفل . ١٣- نوادر أصحاب الشراب والسكارى . ١٤- أكاذيب العرب وغيرهم . ١٥- نوادر المجّان . ١٦- نوادر في الضراط والفساء .

طريقتي في هذه الاختيارات:

لقد أردت من ذكر أجزاء الكتاب وأبوابها أن أقدم للقارئ صورة الكتاب كاملة ، كما توخيّت في اختياراتي المحافظة على روح الكتاب وأبوابه كما أوردها المؤلف ، وأوردت النصوص المختارة كاملة غير منقطعة عن سياقها كي يفيد منها القارئ ويستأنس بها الباحث ، وأضأت النصوص ببعض الشروح والضبط عندما كنت أجد أن النص قد يستغلق على قارئه . واعتمدت في اختياراتي هذه على نسخة صادرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب- مركز تحقيق التراث وإن القارئ لهذه النسخة يكتشف الجهود الجليلة التي بذلها محققوا الكتاب في إخراجه من ظلام مكتبات المخطوطات إلى نور الطباعة ، فكان عملهم منهجياً علمياً موثقاً يدل على سعة العلم وغزارة الاطلاع .

وبعد فإنني أقدم هذه الاختيارات إلى قراء العربية والناطقين بها والمحبين لنفائس الأدب العربي وذخائره آملاً أن يكون هذا العمل إسهاماً متواضعاً في شد أواصر القربى بين العرب الذين لم يبق لهم من أواصر سوى أصرة اللغة، كما آمل أن أنبه القراء على سفر أدبي جليل وكنز من كنوز الثقافة العربية.

إنني أتقدم بشكري الجزيل إلى كل من ساهم في إخراج هذا الكتاب إلى النور. والله ولي التوفيق.

مظهر رشيد الحجّي

حمص ٢٢ ذي الحجة ١٤١٤ هـ

الموافق للأول من حزيران ١٩٩٤م

البـــاب الأول(*)

(*) الجزء الأول من نثر الدر.



فيه النظائر من القرآن الآيات التي ذكر فيها التقوى، وهي أول ما تفتتح بها العهود، ويصدر بالحث عليها المناشير والشروط:

﴿ وَإِيَّىٰ فَٱتَّقُونِ﴾[1].

﴿واتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً﴾[2].

﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[3].

﴿واتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4].

﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾[5].

﴿وتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الأَلْبَٰبِ﴾[6].

---

(١) سورة البقرة: ٤١.

(٢) سورة البقرة: ٤٨، ١٢٣.

(٣) سورة البقرة: ٦٣.

(٤) سورة البقرة: ١٨٩.

(٥) سورة البقرة: ١٩٦.

(٦) سورة البقرة: ١٩٧. والألباب: العقول.

﴿وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم﴾[1].

﴿واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون﴾[2].

* * *

الآيات التي فيها ذكر الصلاة

﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾[3].

﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾[4].

﴿واستعينوا بالصبر والصلوة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾[5].

---

(1) سورة البقرة: ٢٠٦. وأخذته العزة بالإثم: حملته على الإثم.

(2) سورة البقرة: ٢٠٣.

(3) سورة البقرة: ٣.

(4) سورة البقرة: ٤٣.

(5) سورة البقرة: ٤٥.

﴿وأقيموا الصَّلاة وءاتُوا الزَّكَوٰةَ وما تقدِّموا لأنفسكم من خيرٍ تجدوه عندَ الله إنَّ اللهَ بما تعملون بصير﴾[1].

﴿ياأيُّها الَّذين َأمنوا استعينوا بالصَّبرِ والصَّلاةِ إنَّ اللهَ مع الصَّابرين﴾[2].

﴿إنَّ الصَّلاةَ كانتْ على المؤمنينَ كتاباً موقوتاً﴾[3].

﴿فويلٌ للمصلِّينَ، الذينَ همْ عن صلاتهمْ ساهونَ﴾[4].

﴿فصلِّ لربِّكَ وانحرْ﴾[5].

* * *

---

(١) سورة البقرة: ١١٠.

(٢) سورة البقرة: ١٥٣.

(٣) سورة النساء: ١٠٣ - كتاباً موقوتاً: فرضاً محدود الأوقات.

(٤) سورة الماعون: ٤ - ٥.

(٥) سورة الكوثر: ٢.

التحميدات

﴿الحمدُ لله ربِّ العالمين﴾[1].

﴿الحمدُ لله الَّذي خلقَ السموات والأرضَ وجعلَ الظلمات والنورَ ثُمَّ الَّذين كفروا بربهمْ يعدلون﴾[2].

﴿فقُطِعَ دابرُ القومِ الَّذين ظلموا والحمدُ لله ربِّ العالمين﴾[3].

﴿وقالوا الحمدُ لله الَّذي هدانا لهذا وما كُنَّا لنهتديَ لولا أنْ هدانا الله﴾[4].

﴿وآخرُ دعواهمْ أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين﴾[5].

* * *

(١) فاتحة الكتاب: ١.

(٢) سورة الأنعام: ١. ويعدلون: يسوون به غيره من المخلوقات.

(٣) سورة الأنعام: ٤٥. قطع دابر القوم: قطع آخره. كنايه عن فنائهم جميعاً.

(٤) سورة الأعراف: ٤٣.

(٥) سورة يونس: ١٠. دعواهم: دعاؤهم.

آيات فيها ذكر الله تعالى

﴿الَّذي جعلَ لكمْ الأرضَ فراشاً والسَّماءَ بناءً وأنزلَ منَ السماء ماءً فأخرجَ بهِ منَ الثَّمراتِ رزقاً لَّكمْ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾[1].

﴿وهوَ الَّذي خلقَ السَّموات والأرضَ بالحقِّ ويومَ يقولُ كُنْ فيكُونُ قولهُ الحقُّ ولهُ الملكُ يومَ ينْفَخُ في الصُّور علامُ الغيبِ والشَّهادةِ وهوَ الحكيمُ الخبير﴾[2].

﴿وهوَ الَّذي أنزلَ منَ السماء ماءً فأخرجنَا به نباتَ كلِّ شيءٍ فأخرجنَا منهُ خَضِراً نُّخرجُ منهُ حبّاً متراكباً ومنَ النَّخلِ من طلعهَا قنْوانٌ دانيةٌ وجنَّاتٍ منْ أعنابٍ والزَّيتونَ والرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وغيرَ مُتَشَابِه انْظُرُوا إلى ثَمَرِه إذا أثمرَ وينْعِهِ، إنَّ في ذَلِكُمْ لآياتٍ لِّقَوْمٍ يؤمنون﴾[3].

---

(١) سورة البقرة: ٢٢.

(٢) سورة الأنعام: ٧٣.

(٣) سورة الأنعام: ٩٩. القنوان جمع قنو وهو عنقود الثمر.

﴿وهـو الَّذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم إنّ ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾[1].

﴿إنّ ربكم الله الَّذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثمّ استوى على العرش يغشي اللّيل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾[2].

﴿وهو الَّذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتّى إذا أقلّت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به من كلّ الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾[3].

* * *

(١) سورة الأنعام: ١٦٥.

(٢) سورة الأعراف: ٥٤.

(٣) سورة الأعراف: ٥٧. «سحاباً ثقالاً»: أي ثقالاً بماء المطر.

الأمثال

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذي استوقدَ ناراً فلمَّا أَضاءتْ ما حولَهُ ذهبَ اللهُ بنورِهِمْ وتركَهُمْ في ظُلماتٍ لا يُبصِرُونَ﴾[1].

﴿إنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾[2].

﴿مَثَلُ الَّذينَ ينفقونَ أموالَهمْ في سبيلِ اللهِ كَمَثَلِ حبَّةٍ أنبتَتْ سبعَ سَنابِلَ في كلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ واللهُ يُضاعِفُ لِمن يَشاءُ واللهُ واسِعٌ عَليمٌ﴾[3].

﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صفْوانٍ عليهِ تُرابٌ فأصابَهُ وابلٌ فتركَهُ صَلْداً لا يَقْدرونَ على شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا واللهُ لا يَهْدي القَوْمَ الكَافِرِينَ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة: ١٧، والحديث عن المنافقين.

(٢) سورة البقرة: ٢٦.

(٣) سورة البقرة: ٢٦١، واسع أي يسع جوده كل شيء.

(٤) سورة البقرة: ٢٦٤، الصفوان: الحجر الأملس. والوابل: المطر الغزير. والصلد: الصلب.

﴿إنَّ مثلَ عيسَى عندَ اللهِ كَمَثَلِ آدمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لهُ كن فيكونُ﴾[1].

﴿مَثَلُ ما يُنفقُونَ في هذهِ الحياةِ الدُّنيا كَمَثَلِ رِيحٍ فيها صِرٌّ أصابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ فَأهْلَكَتْهُ وما ظَلَمَهُمُ اللهُ ولكنْ أنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[2].

﴿إنَّما مَثَلُ الحياةِ الدُّنيا كَمَاءٍ أنزلناهُ مِنَ السَّماءِ فاخْتَلَطَ بهِ نباتُ الأرضِ ممَّا يأكلُ النَّاسُ والأنْعامُ حتَّى إذا أخذتِ الأرضُ زُخْرُفَهَا وازَّيَّنتْ وظنَّ أهلُهَا أنَّهمْ قادرونَ عليها أتاها أمْرُنا لَيْلاً أوْ نهاراً فَجَعَلْناها حَصِيداً كأنْ لَمْ تَغْنَ بالأمْسِ كَذلكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لقومٍ يَتَفَكَّرونَ﴾[3].

* * *

---

(١) سورة آل عمران: ٥٩.

(٢) سورة آل عمران: ١١٧، الصر: البرد الشديد.

(٣) سورة يونس: ٢٤.

الأمرُ بالعدلِ والإحسان

﴿إنَّ اللهَ يأمُرُ بالعَدْلِ والإحْسانِ وإيتَاءِ ذي القُربى وينْهى عنِ الفَحْشَاء والمُنكرِ والبَغْيِ يَعِظُكُمْ لعَلَّكُمْ تذكَّرون﴾[1].

﴿ياأيُّها الَّذين ءَامنُوا كُونوا قوَّامينَ بالقِسْطِ شهَدَاءَ لله ولوْ على أنْفُسكمْ أوِ الْوالِديْنِ والأقْربَين﴾[2].

﴿قلْ أمرَ ربِّي بالقِسْطِ﴾[3].

﴿ياأيُّها الَّذين آمنوا كُونوا قوَّامينَ لله شُهَدَاءَ بالقسْطِ ولا يَجْرِمنَّكُمْ شنَئَانُ قَومٍ على ألا تَعْدِلُوا اعْدلُوا هُوَ أقْرَبُ للتَّقْوَى﴾[4].

---

(١) سورة النحل: ٩٠.

(٢) سورة النساء: ١٣٥.

(٣) سورة الأعراف: ٢٩. بالقسط: بالعدل.

(٤) سورة المائدة: ٨. «لا يجرمنكم شنآن قوم»: لا يحملكم بغض قوم على الاعتداء عليهم.

﴿وأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بينكمُ اللهُ ربُّنا وربُّكمْ لنا أعْمالُنا ولَكُمْ أعمالُكُمْ لا حُجَّةَ بيننا وبينكُم﴾[1].

﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالقِسْطِ﴾[2].

﴿وأَقْسِطُوا إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ﴾[3].

* * *

الحُكمُ

﴿إنَّ اللهَ يَأمُرُكُمْ أنْ تؤَدُّوا الأمانات إلى أَهْلِها وإذا حَكَمْتُمْ بينَ النَّاسِ أنْ تَحكُمُوا بالعَدْلِ إنَّ اللهَ نعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إنَّ اللهَ كانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾[4].

---

(1) سورة الشورى: ١٥.

(2) سورة الحديد: ٢٥.

(3) سورة الحجرات: ٩. «وأقسطوا»: اعدلوا.

(4) سورة النساء: ٥٨.

﴿وإنْ حَكَمْتَ فَاحكُمْ بَيْنَهُمْ بِالقِسْطِ إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسطِين﴾[1].

﴿ومَن لَّمْ يَحكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئكَ هُمُ الكَافِرُون﴾[2].

﴿وَمَن لَّمْ يَحكُمْ بما أَنْزَلَ اللهُ فأُولئكَ هُمُ الظَّالِمون﴾[3].

﴿وَمَن لَّمْ يَحكُمْ بما أنزلَ اللهُ فأولئكَ هُمُ الفَاسِقُون﴾[4].

﴿وأنِ احكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ ولا تتَّبعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾[5].

﴿أَفَحُكْمَ الجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ومَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لقَوْمٍ يُوقِنُون﴾[6].

﴿اللهُ يَحكُمُ بينكُمْ يَومَ القِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فيه تَخْتَلِفُون﴾[7].

---

(١) سورة المائدة: ٤٢.

(٢) سورة المائدة: ٤٤.

(٣) سورة المائدة: ٤٥.

(٤) سورة المائدة: ٤٧.

(٥) سورة المائدة: ٤٩.

(٦) سورة المائدة: ٥٠.

(٧) سورة الحج: ٦٩.

﴿يا داوودُ إنَّا جَعَلْناكَ خَليفةً في الأرضِ فاحكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بالحَقِّ ولا تتَّبعِ الهَوَى فيُضِلَّكَ عن سَبيلِ اللهِ﴾[1].

* * *

ذكر الموازين

﴿والوَزْنُ يَوْمَئذٍ الحقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازينهُ فأولئكَ هُمُ المُفْلِحُونَ * ومَنْ خَفَّتْ مَوازينُهُ فأُولئكَ الَّذينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِما كَانُوا بآياتِنا يَظْلِمُونَ﴾[2].

﴿قدْ جاءَتْكُمْ بيِّنةٌ من ربِّكمْ فأَوْفُوا الكَيْلَ والميزانَ ولا تَبْخَسُوا النَّاسَ أشياءَهُمْ ولا تُفسِدوا في الأرضِ بعدَ إصْلاحِها ذلكمْ خيرٌ لكمْ إن كنتم مؤْمنين﴾[3].

---

(١) سورة ص: ٢٦.

(٢) سورة الأعراف: ٨ - ٩.

(٣) سورة الأعراف: ٨٥.

﴿ويَاقَوْمِ أَوْفُوا المِكْيَالَ والمِيزانَ بالقِسْطِ ولا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ولا تَعْثَوْا في الأرضِ مُفْسِدين﴾[1].

﴿وأَوْفُوا الكَيْلَ إذا كِلْتُمْ وزِنُوا بالقِسْطَاسِ المُسْتَقِيمِ ذلكَ خيرٌ وأحسنُ تأويلاً﴾[2].

﴿ونَضَعُ الموازينَ القِسْطَ ليومِ القيامةِ فلا تُظْلَمُ نفسٌ شيئاً وإنْ كانَ مِثْقَالَ حبَّةٍ من خَرْدَلٍ أتينا بها وكَفَى بنا حاسبين﴾[3].

﴿فمَنْ ثَقُلَتْ موازينُهُ فأولئكَ هُمُ المُفْلِحُون * ومَنْ خَفَّتْ موازينُهُ فأولئكَ الَّذينَ خَسِروا أنفسَهُمْ في جَهَنَّمَ خَالِدُون﴾[4].

* * *

(١) سورة هود: ٨٥. بالقسط: بالعدل.

(٢) سورة الإسراء: ٣٥.

(٣) سورة الأنبياء: ٤٧.

(٤) سورة المؤمنون: ١٠٢ - ١٠٣.

التّكليف

﴿لا يُكلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاّ وُسْعَها لَها ما كَسَبَتْ وعلَيها ما اكْتَسَبَتْ﴾[1].

﴿لا نُكلِّفُ نَفْساً إلاّ وُسْعَها وإذا قُلْتُمْ فاعْدِلُوا﴾[2].

﴿ولا نُكلِّفُ نَفْساً إلا وُسْعَها ولَدَينا كِتابٌ يَنْطِقُ بالحَقِّ وهمْ لا يُظْلَمُونَ﴾[3].

﴿لا يُكلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاّ ما آتاها سيَجْعَلُ اللهُ بعدَ عُسْرٍ يُسْراً﴾[4].

* * *

---

(١) سورة البقرة: ٢٨٦.

(٢) سورة الأنعام: ١٥٢.

(٣) سورة المؤمنون: ٦٢.

(٤) سورة الطلاق: ٧.

التحذير من الظلم

﴿واللهُ لا يُحبُّ الظَّالمين﴾[1].

﴿فَمَنْ عفَا وأَصلَحَ فأَجرُهُ على الله إنَّهُ لا يُحبُّ الظَّالمين﴾[2].

﴿وما للظَّالمينَ من أنصارٍ﴾[3].

﴿ولا تركنوا إلى الَّذينَ ظَلَمُوا فتمسَّكُمُ النَّارُ وما لَكُمْ مِنْ دونِ الله من أولياءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾[4].

﴿وما للظَّالمينَ مِنْ نَّصيرٍ﴾[5].

﴿بلِ اتَّبعَ الَّذينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بغَيْرِ علْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضلَّ اللهُ وما لَهُمْ مِن نَّاصرين﴾[6].

---

(١) سورة آل عمران: ٥٧، ١٤٠.

(٢) سورة الشورى: ٤٠.

(٣) سورة البقرة: ٢٧٠، وآل عمران: ١٩٢، والمائدة: ٧٢.

(٤) سورة هود: ١١٣، والركون: هو الميل اليسير.

(٥) سورة الحج: ٧١.

(٦) سورة الروم: ٢٩.

﴿والظَّالمونَ مالهم مِنْ وليٍّ ولا نَصيرٍ﴾[1].

﴿والله لا يَهْدي القَوْمَ الظَّالمين﴾[2].

﴿إنَّهُ لا يُفلِحُ الظَّالمون﴾[3].

﴿فانظرْ كيفَ كانَ عاقبةُ الظَّالمين﴾[4].

﴿وسيَعْلَمُ الَّذين ظَلَمُوا أيَّ مُنقلَبٍ ينْقَلبون﴾[5].

﴿فتلكَ بيوتهمْ خاويةً بما ظَلَمُوا إنَّ في ذلكَ لآيةً لقومٍ يَعْلَمون﴾[6].

﴿فكانَ عاقبتَهُمَا أنَّهما في النَّارِ خَالدين فيها وذلكَ جزاؤُ الظَّالمين﴾[7].

* * *

---

(١) سورة الشورى: ٨.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٨، وآل عمران: ٨٦ والتوبة: ١٩ و١٠٩، والصف: ٧، والجمعة: ٥.

(٣) سورة الأنعام: ٢١ و١٣٥، ويوسف: ٢٣، والقصص: ٣٧.

(٤) سورة يونس: ٣٩، والقصص: ٤٠.

(٥) سورة الشعراء: ٢٢٧.

(٦) سورة النمل: ٥٢.

(٧) سورة الحشر: ١٧ - وعاقبتهما أي عاقبة الشيطان والإنسان الضال.

الجهاد

﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لا تُكَلَّفُ إلا نَفْسَكَ وحَرِّضِ المؤمنينَ عَسى اللهُ أنْ يَكُفَّ بأسَ الَّذين كَفَرُوا واللهُ أشدُّ بأساً وأشَدُّ تنكيلاً﴾[1].

﴿ياأيُّها الذينَ أمنوا إذا لَقِيتُمْ فئَةً فاثْبتوا واذْكروا اللهَ كثيراً لَعلَّكمْ تفلحُونَ * وأَطِيعُوا اللهَ ورَسُولَهُ ولا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وتَذْهَبَ رِيحكُمْ واصْبِروا إنَّ اللهَ مَعَ الصَّابرين﴾[2].

﴿ولولا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأرضُ ولكنَّ اللهَ ذو فَضْلٍ على العالمين﴾[3].

﴿أُذِنَ للَّذين يُقَاتلُونَ بأنَّهم ظُلِمُوا وإنَّ اللهَ على نَصْرِهِمْ لَقَدير﴾[4].

﴿ياأيُّها الَّذينَ ءَامَنُوا إذا لَقِيتُمُ الَّذين كَفَرُوا زَحْفاً فلا

---

(١) سورة النساء: ٨٤.

(٢) سورة الأنفال: ٤٥، ٤٦. «وتذهب ريحكم»: تذهب دولتكم.

(٣) سورة البقرة: ٢٥١.

(٤) سورة الحج: ٣٩.

تُوَلُّوهُمُ الأدْبارَ * ومن يُوَلِّهِمْ يومئذٍ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باءَ بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير * فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاءً حسناً إن الله سميع عليم * ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين﴾[1].

﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين﴾[2].

﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير * وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير﴾[3].

﴿فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون﴾[4].

* * *

---

(١) سورة الأنفال: ١٥-١٨ والآيات في غزوة بدر. «فلا تولوهم الأدبار»: أي لا تفروا من القتال.

(٢) سورة البقرة: ١٩٣.

(٣) سورة الأنفال: ٣٩، ٤٠.

(٤) سورة الأنفال: ٥٧- وثقف: لقي.

الصبر

﴿استَعينُوا بالصبرِ والصَّلاة إنَّ اللهَ معَ الصَّابرين﴾[1].

﴿وإنْ تَصبِروا وتَتَّقُوا لا يضركُم كَيْدُهُمْ شيئاً إنَّ اللهَ بما يعملونَ مُحيط﴾[2].

﴿واللهُ يُحبُّ الصَّابرين﴾[3].

﴿ياأيُّها الَّذينَ آمنوا اصبِروا وصَابِرُوا ورابِطُوا واتَّقوا اللهَ لعلَّكمْ تُفْلِحُون﴾[4].

﴿إنَّما يُوَفَّى الصَّابرونَ أَجْرَهُمْ بغيرِ حِسَابٍ﴾[5].

﴿فاصبِرْ إنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ واستغفرْ لذَنْبِك﴾[6].

---

(١) سورة البقرة ١٥٣.

(٢) سورة آل عمران: ١٢٠، محيط: عارف لكل أعمالهم.

(٣) سورة آل عمران: ١٤٦.

(٤) سورة آل عمران: ٢٠٠.

(٥) سورة الزمر: ١٠.

(٦) سورة غافر: ٥٥.

﴿وما يُلَقَّاها إلا الَّذينَ صَبَرُوا وما يُلَقَّاها إلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[1].

﴿ولَمَنْ صَبَرَ وغفرَ إنَّ ذلكَ لَمِنْ عَزْمِ الأمورِ﴾[2].

﴿فاصبرْ كما صبرَ أولوا العزمِ من الرُّسلِ ولا تَسْتَعْجِل لَهمْ﴾[3].

* * *

النصر

﴿حتَّى يقولَ الرَّسولُ والَّذينَ آمنوا معهُ متى نَصْرُ اللهِ ألا إنَّ نَصْرَ اللهِ قريبٌ﴾[4].

﴿وانْصُرْنا على القَومِ الكَافِرين﴾[5].

---

(١) سورة فصلت: ٣٥.

(٢) سورة الشورى: ٤٣ وعزم الأمور: الأمور المطلوبة شرعاً.

(٣) سورة الأحقاب: ٣٥.

(٤) سورة البقرة: ٢١٤.

(٥) سورة البقرة: ٢٥٠، وآل عمران: ٤٧.

﴿واللهُ يؤيِّدُ بنصرِه من يشاء﴾[1].

﴿لتُؤمِنُنَّ به ولَتَنْصُرُنَّه﴾[2].

﴿ولقدْ نصركمُ اللهُ ببدرٍ وأنتمْ أذلَّةٌ﴾[3].

﴿وما النَّصرُ إلا منْ عندِ اللهِ العزيزِ الحكيمِ﴾[4].

﴿بلِ اللهُ مولاكمْ وهوَ خيرُ النَّاصرين﴾[5].

﴿إنْ ينْصُرْكُمُ اللهُ فـلا غـالبَ لكمْ وإنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذا الَّذي ينْصُرُكُمْ منْ بعدِه وعلى اللهِ فليتوكَّلِ المؤمنون﴾[6].

﴿وما النَّصرُ إلا منْ عندِ اللهِ إنَّ اللهَ عزيزٌ حكيمٌ﴾[7].

* * *

---

(١) سورة آل عمران: ١٣.

(٢) سورة آل عمران: ٨١.

(٣) سورة آل عمران: ١٢٣.

(٤) سورة آل عمران: ١٢٦.

(٥) سورة آل عمران: ١٥٠.

(٦) سورة آل عمران: ١٦٠.

(٧) سورة الأنفال: ١٠.

الصَّدَقات

﴿خُذْ من أموالهمْ صَدَقَةً تُطهِّرُهُمْ وتزكّيهم بها وصَلِّ عليهمْ إنَّ صلَوٰتكَ سكنٌ لَّهمْ والله سميعٌ عليمٌ﴾[1].

﴿إنَّما الصَّدقاتُ للفقراءِ والمساكينِ والعاملينَ عليها والمؤلَّفَةِ قلوبُهُمْ وفي الرِّقابِ والغارمينَ وفي سبيلِ اللهِ وابنِ السَّبيلِ فَريضةً منَ اللهِ واللهُ عليمٌ حكيمٌ﴾[2].

﴿إنْ تبْدُوا الصَّدقاتِ فَنعِمَّا هي وإنْ تُخْفُوها وتُؤتوها الفقراءَ فهو خيرٌ لَّكمْ ويكفِّرُ عنكم مِنْ سيِّئاتكمْ﴾[3].

﴿إنَّ المُصَّدِّقينَ والمُصَّدِّقاتِ وأقْرَضُوا الله قَرْضاً حَسَناً يُضاعفُ لهُمْ﴾[4].

* * *

---

(١) سورة التوبة: ١٠٣.

(٢) سورة التوبة: ٦٠ وهي آية مصارف الزكاة.

(٣) سورة البقرة: ٢٧١.

(٤) سورة الحديد: ١٨.

النفقـات

﴿يا أيُّها الَّذين ءامَنُوا أنفقوا ممَّا رزقناكُم مِن قبلِ أن يأتي يومٌ لا بَيْعٌ فيه ولا خُلَّةٌ ولا شفاعة﴾[1].

﴿وما أنفقتم من شيءٍ فهو يُخلِفُه وهو خيرُ الرَّازقين﴾[2].

﴿مَثَلُ الَّذين يُنفِقُون أموالَهم في سبيلِ الله كمَثَلِ حبةٍ أنبَتَت سبعَ سنابلَ في كلِّ سُنبُلَةٍ مائةُ حبَّة﴾[3].

﴿ومَثَلُ الَّذين يُنفِقُون أموالَهُم ابتغاءَ مرضاتِ الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثلِ جنَّةٍ بِربْوةٍ أصابها وابل﴾[4].

﴿الَّذين يُنفِقُون أموالَهم باللَّيلِ والنَّهارِ سراً وعلانيةً فلهم أجرُهُم عند ربِّهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾[5].

* * *

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٤ الخلة: المودة.

(٢) سورة سبأ: ٣٩.

(٣) سورة البقرة: ٢٦١.

(٤) سورة البقرة: ٢٦٥. الوابل: المطر الشديد.

(٥) سورة البقرة: ٢٧٤.

العفــو

﴿فاعفُوا واصفَحُوا حتَّى يأتيَ اللهُ بأمرِه﴾[1].

﴿وأن تعفُــوا أقْــرَبُ للتَّقْــوى ولا تَنْسَــوا الْـفَضْــلَ بينكُم﴾[2].

﴿ثمَّ عَفَوْنا عنكم مِنْ بعدِ ذلكَ لعلَّكُمْ تشكرون﴾[3].

﴿فَمَنْ عفي لهُ منْ أخيهِ شَيْءٌ فاتِّباعٌ بالمعروفِ وأداءٌ إليهِ بإحْسانٍ﴾[4].

﴿والكاظمينَ الغَيْظَ والعافِينَ عَنِ النَّاسِ واللهُ يُحِبُّ المُحسنين﴾[5].

---

(١) سورة البقرة: ١٠٩.

(٢) سورة البقرة: ٢٣٧.

(٣) سورة البقرة: ٥٢.

(٤) سورة البقرة: ١٧٨، والعفو في الآية هو الرضا بالدية بدلاً من القصاص بالقتل.

(٥) سورة آل عمران: ١٣٤. كظم الرجل غيظه: أمسكه وحبسه صافحاً أو مغيظاً.

﴿ولقدْ عفا عنكمْ واللهُ ذو فَضْلٍ على المؤمنين﴾[1].

﴿ولقدْ عفَا اللهُ عنهمْ إنَّ اللهَ غفورٌ حليمٌ﴾[2].

﴿وجزاؤُا سَيِّئَةٍ سيئةٌ مثلُها فمَنْ عفَا وأصْلَحَ فأجرهُ على اللهِ﴾[3].

﴿إنَّ الله لَعَفُوٌّ غفورٌ﴾[4].

﴿وإنْ تَعْفُوا وتَصْفَحُوا وتَغْفِروا فإنَّ اللهَ غفورٌ رَّحيمٌ﴾[5].

* * *

---

(١) سورة آل عمران: ١٥٢.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٥ والحديث عمن فر من المسلمين في أحد.

(٣) سورة الشورى: ٤٠.

(٤) سورة الحج: ٦٠.

(٥) سورة التغابن: ١٤.

ذكر العهود والمواثيق والأيمان

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوقَ أَيديهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيهُ اللهَ فَسَيُؤتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾[1].

﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾[2].

﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنعَمتُ عَلَيكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[3].

﴿أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَالا تَعلَمُونَ﴾[4].

﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ﴾[5].

---

(١) سورة الفتح: ١٠ .

(٢) سورة البقرة: ٢٧ ، وميثاقه: إحكامه وتقويته.

(٣) سورة البقرة: ٤٠ .

(٤) سورة البقرة: ٨٠.

(٥) سورة التوبة: ١١١ .

﴿أَوَكُلَّما عاهدوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ منهم بل أَكْثَرُهُم لا يؤمنون﴾[1].

* * *

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

﴿أتأمرونَ النَّاسَ بالبِرِّ وتَنْسَوْنَ أنفسكم وأنتم تتلونَ الكتابَ أفلا تَعْقِلُون﴾[2].

﴿ولْتَكُنْ منكم أمةٌ يدعونَ إلى الخيرِ ويأمرونَ بالمعروفِ ويَنْهَوْنَ عن المنكرِ وأولئكَ همُ المفلحون﴾[3].

﴿كُنْتُمْ خيرَ أمَّةٍ أُخْرِجَتْ للنَّاسِ تأمرونَ بالمعروفِ وتَنْهَوْنَ عن المنكَرِ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة: ١٠٠.

(٢) سورة البقرة: ٤٤.

(٣) سورة آل عمران: ١٠٤.

(٤) سورة آل عمران: ١١٠.

﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[1].

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[2].

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[3].

﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾[4].

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾[5].

* * *

---

(١) سورة المائدة: ٦٣– لولا: للحث. الربانيون: أئمة اليهود. السحت: الرشوة.

(٢) سورة المائدة: ٧٨– ٧٩.

(٣) سورة الأعراف: ١٦٥.

(٤) سورة الطلاق: ٦.

(٥) سورة الأعراف: ١٥٧.

ذكر الفساد والمفسدين

﴿وإذا قيلَ لهمْ لا تفسدوا في الأرضِ قالوا إنَّما نحنُ مُصلحونَ * ألا إنَّهمْ همُ المُفْسدُونَ ولكنْ لا يشعرون﴾[1].

﴿كُلوا واشْربوا مِن رزِّقِ الله ولا تَعْثَوْا في الأرضِ مُفسدين﴾[2].

﴿وإذا تولَّى سَعى في الأرضِ ليُفْسدَ فيها ويُهْلكَ الحَرْثَ والنَّسْلَ والله لا يُحبُّ الفَسَاد﴾[3].

﴿والله يعلمُ المُفسِدَ منَ المُصلحِ ولو شاءَ الله لأَعْنَتَكُمْ إنَّ الله عزيزٌ حكيمٌ﴾[4].

﴿فإن تولَّوا فإنْ الله عليمٌ بالمُفسدين﴾[5].

﴿ويَسْعَوْنَ في الأرضِ فساداً والله لا يُحبُّ المُفسدين﴾[6].

* * *

---

(١) سورة البقرة: ١١-١٢.

(٢) سورة البقرة: ٦٠، العيث: الفساد.

(٣) سورة البقرة: ٢٠٥.

(٤) سورة البقرة: ٢٢٠ – العنت: المشقة.

(٥) سورة آل عمران: ٦٣.

(٦) سورة المائدة: ٦٤.

ذكرُ الشكْرْ والشاكرين

﴿إنَّ إبراهيمَ كانَ أُمَّةً قانتاً لله حَنيفاً ولمْ يَكُ مِنَ المُشْركينَ * شاكراً لأنْعُمِهِ اجْتَباهُ وهداهُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقيمٍ﴾[1].

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مع نُوحٍ إنَّهُ كانَ عَبْداً شكُوراً﴾[2].

﴿نِعْمَةً منْ عندنا كذلك نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾[3].

﴿إنَّ هذا كانَ لكمْ جزاءً وكانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً﴾[4].

﴿أَوْزِعْنِي أنْ أشكرَ نِعْمَتَكَ الَّتي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وعلى والِدَيَّ﴾[5].

﴿اعْمَلُوا آلَ داودَ شُكْراً وقليلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ﴾[6].

---

(١) سورة النحل: ١٢٠ - ١٢١. الحنيف: المائل عن العقائد الضالة.

(٢) سورة الإسراء: ٣.

(٣) سورة القمر: ٣٥.

(٤) سورة الإنسان: ٢٢.

(٥) سورة النمل: ٩١ والأحقاف: ١٥. «أوزعني»: الوزع: المنع. أي امنعني أن أشكر شيئاً إلا نعمتك.

(٦) سورة سبأ: ١٣.

﴿أليسَ اللهُ بأعلمَ بالشَّاكرين﴾[1].

﴿والبلدُ الطيِّبُ يَخرُجُ نباتهُ بإذنِ ربِّه والَّذي خبُثَ لا يخرجُ إلا نَكِداً كذلك نُصرِّفُ الأياتِ لقومٍ يشكرون﴾[2].

﴿إنَّ في ذلك لأياتٍ لكلِّ صبَّارٍ شكُورٍ﴾[3].

﴿إنَّا هديناهُ السَّبيلَ إمَّا شاكراً وإمَّا كَفُورا﴾[4].

* * *

ذكر الأمانة

﴿إنَّ الله يأمركمْ أن تُؤدُّوا الأماناتِ إلى أهلها﴾[5].

﴿فإنْ أمِنَ بعضُكُمْ بعْضاً فلْيُؤدِّ الَّذي اؤتُمِنَ أمانَتَهُ﴾[6].

---

(١) سورة الأنعام: ٥٣.

(٢) سورة الأعراف: ٥٨.

(٣) سورة إبراهيم: ٥. ولقمان: ٣١. وسبأ: ١٩. والشورى: ٣٣.

(٤) سورة الإنسان: ٣.

(٥) سورة النساء: ٥٨.

(٦) سورة البقرة: ٢٨٣.

﴿والَّذينَ همْ لأماناتِهِمْ وعَهْدِهِمْ راعُونَ﴾[1].

﴿إنَّا عرَضْنا الأمانةَ على السَّموات والأرضِ والجبال فأبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنَها وأشْفقْنَ منها وحَمَلَها الإنسانُ إنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهولاً﴾[2].

﴿ومِنْ أهْلِ الكِتَابِ مَنْ إنْ تأمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤدِّهِ إليكَ ومنهم منْ إنْ تأمَنْهُ بدينارٍ لا يُؤدِّهِ إليكَ إلا ما دُمْتَ عليهِ قائماً﴾[3].

* * *

ذكر الخيانة

﴿لا تَخُونُوا اللهَ والرَّسُولَ وتَخُونوا أمانَاتِكُمْ وأنتمْ تَعْلَمُونَ﴾[4].

---

(١) سورة المؤمنون: ٨، والمعارج: ٣٢.

(٢) سورة الأحزاب: ٧٢.

(٣) سورة آل عمران: ٧٥.

(٤) سورة الأنفال: ٢٧.

﴿إنَّا أنزلنا إليكَ الكتابَ بالحقِّ لتحكُمَ بينَ النَّاسِ بما أراكَ اللهُ ولا تكُنْ للخائنينَ خصيماً﴾[1].

﴿إنَّ اللهَ لا يُحبُّ مَنْ كانَ خوَّاناً أثيماً﴾[2].

﴿وإمَّا تخافَنَّ مِنْ قومٍ خيانةً فانبذْ إليهم على سواءٍ إنَّ اللهَ لا يُحبُّ الخائنين﴾[3].

﴿ذلك ليعلَمَ أنِّي لم أخُنْهُ بالغيبِ وأنَّ اللهَ لا يهْدِي كيدَ الخائنين﴾[4].

﴿إنَّ اللهَ يُدافعُ عنِ الَّذينَ آمنوا إنَّ اللهَ لا يُحبُّ كلَّ خوَّانٍ كفُورٍ﴾[5].

* * *

---

(١) سورة النساء: ١٠٥ – خصيماً: مدافعاً عنهم.

(٢) سورة النساء: ١٠٧.

(٣) سورة الأنفال: ٥٨.

(٤) سورة يوسف: ٥٢.

(٥) سورة الحج: ٣٨.

ذكر الموالاة والأولياء

﴿الَّذينَ يتَّخِذونَ الكَافرينَ أولياءَ من دُونِ المؤمنينَ أيبْتَغُونَ عندهمُ العِزَّةَ فإنَّ العزَّةَ لله جَميعاً﴾[1].

﴿ياأيُّها الَّذينَ ءامَنُوا لا تتَّخذُوا اليهودَ والنَّصارى أولياءَ بَعْضُهُمْ أولياءُ بعضٍ ومَنْ يتَوَلَّهُمْ منكمْ فإنَّهُ منهمْ إنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالمين﴾[2].

﴿إنَّما وليُّكمُ اللهُ وَرَسُولُهُ والَّذينَ أمنوا الَّذينَ يقيمونَ الصَّلاةَ ويؤتونَ الزَّكاةَ وهمْ راكعُون * ومَنْ يَتَولَّ اللهَ ورسُولَهُ والَّذينَ ءامَنُوا فإنَّ حزبَ الله همُ الغالبونَ * ياأيُّها الَّذينَ ءامَنُوا لا تتَّخذُوا الَّذينَ اتَّخذُوا دينَكُمْ هزُواً ولَعباً منَ الَّذينَ أوتوا الكتابَ من قبْلِكُمْ والكُفَّارَ أولياءَ واتَّقوا اللهَ إنْ كُنْتُمْ مؤْمنين﴾[3].

﴿ترَى كثيراً منهمْ يتولَّونَ الَّذينَ كفَروا لَبِئْسَ ما قدَّمَتْ

(١) سورة النساء: ١٣٩.

(٢) سورة المائدة: ٥١.

(٣) سورة المائدة: ٥٥-٥٧. يتولى الله: يتخذه ولياً.

لهمْ أنفُسُهُمْ أنْ سَخِطَ اللهُ عليهمْ وفي العذابِ هُمْ خالدونَ * ولوْ كانوا يُؤْمِنُونَ باللهِ والنَّبيِّ وما أُنزلَ إليهِ ما اتَّخذوهمْ أولياءَ ولكنَّ كثيراً منهمْ فاسِقُونَ﴾[1].

﴿إنَّا جَعَلْنا الشَّياطينَ أولياءَ للَّذينَ لا يُؤمنونَ﴾[2].

﴿إنَّ وليِّيَ اللهُ الَّذي نزَّلَ الكتابَ وهوَ يتولَّى الصَّالحينَ﴾[3].

* * *

ذكر التوبة

﴿إلا الَّذينَ تابوا من قبلِ أنْ تَقْدِرُوا عليهمْ فاعْلَمُوا أنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[4].

---

(١) سورة المائدة: ٨٠، ٨١.

(٢) سورة الأعراف: ٢٧.

(٣) سورة الأعراف: ١٩٦.

(٤) سورة المائدة: ٣٤.

﴿ليس لَكَ من الأمر شيءٌ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾[1].

﴿إنما التوبةُ على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب اللهُ عليهم وكان اللهُ عليماً حكيماً * وليست التوبةُ للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً﴾[2].

﴿فإن تبتم فهو خيرٌ لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غيرُ معجزي الله﴾[3].

﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفورٌ رحيم﴾[4].

﴿ثم يتوب اللهُ من بعد ذلك على من يشاءُ والله غفورٌ رحيم﴾[5].

---

(١) سورة آل عمران: ١٢٨.

(٢) سورة النساء: ١٧، ١٨.

(٣) سورة التوبة: ٣.

(٤) سورة التوبة: ٥.

(٥) سورة التوبة: ٢٧.

﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم﴾ (1).

* * *

ذكر الاستكبار

﴿ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين﴾ (2).

﴿ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً﴾ (3).

﴿إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾ (4).

﴿فاستكبروا وكانوا قوماً عالين﴾ (5).

---

(1) سورة التوبة: ١٠٤.

(2) سورة الزمر: ٧٢.

(3) سورة النساء: ١٧٢.

(4) سورة البقرة: ٣٤.

(5) سورة المؤمنون: ٤٦.

﴿فكنتم على أعقابكم تنكصون * مستكبرين به سامراً تهجرون﴾[1].

﴿فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين﴾[2].

﴿وإذا تتلى عليه ءاياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم﴾[3].

﴿إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾[4].

﴿وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون﴾[5].

﴿استكباراً في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله﴾[6].

* * *

---

(١) سورة المؤمنون: ٦٦- ٦٧. وتهجرون: تفحشون في القول.

(٢) سورة العنكبوت: ٣٩. سابقين: مفلتين من العذاب.

(٣) سورة لقمان: ٧. الوقر: ثقل السمع.

(٤) سورة لقمان: ١٨.

(٥) سورة السجدة: ١٥.

(٦) سورة فاطر: ٤٣. يحيق: يحيط وينزل.

ذِكْرُ البَغْي

﴿وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ والبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرونَ﴾[1].

﴿والَّذينَ إذا أصابَهُمُ البَغْيُ هُمْ يَنتصرونَ﴾[2].

﴿ثُمَّ بُغِيَ عليهِ لينصرنَّهُ اللهُ إنَّ اللهَ لعفوٌّ غفورٌ﴾[3].

﴿فأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وجنودُهُ بَغْياً وَعَدْواً﴾[4].

﴿إنَّ قارونَ كانَ من قومِ موسَى فَبَغَى عليهِمْ﴾[5].

﴿ولو بَسَطَ اللهُ الرزقَ لعبادِهِ لَبَغَوْا في الأرضِ﴾[6].

* * *

(١) سورة النحل: ٩٠. البغي: العدوان.

(٢) سورة الشورى: ٣٩.

(٣) سورة الحج: ٦٠.

(٤) سورة يونس: ٩٠.

(٥) سورة القصص: ٧٦.

(٦) سورة الشورى: ٢٧.

ذكـر الوعـد

﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وأهلكنا المُسْرِفِين﴾[1].

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بالعذابِ ولَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَه﴾[2].

﴿وَعْدَ اللهِ لا يُخلفُ اللهُ وَعْدَه ولكنَّ أكثرَ النَّاس لا يعلمون﴾[3].

﴿كان وَعْدُهُ مَفْعُولاً﴾[4].

﴿سُبْحَانَ رَبِّنا إنْ كانَ وعدُ رَبِّنا لَمَفْعُولاً﴾[5].

﴿إنَّما تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾[6].

---

(١) سورة الأنبياء: ٩.

(٢) سورة الحج: ٤٧.

(٣) سورة الروم: ٦.

(٤) سورة المزمل: ١٨.

(٥) سورة الإسراء: ١٠٨.

(٦) سورة الذاريات: ٥.

﴿فاصبرْ إنَّ وعدَ الله حَقٌّ ولا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذينَ لا يُوقنون﴾[1].

﴿فاصبِرْ إنَّ وعدَ الله حقٌّ واسْتَغْفِرْ لذنبك﴾[2].

﴿وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذي كانوا يوعدون﴾[3].

﴿ويْلَكَ ءامِنْ إنَّ وَعْدَ الله حقٌّ﴾[4].

﴿فإذا جاء وَعْدُ ربِّي جعله دكَّاءَ وكانَ وعدُ ربِّي حقّاً﴾[5].

﴿فَرَدَدْناهُ إلى أمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها ولا تحزَنَ ولِتَعْلَمَ أنَّ وعدَ الله حقٌّ﴾[6].

* * *

---

(1) سورة الروم: ٦٠، لا يستخفنك: لا يبعثك على الهم والقلق.

(2) سورة غافر: ٥٥.

(3) سورة الأحقاف: ١٦.

(4) سورة الأحقاف: ١٧.

(5) سورة الكهف: ٩٨.

(6) سورة القصص: ١٣.

ذكر التوكُّل

﴿قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عليه يتوكَّلُ المتوكِّلون﴾[1].

﴿ولا تُطِعِ الكافرين والمنافقين ودَعْ أذاهمْ وتوكَّلْ على الله وكفى بالله وكيلاً﴾[2].

﴿إن كنتمْ ءامنتُمْ بالله فعليه توكَّلوا إنْ كُنْتُمْ مُسلمينَ * فقالوا على الله توكَّلنا ربَّنا لا تجعلنا فتنةً للقومِ الظَّالمين﴾[3].

﴿ربَّنا عليكَ توكَّلنا وإليكَ أنبنا وإليكَ المصير﴾[4].

﴿اللهُ لا إلهَ إلا هوَ وعلى الله فلْيَتَوكَّلِ المؤمنونَ﴾[5].

﴿قُلْ هوَ الرَّحمنُ ءامنَّا بهِ وعليهِ توكَّلنا فستعلمونَ مَنْ هوَ في ضلالٍ مُّبينٍ﴾[6].

---

(١) سورة الزمر: ٣٨.

(٢) سورة الأحزاب: ٤٨.

(٣) سورة يونس: ٨٤، ٨٥. «لا تجعلنا فتنة» أي لا تسلطهم علينا فيفتنونا.

(٤) سورة الممتحنة: ٤.

(٥) سورة التغابن: ١٣.

(٦) سورة الملك: ٢٩.

﴿ربُّ المشرقِ والمغربِ لا إلهَ إلا هوَ فاتَّخذهُ وكيلاً﴾[1]

* * *

ذكر الشهادة والاستشهاد

﴿واستَشْهِدُوا شَهيدَيْنِ من رِّجالكمْ فإن لَّمْ يكونا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وامرأتانِ ممَّن ترْضَوْنَ من الشُّهداء أنْ تَضِلَّ إحداهما فتذكِّرَ إحداهُما الأُخرى ولا يأْبَ الشُّهداءُ إذا ما دُعُوا﴾[2].

﴿ولا تَكْتُمُوا الشَّهادةَ ومَنْ يَكْتُمْها فإنَّهُ ءاثِمٌ قلبهُ﴾[3].

﴿وأقيموا الشَّهادةَ للهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ به مَنْ كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ﴾[4].

﴿ياأيُّها الَّذينَ أمنوا شهادةُ بيْنِكُمْ إذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الموتُ

(١) سورة المزمل: ٩.

(٢) سورة البقرة: ٢٨٢.

(٣) سورة البقرة: ٢٨٣.

(٤) سورة الطلاق: ٢.

حينَ الوصيَّةِ اثنانِ ذوا عدلٍ منكم أو ءاخرانِ من غيركم إنْ أنتمْ ضربتُمْ في الأرضِ فأصابتكُمْ مُصيبةُ الموتِ تحبسونَهُما من بعدِ الصلاةِ فيُقسمانِ باللهِ إنِ ارتبتُمْ لا نشتري به ثمناً ولو كان ذا قُربى ولا نكتُمُ شهادةَ اللهِ إنَّا إذاً لَمن الآثمينَ * فإنْ عُثرَ على أنَّهما استحقَّا إثماً فئاخرانِ يقومانِ مقامَهُما من الَّذينَ استحقَّ عليهمُ الأوليانِ فيُقسمانِ باللهِ لشهادتُنا أحقُّ من شهادتِهما وما اعتدَيْنا إنَّا إذاً لَمن الظَّالمينَ * ذلكَ أدنى أنْ يأتوا بالشَّهادةِ على وجهِها﴾[1].

* * *

ذكر الظَّن

﴿اجتنبُوا كثيراً من الظَّنِ إنَّ بعضَ الظَّنِّ إثمٌ﴾[2].

﴿وتظنُّونَ باللهِ الظُّنونا﴾[3].

---

(١) سورة المائدة: ١٠٦-١٠٨.

(٢) سورة الحجرات: ١٢.

(٣) سورة الأحزاب: ١٠. وردت في غزوة الخندق.

﴿وما خلقنا السَّماءَ والأرضَ وما بينهما باطلاً ذلكَ ظنُّ الَّذينَ كفروا﴾[1].

﴿إنْ يتَّبعونَ إلا الظَّنَّ وإنَّ الظَّنَّ لا يُغني مِنَ الحقِّ شيئاً﴾[2].

* * *

ذكر التثبُّت

﴿ولولا أنْ ثبَّتناكَ لقدْ كِدتَّ تركَنُ إليهمْ شيئاً قليلاً﴾[3].

﴿إذا ضربتُمْ في سبيلِ الله فتبيَّنوا ولا تقولوا لِمَنْ ألْقَى إليكمُ السَّلامَ لَسْتَ مؤمناً تبتغونَ عرَضَ الحياةِ الدُّنيا فعندَ الله مَغانمُ كثيرةٌ كذلكَ كنتم مِّن قبلُ فمَنَّ اللهُ عليكمْ فتبيَّنوا إنَّ اللهَ كان بما تعملونَ خبيراً﴾[4].

---

(١) سورة ص: ٢٧.

(٢) سورة النجم: ٢٨.

(٣) سورة الإسراء: ٧٤.

(٤) سورة النساء: ٩٤.

﴿ليُثَبِّتَ الَّذينَ ءَامَنُوا وهُدًى وبُشْرى للمُسْلِمين﴾[1].

* * *

ذِكْرُ السمع والطاعة

﴿ياأيُّها الَّذينَ ءَامَنُوا أطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرَّسولَ وأُولي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[2].

﴿واسْمَعُوا وأَطِيعُوا وأَنْفِقُوا خَيْراً لأنفسكمْ﴾[3].

﴿إنَّما كانَ قولَ المؤمنينَ إذا دُعُوا إلى اللهِ ورسوله ليحكمَ بينهمْ أنْ يقولوا سَمِعْنا وأَطَعْنا وأولئكَ همُ المفلحون﴾[4].

﴿فاتَّقوا اللهَ ما اسْتَطَعْتُمْ واسْمَعُوا وأَطِيعُوا﴾[5].

---

(١) سورة النحل: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ٥٩.

(٣) سورة التغابن: ١٦.

(٤) سورة النور: ٥١.

(٥) سورة التغابن: ١٦.

﴿فاتَّقوا اللهَ وأَطِيعُونِ * ولا تُطيعوا أمرَ المُسْرِفين﴾[1].

﴿ولا تُطعْ كلَّ حلّافٍ مَّهين﴾[2].

* * *

ذكر الصلح

﴿فَمَنْ خافَ مِنْ مُّوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بينهمْ فلا إِثْمَ عليهِ إنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ﴾[3].

﴿أَنْ تَبَرُّوا وتَتَّقُوا وتُصْلِحُوا بينَ النَّاسِ واللهُ سَمِيعٌ عليمٌ﴾[4].

﴿فاتَّقوا اللهَ وأَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ﴾[5].

---

(١) سورة الشعراء: ١٥٠، ١٥١.

(٢) سورة القلم: ١٠.

(٣) سورة البقرة: ١٨٢. والجنف: الميل عن الحق.

(٤) سورة البقرة: ٢٢٤.

(٥) سورة الأنفال: ١.

﴿وبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذلكَ إن أرادوا إصْلاحاً﴾[1].

﴿وإنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِما فابْعَثُوا حَكَماً مِّنْ أهلِه وحَكَماً مِّنْ أهلها إنْ يُرِيدا إصلاحاً يُوَفِّقِ اللهُ بينهما﴾[2].

﴿وإن امْرَأَةٌ خافتْ مِنْ بَعْلِها نُشُوزاً أوْ إعْراضاً فلا جُنَاحَ عليهما أنْ يُصْلِحَا بينهما صُلْحاً والصُّلْحُ خَيْرٌ﴾[3].

* * *

ذكر الاعتصام والعصمة

﴿ومن يعتصم باللهِ فقدْ هُدِيَ إلى صراطٍ مُّستقيمٍ﴾[4].

﴿واعتصموا بحبلِ اللهِ جميعاً ولا تفرَّقوا﴾[5].

---

(١) سورة البقرة: ٢٢٨.

(٢) سورة النساء: ٣٥.

(٣) سورة النساء: ١٢٨. النشوز: إساءة العِشرة.

(٤) سورة آل عمران: ١٠١.

(٥) سورة آل عمران: ١٠٣.

﴿إلا الَّذينَ تابوا وأَصْلَحُوا واعْتَصَمُوا بالله﴾[1].

﴿واعْتَصِمُوا بــالله هــو مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ المــولــى ونِعْمَ النَّصيرْ﴾[2].

﴿فـأمَّا الَّذينَ ءَامَنُوا بالله واعْتَصِمُوا به فـسـيُدْخِلُهُمْ في رَحْمَةٍ مِّنْه﴾[3].

﴿والله يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس إنَّ اللهَ لا يَهْدي القـومَ الكافرين﴾[4].

﴿يومَ تُوَلُّونَ مُدْبِرينَ ما لَكُمْ مِنَ الله منْ عاصِمٍ﴾[5].

* * *

---

(١) سورة النساء: ١٤٦.

(٢) سورة الحج: ٧٨.

(٣) سورة النساء: ١٧٥.

(٤) سورة المائدة: ٦٧.

(٥) سورة غافر: ٣٣.

ذِكْرُ بيت الله الحرام والحجّ

﴿فولِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجدِ الحرامِ وحيثُ ما كنتمْ فولُّوا وجوهكُمْ شطرهُ﴾(1).

﴿ومَنْ حيْثُ خَرَجْتَ فولِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحرامِ﴾(2).

﴿إنَّ الصَّفا والمَرْوَةَ منْ شَعَائرِ اللهِ فَمَنْ حجَّ البيتَ أوِ اعتَمرَ فلا جُناحَ عليه أن يطَّوَّفَ بهما ومن تطوَّعَ خيراً فإنَّ اللهَ شاكرٌ عليمٌ﴾(3).

﴿ياأيُّها الذينَ ءَامَنُوا لا تُحلُّوا شعائرَ اللهِ ولا الشَّهرَ الحرامَ ولا الهدْيَ ولا القلائدَ ولا ءَامِّينَ البيتَ الحرامَ يبتغونَ فضلاً من ربِّهم ورضواناً﴾(4).

---

(1) سورة البقرة: ١٤٤.

(2) سورة البقرة: ١٤٩.

(3) سورة البقرة: ١٥٨.

(4) سورة المائدة: ٢. الهَدْيُ: ما يهدى إلى الحرَم من نَعَم.

﴿جعلَ اللهُ الكعْبَةَ البيْتَ الحَرامَ قِياماً للنَّاس والشَّهرَ الحَرامَ والهَدْيَ والقَلائدَ ذلكَ لتعْلَموا أنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما في السَّموات وما في الأرضِ وأنَّ اللهَ بكلِّ شَيْءٍ عليمٌ﴾[1].

﴿وأذانٌ مِنَ اللهِ ورسولِه إلى النَّاس يومَ الحجِّ الأكبرِ أنَّ اللهَ بريءٌ مِنَ المُشركينَ ورسولُه﴾[2].

* * *

ذكر الحدود

﴿وما كانَ لمؤمنٍ أن يقتلَ مُؤْمناً إلا خطَأً ومَنْ قتلَ مُؤْمناً خَطَأً فتحريرُ رَقَبَةٍ مؤْمنَةٍ ودِيَةٌ مُسلَّمةٌ إلى أهلِه أنْ يصَّدَّقوا فإنْ كانَ من قومٍ بينكمْ وبينهم مِيثاقٌ فدِيَةٌ مُسلَّمةٌ إلى أهلِه وتحريرُ رَقَبَةٍ مؤْمنةٍ فمَن لَّمْ يجدْ فصيامُ شهرينِ مُتتابعينِ﴾[3].

﴿ياأيُّها الذينَ ءامَنُوا كُتِبَ عليكمُ القِصاصُ في القتلى

(١) سورة المائدة: ٩٧.

(٢) سورة التوبة: ٣. وأذان: إعلام.

(٣) سورة النساء: ٩٣، تحرير الرقبة: إعتاقها من الرقّ.

الحرُّ بالحرِّ والعبْدُ بالعبْدِ والأُنثى بالأنْثَى فمنْ عفُي لَهُ منْ أخيه شيءٌ فاتِّباعٌ بالمعروفِ وأداءٌ إليه بإحسانٍ ذلكَ تخفيفٌ من ربِّكمْ ورَحْمَةٌ فمَنِ اعتَدى بعدَ ذلكَ فلهُ عذابٌ أليمٌ * ولكمْ في القِصاصِ حياةٌ ياأُولي الألبابِ لعلَّكمْ تتَّقون﴾[1] .

﴿إنَّما جزاءُ الذين يحاربونَ اللهَ ورسولَه ويَسْعَوْنَ في الأرضِ فَساداً أنْ يُقتَّلوا أو يُصلَّبوا أو تُقطَّعَ أيديهمْ وأرْجُلُهم منْ خِلافٍ أو يُنْفَوا من الأرضِ ذلكَ لهمْ خِزْيٌ في الدُّنيا ولهمْ في الآخرةِ عذابٌ عظيمٌ﴾[2] .

﴿الزَّانيةُ والزَّاني فاجْلِدُوا كُلَّ واحدٍ منهما مائةَ جَلْدَةٍ ولا تَأْخُذْكم بهما رأفةٌ في دينِ اللهِ إن كنتمْ تؤمنونَ باللهِ واليومِ الآخرِ ولْيَشْهَدْ عذابَهُما طائفةٌ من المؤمنين﴾[3] .

﴿والسَّارقُ والسَّارقةُ فاقْطَعُوا أيْديَهُما جزاءً بما كَسَبَا نَكَالاً منَ اللهِ واللهُ عزيزٌ حكيمٌ﴾[4] .

* * *

---

(١) سورة البقرة: ١٧٨، ١٧٩ .

(٢) سورة المائدة: ٣٣ . النفي من الأرض: الطرد إلى بلد آخر .

(٣) سورة النور: ٢ .

(٤) سورة المائدة: ٣٨ .

ذكر القيامة

﴿واتَّقوا يوماً لا تَجزي نَفْسٌ عن نَّفسٍ شيئاً ولا يُقبلُ منها شَفَاعةٌ ولا يُؤْخَذُ منها عَدْلٌ ولا هُمْ يُنصرون﴾[1].

﴿واتَّقوا يوماً لا تَجْزِي نفسٌ عن نَّفسٍ شيئاً ولا يُقبلُ منها عَدْلٌ ولا تنفعُها شفَاعةٌ ولا هُمْ يُنصرون﴾[2].

﴿يومٌ لاَّ بيعٌ فيه ولا خُلَّةٌ ولا شفَاعةٌ والكافرونَ هُمُ الظَّالمون﴾[3].

﴿يومَ تجدُ كلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خيرٍ مُّحْضَراً وما عملتْ مِنْ سُوءٍ تودُّ لوْ أنَّ بينها وبينه أمداً بعيداً ويُحذِّركمُ اللهُ نَفْسَهُ واللهُ رءُوفٌ بالعِبادِ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة: ٤٨.

(٢) سورة البقرة: ١٢٣.

(٣) سورة البقرة: ٢٥٤.

(٤) سورة آل عمران: ٣٠.

﴿يومَ تَبْيَضُّ وجوهٌ وتَسْوَدُّ وجوهٌ﴾[1].

﴿يومٌ لا بيعٌ فيه ولا خِلالٌ﴾[2].

* * *

الدعاءُ

﴿ربَّنا آتنا في الدُّنيا حَسَنَةً وفي الآخرةِ حَسَنَةً وقنا عذابَ النَّارِ﴾[3].

﴿ربَّنا أفرِغْ علينا صبْراً وثبِّتْ أقدامنا وانصُرنا على القومِ الكافرين﴾[4].

﴿ربَّنا لا تؤاخذنا إنْ نَسينا أو أخطأنا ربَّنا ولا تَحمِلْ علينا إصْراً كما حملتهُ على الذينَ من قبلنا ربَّنا ولا تُحَمِّلنا ما لا طاقةَ

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٦.

(٢) سورة إبراهيم: ٣١. والخلال: الصداقة.

(٣) سورة البقرة: ٢٠١.

(٤) سورة البقرة: ٢٥٠.

لنا به واعفُ عنَّا واغفرْ لنا وارْحَمْنا أنتَ مولانا فانْصرْنا على القومِ الكافرين﴾[1].

﴿ربَّنا لا تُزِغْ قلوبنا بعْدَ إذْ هَدَيْتَنا وَهَبْ لنا من لَدُنْكَ رَحْمَةً إنَّك أنتَ الوهَّابُ * ربّنا إنَّكَ جامعُ النَّاسِ ليومٍ لا ريبَ فيه إنَّ اللهَ لا يُخلفُ الميعاد﴾[2].

﴿ربَّنا إنَّنا أمنا فاغفرْ لنا ذنوبنا وقنا عذابَ النَّارِ﴾[3].

﴿ربِّ هبْ لي من لدنكَ ذُرِّيَّةً طيِّبةً إنَّكَ سميعُ الدُّعاءِ﴾[4].

﴿ربَّنا ءامنَّا بما أنْزلْتَ واتَّبعنا الرَّسُولَ فاكْتُبْنا معَ الشَّاهدين﴾[5].

﴿ربَّنا أفْرِغْ علينا صبراً﴾[6].

---

(١) سورة البقرة: ٢٨٦ . والإصر الحمل الثقيل، والمراد به التكاليف الشاقة .

(٢) سورة آل عمران: ٨-٩ . زاغ: مال وحاد .

(٣) سورة آل عمران: ١٦ .

(٤) سورة آل عمران: ٣٨.

(٥) سورة آل عمران: ٥٣ .

(٦) سورة البقرة: ٢٥٠ . والأعراف: ١٢٦ .

﴿ربَّنا اغفِرْ لنا ذُنوبنا وإسْرافَنا في أَمْرِنا وثبِّتْ أقدامنا وانْصُرْنا على القومِ الكافرين﴾[1].

* * *

آيات فيها ذكر نجاة من شدة أو خوف أو ما يشبه ذلك

﴿لن يضرُّوكمْ إلا أذًى وإن يُقاتلوكمْ يُوَلُّوكمُ الأدبارَ ثُم لا يُنصَرون﴾[2].

﴿ولقدْ نصرَكمُ اللهُ بِبَدْرٍ وأنتمْ أذلَّةٌ فاتَّقوا اللهَ لعلَّكمْ تَشكُرون﴾[3].

﴿وما جَعَلَهُ اللهُ إلا بُشرى لكمْ ولِتَطْمَئِنَّ قلوبُكُم بهِ وما النَّصرُ إلا من عندِ اللهِ العزيزِ الحكيم﴾[4].

---

(١) سورة آل عمران: ١٤٧.

(٢) سورة آل عمران: ١١١.

(٣) سورة آل عمران: ١٢٣.

(٤) سورة آل عمران: ١٢٦.

﴿ولا تَهِنُوا ولا تَحْزَنُوا وأنتمُ الأَعْلَوْنَ إن كُنتُم مؤمنين﴾[1].

﴿استعينوا بالله واصبروا إنَّ الأرضَ لله يُورِثُها مَنْ يشاءُ مِنْ عبادِه والعاقبةُ للمتَّقين﴾[2].

﴿عسى ربُّكم أنْ يُهلكَ عدوَّكمْ ويَسْتَخْلِفَكُمْ في الأرضِ فينظرَ كيفَ تعملون﴾[3].

﴿وأَوْرَثْنا القومَ الَّذينَ كانوا يُسْتَضْعَفُونَ مشارقَ الأرضِ ومَغَارِبَها التي باركْنا فيها﴾[4].

﴿إنْ تَسْتَفْتِحُوا فقدْ جاءكمُ الفتحُ﴾[5].

﴿واذكروا إذْ أنتمْ قليلٌ مُّستضعفونَ في الأرضِ تخافونَ أن يتخطَّفكمُ النَّاسُ فآواكمْ وأيَّدكمْ بنصرِهِ ورزقكم منَ الطَّيِّباتِ لعلَّكمْ تشكرون﴾[6].

---

(١) سورة آل عمران: ١٣٩ . هان هوانا: ذَلَّ.

(٢) سورة الأعراف: ١٢٨ .

(٣) سورة الأعراف: ١٢٩ .

(٤) سورة الأعراف: ١٣٧ .

(٥) سورة الأنفال: ١٩ واستفتح: طلب الفتح.

(٦) سورة الأنفال: ٢٦ .

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى * ووجدكَ عائلاً فأغْنَى﴾[1].

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لكَ صَدْرَكَ﴾[2].

﴿فإنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً * إنَّ مع العُسْرِ يُسْراً﴾[3].

* * *

أوامر ندب الله تعالى إليها

﴿وقُولوا للنَّاسِ حُسْناً﴾[4].

﴿فاعفُوا واصفَحُوا حتَّى يأتيَ اللهُ بأمرِهِ﴾[5].

﴿ولا تُلقُوا بأيديكُمْ إلى التَّهلكةِ وأَحْسِنُوا إنَّ اللهَ يُحبُّ المُحسنين﴾[6].

---

(١) سورة الضحى: ٦-٨.

(٢) سورة الشرح: ١.

(٣) سورة الشرح: ٥، ٦.

(٤) سورة البقرة: ٨٣.

(٥) سورة البقرة: ١٠٩.

(٦) سورة البقرة: ١٩٥.

﴿وتزودوا فإنَّ خيرَ الزَّادِ التَّقوى﴾[1].

﴿فاعفُ عنهمْ واستَغْفِرْ لهمْ وشاورْهُمْ في الأمرِ فإذا عزَمْتَ فتوكَّلْ على اللهِ إنَّ اللهَ يُحبُّ المُتوكِّلين﴾[2].

﴿فأعْرِضْ عنهمْ وعِظهمْ وقُلْ لهمْ في أنفسِهمْ قولاً بليغاً﴾[3].

﴿وتوكَّلْ على اللهِ وكفى باللهِ وكيلاً﴾[4].

﴿وإذا حُيِّيتم بتحيَّةٍ فَحَيُّوا بأحْسَنَ منها أو رُدُّوها إنَّ اللهَ كانَ على كُلِّ شيءٍ حسيباً﴾[5].

﴿ولا تُجادلْ عنِ الَّذينَ يَخْتَانونَ أنفسهمْ إنَّ اللهَ لا يُحبُّ منْ كانَ خوَّاناً أثيماً﴾[6].

---

(١) سورة البقرة: ١٩٧.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٣) سورة النساء: ٦٣:.

(٤) سورة النساء: ١٨، الأحزاب: ٣.

(٥) سورة النساء: ٨٦.

(٦) سورة النساء: ١٠٧.

﴿لا يُحبُّ اللهُ الجهرَ بالسُّوءِ منَ القولِ إلا مَنْ ظُلِمَ وكانَ اللهُ سميعاً عليماً﴾[1].

﴿وتعاونوا على البرِّ والتَّقوى ولا تعاونوا على الإثمِ والعُدوانِ﴾[2].

﴿اتَّبعْ ما أوحيَ إليكَ من ربِّكَ لا إلهَ إلا هُوَ وأعرِضْ عنِ المُشركين﴾[3].

﴿وأعدُّوا لهم ما استَطَعْتُمْ من قُوَّةٍ ومن رِّباطِ الخيلِ تُرهِبونَ بهِ عَدُوَّ اللهِ وعدوَّكمْ﴾[4].

﴿فاصفَحِ الصَّفحَ الجميل﴾[5].

* * *

---

(١) سورة النساء: ١٤٨.

(٢) سورة المائدة: ٢.

(٣) سورة الأنعام: ١٠٦.

(٤) سورة الأنفال: ٦٠.

(٥) سورة الحجر: ٨٥.

آيـات التحـدي

﴿وإن كنتمْ في ريبٍ مما نزّلنا على عـبدنا فأتُوا بسُورةٍ من مثلهِ وادعُوا شُهداءكُم من دُونِ الله إن كنتمْ صادقين﴾[1].

﴿أمْ يقـولونَ افـتـراه قُلْ فأتُوا بِعشْرِ سُورٍ مـثله مُفْتـرياتٍ وَادْعُوا منِ استطعتم من دُونِ الله إن كنتمْ صادقين﴾[2].

﴿قُل لئنِ اجْتَمَعَتِ الإنسُ والجنُّ على أنْ يأتوا بمثلِ هذا القرآنِ لا يأتونَ بمثلهِ ولوْ كانَ بعضهمْ لبعضٍ ظَهيراً﴾[3].

﴿أمْ يقولونَ افتَراه قُلْ فأتوا بسورةٍ مثلهِ﴾[4].



(١) سورة البقرة: ٢٣.

(٢) سورة هود: ١٣.

(٣) سورة الإسراء: ٨٨.

(٤) سورة يونس: ٣٨.



الباب الثاني



فيه كلام رسول الله ﷺ

قالوا: خطب رسول الله ﷺ، بعشر كلمات، حمد الله تعالى وأثنى عليه وقال:

«أيها الناس، إنَّ لكمْ معالمَ؛ فانتهوا إلى معالمكمْ، وإنَّ لكمْ نهايةً، فانتهوا إلى نهايتكمْ؛ إنَّ المؤمنَ بينَ مخافتين، بينَ أجلٍ قد مضى لا يدري ما اللهُ صانعٌ بهِ، وبين أجلٍ قد بقيَ لا يدري ما اللهُ قاضٍ فيه؛ فليأخذِ العبدُ من نفسهِ لنفسه، ومنْ دنياهُ لآخرتهِ، ومن الشَّبيبةِ قبل الكبَرِ، ومن الحياة قبلَ الموت. والّذي نَفْسُ محمدٍ بيدهِ ما بعدَ الموتِ من مُسْتَعْتَبٍ[1]، وما بعدَ الدُّنيا من دارٍ إلا الجنةَ أو النار».

* * *

(١) مصدر ميمي من استعتب أي طلب العتاب.

ومن كلامه الموجز عليه السلام:

«الناسُ كلُّهم سواءٌ كأسنانِ المشطِ».

و«المرءُ كثيرٌ بأخيهِ، ولا خيرَ لكَ في صُحبةِ من لا يرى لكَ مثلَ الذي يرى لنفسهِ».

وذكر الخيل فقال: «بطونها كنزٌ وظهورها حرِزٌ».

وقال: «نهيتكمْ عن عقوقِ الأمهاتِ، ووأدِ البناتِ، ومنعٍ، وهاتِ».

وقال: «الناسُ كالإبلِ ترى المائةَ لا ترى فيها راحلةً».

وقال: «لا تزال أمَّتي بخيرٍ ما لمْ ترَ الأمانةَ مَغْنَماً والصَّدقةَ مَغْرَماً».

وقال: «لا تجلسوا على ظهورِ الطُّرق، فإنْ أبيتمْ فغُضُّوا الأبصارَ، وردُّوا السَّلامَ، واهدوا الضَّالَّةَ، وأعينوا الضَّعيفَ».

وقال: «إنَّ الدُّنيا حلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وإنَّ اللهَ مُستعملكم فيها فناظرٌ كيفَ تعملونَ».

وقـال: «لا يُؤَمَّ ذُو سُلطانٍ في سُلطانِه، ولا يُجْلَسْ على تَكْرِمَتِه إلا بإذنِه».

وسئل: أيُّ الناسِ شَرٌّ؟ قال: «العلماءُ إذا فسدوا».

وقال: «دبَّ إليكمْ داءُ الأممِ قبلكمْ: الحسدُ والبغضاءُ، هيَ الحالقةُ، حالقةُ الدِّينِ لا حالقةُ الشَّعرِ، والذي نفسُ محمدٍ بيده، لا تؤمنونَ حتَّى تحَابُّوا، أفلا أُنبِّئُكمْ بأمرٍ إذا فعلتموهُ تحاببْتُمْ؟ أفشوا السَّلامَ بينكمْ».

وقال: «تَهَادُوا تحابُّوا».

وقـال: «ليسَ مِنْ أخـلاقِ المؤمنِ الْمَلَقُ إلاّ في طَلَبِ العلمِ».

وقال: «قيِّدوا العلومَ بالكتابِ».

وقـال: «لولا رجالٌ خُشَّعٌ وصبيانٌ رُضَّعٌ، وبَهائمُ رُتَّعٌ لصُبَّ عليكمُ العذابُ صبّاً».

وقال: «ستحرصونَ على الإمارةِ؛ فَنِعْمَ المُرضِعُ وبئستِ الفاطمةُ».

وقال: «علِّقْ سَوْطَكَ حيثُ يراهُ أهلُكَ».

وقدم السائب بن أبي صَيْفِيٍّ[1] عليه، فقال: يارسول الله، أتعرفني؟ قال: «كيفَ لا أعرفكَ؟ أنتَ شريكي الذي لا يُماري ولا يُشاري».

وكلَّمَتْه جاريةٌ من السَّبْيِ، فقال لها: مَنْ أنتِ؟ قالت: أنا ابنةُ الجوادِ حاتمٍ. فقال عليه السلام: «ارحموا عزيزاً ذلَّ، ارحموا غنياً افتقرَ، ارحموا عالِماً ضاعَ بينَ جُهَّالٍ».

وعاد عليه السلام مريضاً فقال: «اللهم آجِرْهُ على وجعِهِ، وعافِهِ إلى منتهى أجلِهِ».

وقال عليه السلام لما زفَّ فاطمةَ إلى عليٍّ رضي الله عنهما: «جدعَ الحلالُ أنفَ الغيرةِ».

وقال: «لا يردُّ القدرَ إلا الدعاءُ، ولا يزيدُ في العمرِ إلا البرُّ، وإنَّ الرَّجلَ ليُحْرَمُ الرِّزقَ بالذَّنبِ يُصيبهُ».

وقال عليه السلام: «إنَّ الله تعالى يُحبُّ الأتقياءَ الأبرارَ الأخفياءَ الذينَ إذا حضروا لم يُعرفوا، وإذا غابوا لم يُفتَقَدُوا، قلوبُهُمْ مَصَابيحُ الهُدَى يَنْجُونَ مِنْ كلِّ غَبْرَاءَ مُظْلِمةٍ».

---

(١) هو السائب بن أبي السائب صيفي بن عائذ كان مع عكرمة في قتال الردة.

وقال عليه السلام: «ظهرُ المؤمنِ مشْجبُهُ، وخزانتهُ بطنهُ، ورجلهُ مطيّتهُ، وذخيرتهُ ربُّهُ».

وقال: «أسدُّ الأعمال ثلاثةٌ: ذكرُ الله جلَّ وعزَّ على كُلِّ حالٍ، ومواساة الأخِ في المالِ، وإنصافُ الناسِ منْ نفسكَ».

وقال: «إنَّ أسرعَ الخير ثواباً البرُّ، وإنَّ أسرعَ الشَّرِّ عقوبةً البغيُ، وكفى بالمؤمنِ عيباً أنْ ينظرَ مِنَ النَّاسِ إلى ما يَعْمَى مِنْ نفسه، ويُعيِّرَ من النَّاسِ ما لا يستطيعُ تركهُ، ويؤذي جليسهُ بما لا يَعْنيه».

وقال له العباس: يارسول الله، فيم الجمال؟ قال: «في اللِّسانِ».

وقال: «إذا فعلتْ أُمَّتي خمسَ عشرةَ خَصْلَةً حلَّ بها البلاءُ. إذا أكلَ الفيء[1] أُمراؤهم، واتَّخذوا المالَ دُولاً، والأمانةَ مغنماً، والزَّكاةَ مغرماً، وأطاعَ الرَّجلُ زوجتهُ وعقَّ أمَّهُ؛ وبرَّ صديقهُ وجفا أباهُ، وارتفعتِ الأصواتُ في المساجد، وأُكْرِمَ الرَّجلُ مخافةَ شرِّه، وكانَ زعيمُ القومِ أرذلهمْ؛ وإذا لُبس

(١) الفيء: أموال الغنيمة والخراج. عق أمه: استخفّ بها وعصاها.

الحرير، وشُرِبت الخمر، واتُّخِذَت القيانُ والمعازفُ، ولعن آخرُ هذه الأمةِ أولها، فليترقَّبوا بذلك ثلاثَ خصالٍ: ريحاً حمراءَ ومسخاً وخسفاً».

وكان عليه السلام يقول لنسائه: «أسرعكُنَّ بي لحاقاً أطولُكُنَّ يداً»[1]. فكانت عائشة تقول: أنا تلكَ، أنا أطولُكُنَّ يداً. وكانت زينب بنت جحش أشدَّ جوداً من غيرها، وذلك أنَّها كانت امرأةً كثيرةَ الصدقةِ، وكانت صَناعاً تصنعُ بيدها، وتبيعهُ وتتصدَّقُ به».

وقال ﷺ للأنصار: «إنَّكمْ لتكثرونَ عندَ الفزعِ، وتقلُّونَ عندَ الطَّمعِ».

وقال: «ألا أخبركمْ بأحبِّكمْ إليَّ وأقربكمْ منِّي مجالسَ يومَ القيامةِ؟ أحاسنكمْ أخلاقاً، المُوطَّئونَ أكنافاً[2] الذينَ يألفونَ ويؤلفونَ. ألا أُخبركمْ بأبغضكمْ إليَّ وأبعدكمْ منِّي مجالسَ يومَ القيامةِ؟ الثرثارونَ المتفيهقونَ»[3].

---

(١) طول اليد كنا عن الجود.

(٢) ذوو الأخلاق السهلة اللينة.

(٣) المتفيهقون: المتكبرون. أو الذين يتوسعون فيالقول ويفتحون به أفواههم.

وقـال: «منْ باعَ داراً أو عـقـاراً فلمْ يـرْدُدْ ثمنهُ في مـثله، فذلكَ مالٌ قَمِنٌ ألا يُباركَ فيه»[1].

وقـال: «منْ وُقِيَ مـا بينَ لَحْيَيْهِ ومـا بينَ رجليـهِ دخلَ الجنَّةَ».

* * *

ومن كلامه ﷺ:

«المؤمنُ مآلفةٌ، ولا خيرَ فيمنْ لا يألفُ ولا يُؤلفُ».

«المرءُ معَ منْ أحبَّ» «حبُّكَ الشَّيءَ يَعْمي ويُصِمُّ».

«المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ».

«حُسْنُ العهدِ منَ الإيمانِ».

«دعْ ما يريبكَ إلى ما لا يُريبكَ».

«فمنْ رعى حولَ الحمى يُوشكُ أنْ يقعَ فيهِ».

---

(١) قمن وقمين: جدير.

«لا تُنْزَعُ الرَّحمةُ إلا مِنْ شقِيٍّ».

«الدالُّ على الخيرِ كفاعله».

«المؤمنُ ينظرُ بنورِ الله».

«إنَّك لَنْ تَجِدَ فقدَ شيءٍ تركتَهُ لله».

«المنتعلُ راكبٌ»[1].

«المرءُ كثيرٌ بأخيهِ يكسوهُ يرفدهُ يحملهُ».

«زُرْ غِبّاً تزددْ حُبّاً».

«الخيرُ عادةٌ والشرُّ لجاجةٌ».

«الخيرُ كثيرٌ ومنْ يعملُ بهِ قليلٌ».

«المُستشارُ مُؤتَمَنٌ».

«منْ حُسْنِ إسلامِ المرءِ تركهُ ما لا يعنيهِ».

«القناعةُ مالٌ لا ينفدُ».

«ما عالَ منِ اقتصدَ».

«أيُّ داءٍ أدوى من البُخلِ؟».

---

(١) المنتعل: لابس الحذاء.

«رأس العقلِ بعدَ الإيمانِ باللهِ التَّودُّدُ إلى النَّاسِ».

«إذا أتاكمْ كريمُ قومٍ فأكرموهُ».

«النَّاسُ معادن».

«منْ رُزِقَ منْ شيءٍ فَلْيَلْزَمْهُ».

«المُؤمنُ غِرٌّ كريمٌ، والفاجرُ خَبٌّ لئيمٌ»[1].

«عليكَ باليأسِ ممَّا في أيدي النَّاسِ، وإيَّاكَ والطَّمعَ فإنَّهُ فقرٌ حاضرٌ».

«الصبرُ عندَ الصَّدمةِ الأُولى».

«أفضلُ العملِ أدومهُ وإنْ قلَّ».

«الشَّديدُ منْ غلبَ هواهُ».

«الولدُ ريحانٌ من الجنَّةِ».

«خيركمْ خيركمْ لأهلهِ».

«المُستشيرُ مُعانٌ».

«خيركمْ منْ طالَ عمرهُ وحَسُنَ عملهُ».

---

(١) الخب: الخداع.

«حُسنُ الجوارِ عمارةٌ للدِّيار» .

«الأنصارُ شِعارٌ والنَّاسُ دِثارٌ»[1] .

«لا سَهْلَ إلا ما جعلتهُ سهلاً» .

«خيرُ النساءِ الولودُ الودودُ»[2] .

«ما نحلَ والدٌ ولده أفضلَ منْ أدب حسنٍ» .

«الطَّاعِمُ الشَّاكرُ بمنزلةِ الصَّائمِ الصَّابرِ» .

«لو كانَ لابنِ آدمَ واديان منْ ذهبٍ لابتغى إليهما ثالثاً، ولا يملأُ جوفَ ابنِ آدمَ إلا التُّرابُ، ويَتُوبُ اللهُ على من تابَ» .

«تدمعُ العينُ ويحزنُ القلبُ ولا نقولُ ما يُسخطُ الرَّبَّ» .

«مَنْ عَمِلَ عملاً أدَّاهُ اللهُ عمله» .

«إنَّ اللهَ يُحبُّ معالي الأمورِ ويكرهُ سفسافها» .

«كادَ الفقرُ أن يكونَ كُفراً» .

«التَمِسُوا الرِّزْقَ في خبايا الأرضِ» .

---

(١) الشعار: اللباس الذي يلي شعر الجسد. الدثار: الثوب الذي يلي الشعار.

(٢) الودود: المُحبَّة.

«ذو الوجهين لا يكونُ عندَ الله وجيهاً» .

«أفضلُ الصَّدقةِ على ذي رَحِمٍ كاشِحٍ»[1] .

«أصحابي كالنُّجومِ بأيِّهِم اقتديتم اهتديتُمْ» .

«إنَّكمْ لن تَسَعُوا النَّاسَ بأموالكمْ، ولكنْ سَعُوهم بأخلاقكمْ» .

«استعينوا على حوائجكمْ بالكتمانِ، فإنَّ كلَّ ذي نعمةٍ محسودٌ» .

«أخوفُ ما أخافُ على أمتي مُنافقٌ عليمُ اللِّسانِ» .

«رَحِمَ اللهُ عبداً قالَ خيراً فغنمَ أو سكتَ فسلِمَ» .

«صلةُ الرحم مَثْرَاةٌ للمال مَنْسَأةٌ في الأَجَل»[2] .

«بُعِثْتُ بالحنيفيَّة السمْحَةَ» .

«مُرُوا بالخيرِ وإنْ لمْ تفعلوهُ» .

«التَّواضعُ شرفُ المُؤمنِ» .

---

(١) الكاشح : المضمر العداوة .

(٢) منسأة : إطالة للأجل وتأخير له .

وقال: «إياكم والمُشارَّة، فإنَّها تُميت الغُرَّة وتُحيي العُرَّة»(1).

وقال عليه السلام: «أحسنُ النِّساءِ بركةً أحسنهنَّ وجهاً وأرخصهنَّ مهراً».

وقال: «الدنيا متاعٌ وأفضلُ متاعها الزَّوجةُ الصَّالحة».

وقال ﷺ: «لا مالَ أعودُ منَ العقل، ولا وحدةَ أوحشُ من العُجب، ولا عقلَ كالتَّدبير، ولا قرينَ كحُسنِ الخُلُق، ولا ميراثَ كالأدب، ولا فائدة كالتَّوفيق، ولا تجارةَ كالعمل الصَّالح، ولا ربحَ كثوابِ الله، ولا ورعَ كالوقوفِ عندَ الشُّبهةِ، ولا زُهدَ كالزُّهد في الحرامِ، ولا علمَ كالتَّفكُّرِ، ولا عبادةَ كأداءِ الفرائضِ، ولا إيمانَ كالحياءِ والصَّبرِ، ولا حسبَ كالتَّواضعِ، ولا شرفَ كالعلمِ، ولا مُظاهرة أوثقُ من المُشاورةِ، فاحفظِ الرأسَ وما حوى، والبطنَ وما وعى، واذكرِ الموتَ وطولَ البلى».

وقال ﷺ: «مَنْ عاملَ النَّاسَ فلمْ يظلمهمْ، وحدَّثهمْ فلمْ يُكذِّبهمْ، ووعدهمْ فلمْ يُخلفهمْ فهوَ مؤمنٌ كَمُلَتْ مُرُوءتُهُ، وظهرتْ عدالتهُ، ووجبتْ أُخوتُهُ، وحرُمتْ غيبتُهُ».

---

(1) الغرة: العمل الصالح، من غرة الفرس. والعرة: الفعلة القبيحة.

وكتب عليه السلام إلى بني أسد بن خزيمة ومن يألف إليهم من أحياء مُضر: «إنَّ لكمْ حِماكُمْ ومرعاكمْ، ولكمْ مَهِيلُ الرِّمالِ وما حازتْ، وتلاعُ الحَزْنِ وما ساوتْ، ولكم مفيض السَّماءِ حيثُ استنهى، وصديعُ الأرضِ حيثُ ارتوى»(١).

وقال ﷺ: «مثلُ الذي يُعْتِقُ عند الموتِ كمثلِ الذي يُهدي إذا شبعَ».

وقال: «الاقتصادُ نِصفُ العيش، وحُسْنُ الخُلقِ نصف الدين».

وقال عليه السلام: «مَثَلُ الفقرِ للمؤمنِ كَمَثَلِ فرسٍ مربوطٍ بحكَمَتِهِ إلى آخيةٍ كلَّما رأى شيئاً مما يهوى ردَّته الحَكَمَةُ»(٢).

روي عن زيد قال: تلقيت هذه الخطبة مِنْ فِيْ رسول الله ﷺ بتبوك، سمعته يقول: «أما بعد. فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ،

---

(١) الهيل والهيال: ما انهال من الرمل. التلاع: جمع تلعة وهي ما ارتفع من الأرض. الحزن: ما غلظ من الأرض. المفيض: مسيل الماء. الصدع: الشق في أرض صلبة أو هو نبات الأرض.

(٢) الحكمة: الحديدة توضع في اللجام حول حنك الدابة. الآخية: حبل صغير يربط في الحائط من طرفيه وتشدّ به الدابة.

وأوثقَ العُرى كلمةُ التَّقوى، وخيرَ المِلَلِ مِلّةُ إبراهيمَ، وخيرَ السُّنَنِ سُنَّةُ محمد، وأشرفَ الحديث ذِكْرُ الله، وأحسنَ القصصِ هذا القرآن، وخيرَ الأمورِ عوازِمُها، وشَرُّ الأمور مُحدثاتها، وأحسنَ الهُدى هدى الأنبياء، وأشرفَ الموت قتلُ الشُّهداء، وأعمى العمى الضلالة بعدَ الهُدى، وخيرُ العمل ما نفع، وخير الهُدى ما اتُّبِعَ، وشرُّ العمى عمى القلب، واليد العُليا خيرٌ من اليد السُّفلى، وما قلَّ وكفى خيرٌ مِمَّا كثرَ وألهى، وشرُّ الندامة ندامةُ يومِ القيامة، ومن الناسِ من لا يأتي الجُمعة إلا نَزْراً، ومنهم من لا يذكرُ الله إلا هُجراً، وإن أعظمَ الخطايا اللسانُ الكذوبُ، وخيرُ الغنى غِنى النَّفسِ، وخيرُ الزَّادِ التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله، وخير ما أُلقيَ في القلب اليقينُ، والارتياب منَ الكُفْر، والنِّياحة[1] من عمل الجاهلية، والغُلول[2] من جهنَّمَ، والسُّكْر من النار، والشِّعر من إبليسَ، والخمرُ جماعُ الإثمْ، والنِّساءُ حبائلُ الشَّيطان، والشَّباب شُعبةٌ من الجنون، وشر الكَسْب كَسْبُ الرِّبَا، وشر المأكَلِ أكلُ مالِ اليتيمِ، والسَّعيد من وُعِظَ بغيرِه، والشقيّ من شَقِيَ في بطنِ

(١) النياحة: البكاء على الميت.

(٢) الغلول: الخيانة.

أُمِّهِ، وإنَّما يصيرُ أحدكمْ إلى موضعٍ أَذْرُعٍ، والأمرُ إلى آخره، وشرُّ الرَّوايا[1] روايا الكذب، وكلُّ ما هو آتٍ قريبٌ، وسبابُ المُؤمنِ فسْقٌ، وقتالُ المُؤمنِ كفْرٌ، وأكل لحمه مِنْ معصية الله، وحُرمةُ ماله كحرمةِ دمه، ومن يتألَّ[2] على الله يُكذِّبْهُ، ومَنْ يغفرْ يغفر اللهُ لهُ، ومنْ يصبرْ على الرَّزِيَّةِ يُعوضْهُ اللهُ، ومنْ يصُمْ يُضاعفِ اللهُ له، ومن يَعصِ اللهَ يُعذِّبهُ الله، اللَّهمَّ اغفرْ لأُمَّتي، اللهم اغفرْ لأُمتي -ثلاث مرات- استغفر الله لي ولكم».

روي عنه ﷺ أنه قال: «زوِّجوا أبناءكم وبناتكم». قالوا: يارسول الله؛ هؤلاء أبناؤنا نُزوِّجُ، فكيفَ بناتنا؟ فقال: «حلُّوهن بالذهب والفضَّة، وأجيدوا لهُنَّ الكسوةَ، وأحسنوا إليهن النِّحْلَةَ يُرغَبْ فيهن»[3].

وقال عليه السلام: «أربعٌ مِنْ قواصِمِ الظَّهرِ؛ إمامٌ تطيعهُ فيُضلُّكَ، وزوجةٌ تأمنها فتخونُكَ، وجارٌ إنْ رأى حسنةً سترها وإنْ رأى قبيحةً أذاعها، وفقرٌ يتركُ المرء متلدِّدًا»[4].

---

(١) والروايا: ما يروي الإنسان في نفسه من قول أو عمل.

(٢) من يتألَّ على الله: من يحكم ويحلف على الله كأن يقول والله ليفعلن الله كذا...

(٣) النحلة: العطاء أو المهر.

(٤) المتلدد: المتحير في تبلد.

قال: «ما خابَ مَنِ استخار، ولا نَدِمَ من استشار، ولا افتقرَ من اقتصد».

وقال عليه السلام: «اغدُ عالمًا أو متعلّمًا أو مجيبًا أو سائلاً، ولا تكن الخامسَ فتهلكَ».

وقال: «ياعجبًا للمُصدِّقِ بدار الخلودِ وهو يسعى لدارِ الغُرور».

وقال: «إذا غضِبَ أحدكم وكان قائمًا فليقعدْ، وإنْ كانَ قاعدًا فليضطجعْ».

وقال رجل من مُجاشع: يارسول الله. ألستُ أفضلَ قومي؟ فقال: «إنْ كانَ لكَ عقلٌ فلكَ فضلٌ، وإنْ كانَ لكَ خُلُقٌ فلك مُروءةٌ، وإن كانَ لكَ مالٌ فلكَ حسبٌ؛ وإن كانَ لكَ تُقًى فلك دينٌ».

وقال: «ليسَ خيركمْ مَنْ تركَ الدُّنيا للآخرةِ، ولا الآخرةَ للدُّنيا ولكنَّ خيركمْ من أخذَ مِنْ هذهِ وهذه».

وقال: «إنْ قامت السَّاعةُ على أحدكمْ وفي يدهِ فسيلةٌ فاستطاع أن يغرسها فليفعلْ»[1].

---

(١) الفسيلة: النخلة الصغيرة.

وقال رجل له عليه السلام: إني أُريد سفراً. فقال: «في حفظ الله وكَنَفه، زودَّكَ الله التَّقوى، وغفرَ ذنبك ووجَّهكَ للخير حيثُ كنتَ».

وقال عليه السلام لأحد ابني ابنته «إنَّكمْ لتُجبِّنونَ، وإنكم لتُبخِّلون، وإنكم لمنْ ريحانِ الجنَّةِ».

وروي أنه عليه السلام قال: «إيتوني برُطَبٍ سقِيٍ وبَعْل». فجعل يأكل من البعل. فقيل له: لو أكلت من هذا فإنه أصفى وأطيب. فقال: «إنَّ هذا لمْ يعرقْ فيه بَدَنٌ، ولم تجعْ فيه كَبِد»[1].

وروي أنه عليه السلام زار أخواله من الأنصار ومعه علي عليه السلام، فقدّموا إليه قناعاً من[2] رطب، فأهوى عليّ ليأكل، فقال له رسول الله ﷺ: لا تأكل، فإنك حديثُ عهد بالحُمَّى».

وروي عنه عليه السلام أنه قال: «بيتٌ لا تمر فيه جِياعٌ أهلُه».

---

(١) السقي (بكسر السين) ما سقي بالماء.

(٢) القناع: الطبق يوضع فيه التمر.

وروي عنه أنه قال: «أطعموا المرأةَ في شهرها الذي تلد فيه التمرَ، فإن ولدها يكونُ حليماً تقياً».

جاءت فاطمة بالحسن والحسين إلى رسول الله ﷺ، فقالت: انحلهما. فقال: «ما لأبيك مال ينحلُهُما.» ثم أخذ الحسن فقبّله وأجلسه على فخذه اليمنى، وقال: «ابني هذا نحلتُهُ هيبتي وخُلُقي.» ثم أخذ الحسين فقبّله وأجلسه على فخذه اليسرى وقال: «أمّا ابنّي هذا فنحلتُهُ شجاعتي وجودي.»

وقال: «رَحِمَ اللهُ والداً أعانَ ولدَهُ على برِّه».

وروت أمُّ سلمة[1] عنه ﷺ أنه قال: «إنكم تختصمون إليَّ، ولعل بعضكمْ أن يكون ألْحنَ بحُجته[2] من بعض، وإنما أنا بشرٌ أحكُمُ على نحوِ ما أسمعُ، فمن قطعتُ له شيئاً من مالِ أخيه فلا يأخذنَّه، فإنما أقطعُ لهُ قِطعَةً مِنْ نارِ جهنمَ».

وقال عليه السلام: «اللهم إنّي أعوذُ بكَ من جارِ السُّوءِ في دارِ المقامَةِ؛ فإن جارَ الباديةَ يتحوَّلُ».

---

(١) أم المؤمنين أم سلمة - اسمها هند تزوجها الرسول سنة ٤هـ وروت عنه الأحاديث - ماتت سنة ٦١ هـ وهي آخر من مات من أمهات المؤمنين.

(٢) ألحن: من لحن بالكلام مال به عن وجهه.

وقـال: «تجـافـوا عـن عثـرةِ السَّخِيِّ، فـإنَّ الله آخـذٌ بـيـدهِ كُلَّما عثرَ».

قـال بعـضـهـم: تتـبعـت خطب رسـول الله ﷺ، فـوجـدت أوائل أكثرها: «الحمدُ لله، نحمدهُ ونستعينهُ، ونؤمِنُ بهِ ونتوكَّلُ عليـه، ونسـتـغـفـرهُ ونتـوبُ إليـه، ونعـوذُ بالله مِنْ شـرورِ أنفُسنا وسـيِّئـاتِ أعـمـالنا، من يهـدِ اللهُ فـلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلْ فـلا هادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ».

قال عليه السلام: «الأكلُ في السُّوقِ دناءة».

وسُئل عليه السلام: أيّ الشرابِ أفضلُ؟ فقال: «الحلوُ البارد» يعني العسلَ.

والعربُ تصف العسلَ بالبردِ قال الأعشى:

كما شِيْبَ بماءٍ بَا . رِدٌ من عَسَلِ النَّحْلِ[1]

وعنه عليه السلام: «من استقلَّ بدائه فلا يتداوينَّ؛ فإنه ربَّ دواءٍ يورث الداءَ».

وعنه: «كلُّ شيءٍ يلهـو به الرجلُ باطلٌ إلا تأديبَه فـرسَهُ، ورميَه عن قوسِهِ، وملاعبتَه أهلَه».

---

(١) البيت لأعشى قيس.

وفي حديثه عليه السلام: «من أرادَ اللهُ بهِ خيراً فقَّههُ في الدِّينِ، وعرَّفه معايبَ نفسه».

وفيه: «ألا أخبركُمْ بأشدِّكم؟ مَنْ ملك نفسه عند الغضب».

وفيه: «المشاورةُ حصنٌ من النَّدامةِ، وأمْنٌ مِنَ الملامَةِ».

سأل عليه السلام جابرَ بن عبد الله[1]: «ما نكحْتَ؟» قال: ثيِّباً، قال: «فهلا بِكراً تُلاعِبُها وتُلاعِبُكَ».

وفي الحديث: «حصِّنُوا أموالكمْ بالزَّكاةِ، وادفعوا أمواجَ البلاءِ بالدُّعاءِ».

وفيه: رحمَ اللهُ امرأً صمتَ فسلِمَ، أو قال خيراً فغنِمَ».

وفيه: «لا بأسَ بالشِّعْرِ لِمَنْ أرادَ انتصافاً مِنْ ظُلْمٍ، واستِغناءً منْ فقرٍ، وشكراً على إحسانٍ».

وفيه: «مُرُوا بالمعروفِ وإن لَمْ تعملوا بِهِ، وانْهَوْا عن المنكرِ وإن لمْ تنتهوا عنهُ».

---

(١) جابر بن عبد الله الأنصاري أحد المحدثين المكثرين عن الرسول، شهد أحُداً وما بعدها توفي سنة ٧٨هـ.

وفيه: «أجرؤكُمْ على النَّار أجرؤكُمْ على الفتْيا».

وروي عن بعضهم أنه قال: سألتُ النبيَّ ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ياأيُّها الذينَ آمنوا عليكمْ أنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إذا اهتديتُمْ﴾[1] فقال: «ائتَمِروا بالمعروفِ وتناهوا عن المُنكر؛ فإذا رأيتَ شُحّاً مُطاعاً وهوى متَّبعاً وإعجابَ كُلِّ امرئ بنفسِهِ فعليكَ نفسَكَ ودَعْ عنكَ العوامَّ».

وفيه: «إنَّ الصفَّاةَ الزلاءَ[2] التي لا تثبُتُ عليها قدَمُ العلماءِ الطَّمعُ».

وفيه: «الوُدُّ والعداوةُ يُتوارثان».

وكان عليه السلام يقبِّل الحسَنَ، فقال الأقرع بن حابس[3]: إنَّ لي منَ الولد عشرةً ما قبَّلتُ واحداً منهم، فقال عليه السلام: «فما أصنعُ إنْ كان اللهُ قدْ نزعَ مِنْ قلبِكَ الرَّحمةَ».

---

(١) سورة المائدة ١٠٥.

(٢) الصفاة الزلاء: الصخرة الناعمة.

(٣) الأقرع بن حابس أحد المؤلفة قلوبهم، أسلم بعد فتح مكة وشهد مع خالد حروب العراق.

وقال: «إن اللهَ يسألُ العبدَ عنْ جاهه كما يسألُهُ عَنْ ماله، فيقول: جعلتُ لك جاهاً فهلْ نصرتَ به مظلوماً، أو قمعتَ به ظالماً، أو أعنتَ به مكروباً».

وعنه عليه السلام: «أفضلُ الصَّدقة أن تُعينَ بجاهك مَنْ لا جاهَ لهُ».

«الخَلْقَ عيالُ الله، فأحبُّهُمْ إليه أنفعهُمْ لعياله».

«أعدى عدوٍّ لكَ نفسُكَ التي بينَ جنبيكَ».

«إياكم وخضراءَ الدِّمَن. قيل: ما خضراءُ الدِّمَنِ؟ قال: المرأةُ الحسناءُ في منبَتِ سوءٍ».

«مَنْ حفظَ ما بينَ لحييه ورجليه دخلَ الجنَّةَ»[1].

«عليكمْ باصطناعِ المعروف فانَّهُ يدفعُ مصارعَ السُّوءِ».

«إذا دُعي أحدكُمْ إلى طعام فليُجبْ، فانْ شاءَ طَعِمَ وإنْ شاءَ تَركَ».

«من آتاهُ اللهُ وجهاً حسناً واسماً حسناً، وجعلهُ في موضعٍ غير شائنٍ فهو مِنْ صفوةِ خلقه».

---

(١) لحييه: فكّيه، والمقصود اللسان.

وكان عليه السلام يقول: «أعوذُ باللهِ مِنَ الكُفْرِ والدَّيْن».

وقال: «مَنْ قدرَ على ثمن دابَّةٍ فليشترها فإنَّها تأتيه برزقِها فتُعينه على رزقهِ».

ويُروى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: لقد ضممتُ إليَّ سلاحَ رسولِ الله ﷺ، فوجدتُ في قائمِ سيفه صحيفةً معلقةً فيها: «صِلْ مَنْ قطعكَ، وأحْسِنْ إلى من أساءَ إليكَ، وقل الحق ولو على نفسك».

وعنه- عليه السلام: «اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ مِنْ عِلْمٍ لا ينفعُ، وقلبٍ لا يخشعُ، ونفسٍ لا تشبَعُ».

وعنه: «من ازداد في العلمِ رُشداً، ولمْ يزددْ في الدُّنيا زُهداً، لم يزددْ مِنَ اللهِ إلا بُعداً».

وروي أنه جاءه عليه السلام رجل فقال: صِفْ لي الجنةَ؛ فقال: «فيها فاكهةٌ ونخلٌ ورُمَّانٌ».

وجاء آخر فقال مثل قوله فقال: «فيها سدرٌ مخضودٌ، وطَلْحٌ منضود، وفُرشٌ مرفوعةٌ، ونمارقُ مصفوفةٌ»[1].

---

(١) السدر: شجر النَّبق. مخضود: مكسور أو مقطوع. الطلح: شجر عظام. النمارق: جمع نمرقة وهي الوسادة الصغيرة.

وجاء آخر فسأله عن ذلك، فقال: «فيها ما تشتهي الأنفسُ وتلذُّ الأعينُ». وجاء آخر فسأله. فقال: فيها ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطرَ على قلب بشرٍ»؛ فقالت عائشة، ما هذا يارسول الله؟ قال: «إنِّي أُمرتُ أنْ أكلمَ النَّاسَ على قدر عقُولهمْ».

وروي أنه كان - عليه السلام - يُجيبُ دعوةَ المملوكِ، ويركبُ الحمارَ ردفاً.

وقال عليه السلام: «اشتدِّي أزمة تنفرجي».

وقال: «مَنْ سترَ أخاهُ المُسلمَ سترهُ الله يومَ القيامة، ومن نفَّسَ عن أخيه كُربةً مِنْ كُرب الدُّنيا نفَّسَ اللهُ عنه كُربةً مِنْ كُرب الآخرةِ والله عزَّ وجلَّ في عونِ العبدِ ما دامَ العبدُ في عونِ أخيه».

وقال: «انتظارُ الفَرَجِ عبادة».

وقال لعلي رضي الله عنه: «اعلم أنَّ النَّصرَ معَ الصبْرَ، والفرجَ معَ الكربِ، وأنَّ معَ العُسرِ يُسراً».

وعنه: «لأنْ أكونَ في شدَّة أتوقَّعُ بعدها رخاءً، أحبَّ إليَّ من أن أكونَ في رخاءٍ أتوقَّعُ بعده شُدَّةً».

* * *

خطبته في حجة الوداع[1]

«الحمد لله، نحمده ونستعينهُ، ونستغفرهُ ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالنا، مَنْ يهدِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له. وأشهد أن لا إلهَ إلا الله وحدهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدهُ ورسولهُ.

أُوصيكم عبادَ الله بتقوى الله، وأحثُّكم على العملِ بطاعتهِ، وأستفتحُ اللهَ بالذي هو خيرٌ.

أما بعد، أيُّها الناسُ؛ اسمعوا مني أُبيِّنْ لكم، فإنِّي لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا.

أيها الناس؛ إن دماءكمْ وأموالكمْ عليكمْ حرامٌ إلى أنْ تلقَوْا ربَّكمْ، كحُرمةِ يومِكمْ هذا من شهركم هذا؛ ألا هل بلغتُ؟ اللهم اشهدْ. فمنْ كانتْ عنده أمانةٌ فليؤدِّها إلى من ائتمنهُ عليها. وإن رِبا الجاهلية موضوعٌ. وأولُ رِباً أبدأُ به ربا العباس بن عبد المطلبِ. وإن دماءَ الجاهليةِ موضوعةٌ، وأولُ دمٍ

---

(١) في السنة العاشرة من الهجرة.

أبدأ به دمُ عامر بن ربيعةَ الحارثِ بن عبدِ المطلب[1] ، وإن مآثرَ الجاهليةِ موضوعةٌ غير السِّدانةِ والسِّقاية . والعَمْدُ قَوَدٌ. وشبهُ العمدِ ما قُتِلَ بالعصا والحجر ، وفيه مائةُ بعيرٍ . فمن ازدادَ فهو مِن الجاهلية .

أيها الناس ؛ إن الشيطانَ قد يئسَ أن يُعبدَ بأرضكم هذه ، ولكنه قدْ رَضِي أن يُطاع فيما سوى ذلكَ مما تحقرونَ من أعمالكم[2] .

أيها الناس ﴿إنَّما النَّسيء[3] زيادةٌ في الكُفر يُضلُّ به الَّذين كفروا يُحلُّونه عاماً ويُحرِّمونه عاماً ليُواطئُوا عدَّةَ ما حرَّمَ اللهُ﴾[4] . وإن الزَّمان قد استدار كهيئته يومَ خلق الله السموات والأرضَ ، وإن عدَّةَ الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلقَ السموات والأرضَ . منها أربعةٌ حُرُمٌ ؛ ثلاثةٌ متوالياتٌ ، وواحدٌ فرْد : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرَّم ، ورجب الَّذي بين جُمادى وشعبان . ألا هلْ بلَّغت؟ اللهم اشهدْ.

---

(١) الحارث بن عبد المطلب كان مسترضعاً في بني ليث فقتله بنو هذيل .

(٢) المراد في الذنوب التي تستخفون بها .

(٣) النسيء : تأخير حرمة الشهر الحرام إلى شهر آخر ، فقد كانوا في الجاهلية إذا أهل شهر حرام ، اخروا حرمته لشهر سواه .

(٤) سورة التوبة ٣٧.

أيها الناس؛ إنَّ لنسائكم عليكم حقاً، ولكم عليهنَّ حقاً.
فعليهنَّ ألا يُوطِئْن فُرُشكم، ولا يُدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة؛ فإنْ فعلن فإنَّ الله قد أذن لكم أنْ تَعْضُلُوهُنَّ[1] وتهجروهنَّ في المضاجع وتضربوهنَّ ضرباً غير مُبرِّح. فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهُنَّ وكسوتهُنَّ بالمعروف؛ فإنَّما النساءُ عندكم عوَانٍ لا يملكن[2] لأنفسهنَّ شيئاً، أخذتموهُنَّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنَّ بكتابِ الله، فاتَّقوا اللهَ في النِّساءِ واستوصوا بهنَّ خيراً.

أيها الناسُ؛ إنما المؤمنونَ إخوة، ولا يَحِلُّ لامرئ مالُ أخيه إلا على طيب نفسٍ منهُ. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهدْ.

فلا تَرْجِعُنَّ بعدي كفَّاراً يضربُ بعضكم رقابَ بعض؛ فإنِّي قدْ تركتُ فيكم ما إنْ أخذتُم به لَنْ تضلُّوا: كتابَ اللهِ. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس؛ إن ربكم واحدٌ، وإن أباكم واحدٌ. كلكم لآدم وآدمُ منْ ترابٍ، أكرمكم عندَ اللهِ أتقاكم. وليسَ لعربي

---

(١) تعضلوهن: تضيقوا عليهن.

(٢) عوان: أسرى.

على عجمي فضلٌ إلا بالتَّقوى. ألا هل بلغت؟ قالوا: نعمْ. قال: فليبلِّغِ الشاهدُ الغائبَ.

أيها الناس؛ إن الله قد قسم لكلِّ وارثٍ نصيبه من الميراث. ولا يجوز لوارثٍ وصيةٌ في أكثر من الثُّلث. والولدُ للفراشِ وللعاهر الحجر[1]. من ادَّعى إلى غير أبيه ومَنْ تولَّى غيرَ مواليه فعليه لعنةُ الله والملائكة والناسِ أجمعينَ، لا يُقبلُ منه صَرْفٌ ولا عَدْلٌ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

وعن قيس بن أبي غرزة[2] قالَ: خرج علينا رسولُ الله ﷺ، ونحن نبتاعُ في السوق؛ وكنا نُدعى السماسرة، فقال: «يامعشرَ التجار»، فاشرأبَّ القومُ، فقال: «ألا إنَّ الشَّيطانَ والإثم يحضُرانِ البيعَ فَشُوبُوا بيعكمْ بصدقة.» قال: ففرحنا بقول رسول الله ﷺ: يامعشر التجار، وكان أولَ من سمَّانا التجار.

«رُبَّ أشعثَ أغبَرَ لو أقسمَ على الله لأبرَّهُ».

«إذا نظرَ أحدكمْ إلى مَنْ فضلَ عليه في المالِ والخلقِ، فلينظر إلى من هوَ دونهُ ممَّنْ فضلَ هوَ عليه».

---

(١) أي لا حق له في النسب أو الولد، إنما الولد لصاحب الفراش وهو الزوج.

(٢) هو قيس بن أبي غرزة الغفاري، أسلم وسكن الكوفة.

وكتب عليه السلام لعبد الله بن جحش [1]، وكان أخرجه في ثمانية من المهاجرين:

«من محمد رسول الله، عليكمْ بتقوى الله، سيروا على بركة الله حتَّى تأتوا نُخيلة، فعليكمْ إقامةُ يومين، فإنْ لقيتمْ كيداً فاصبروا، وإن غنمتمُ فوفِّروا، وإنْ قتلتمْ فأثخنوا [2]، وإنْ أعطيتمْ عهداً فأوفوا، ولا تقبلوا عهدَ المُشركين».

وقال لعمرو بنِ العاص لمَّا أخرجهُ إلى ذات السُّلاسل [3]

«ياعمرو؛ إني قدْ بعثتُ معكَ المهاجرينَ قبلكَ، واستعملتكَ على مَنْ هُوَ خيرٌ منكَ. إذا أذَّنَ مُؤذِّنُكَ للصَّلاة فاسبقهمْ، فإذا جهرتَ بالقراءة فارفعْ صوتكَ وأسمعهمْ تكبيركَ، ولا تُقصِّرْ في الصَّلاة فتُضيِّعَ أجرهُمْ، ولا تُطوِّلْ فتُملَّهُمْ، واسْمُرْ بهم فإنَّه أذكى لحراستهمْ ولا تُحدِّثهمْ عن ملوك الأعاجمِ فيتعلَّموا الغدرَ، ورغبتهمُ في الزِّيِّ فإنَّ ذلكَ المُلكَ أُخذَ بغيرِ الله، وعُملَ فيه بمعصيةِ الله فدمَّرهُ اللهُ تدميراً».

---

(١) عبد الله بن جحش بن رباب هاجر إلى المدينة، شهد بدراً وقتل في أُحد.

(٢) أثخنوا: أكثروا الجراح في عدوكم.

(٣) غزوة ذات السلاسل في السنة الثانية من الهجرة، أرسلها رسول الله إلى بني عذرة يدعوهم للإسلام وقادها عمرو بن العاص.

ثم أمدّه بأبي عُبيدة، ومعهُ أبو بكر وعُمَر وغيرهما.

وقال له . . .

«لا تستأخِرَنَّ عَنِ الله فتُسبقَ إليه، قُلْ ما تفعلُ، واعملْ ما تأمرُ ولا تُشقِّقِ الكلامَ تشقيقَ الكُهَّانِ، ولا تبحثْ عَنِ المعصيةِ، ولا تسألْ عَنِ القالة. وتغمَّدْ[1] ما لم تكُنْ البيِّنةُ، وإذا وجبَ الحدُّ فلا تُقصرِّ عنهُ، وإذا قدمتَ على صاحبكَ فإنْ عصاكَ فأطعْهُ».

وكان عليه السلام إذا بعث سريّة أو وجَّهَ جيشاً قال:

«اغزوا باسم الله وفي سبيلِ الله، لا تَغْدُروا ولا تَميلوا، ولا تَجبُنُوا ولا تَغُلُّوا، وإذا أنتَ لقيتَ عدوكَ من المشركينَ فادعُهُمْ إلى إحدى ثلاثِ خصالٍ، وما أجابوكَ إليها فاقبلْ: ادعهمْ أنْ يدخلوا في الإسلامِ؛ فإن فعلوا كان لهمْ ما للمُسلمينَ، وعليهم ما عليهمْ؛ فإنْ أبوا فإلى أن يُعطوا الجزيةَ عنْ يدٍ وهُمْ صاغرون[2]، فإنْ أبوا فاستعنْ عليهمْ بالله وقاتلهمْ، ولا تُنْزِلوهمْ على حُكمِ الله؛ فإنكمْ لا تدرونَ أتُصيبونَ حُكمَ الله

(١) تغمد: من السيف إذا وضع في غمده.

(٢) صاغرون: أذلاء.

فيهمْ أمْ لا، ولكنْ أنزلوهمْ على حكمكمْ، ولا تُعطوهُمْ ذمَّةَ الله ولا ذمَّةَ رسولهِ، ولكنْ أعطوهمْ ذِمَمكمْ وذِمَمَ آبائكمْ فإنكم إنْ تَخْفُروها خير منْ أنْ تَخْفُروا ذمَّةَ الله وذمَّةَ رسوله».

* * *

وأول خطبة خطبها عليه السلام بمكةَ حين دعا قومهَ فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

«إنّ الرائدَ لا يكذبُ أُهْلَه، والله لو كَذَبْتُ الناسَ ما كذبتكم ولو غرَرْتُ الناسَ ما غررتكم، والله الذي لا إلهَ إلا هو إني لرسول الله إليكمْ حقاً، وإلى النَّاس كافَّةً، والله لتموتُنَّ كما تنامونَ، ولتُبْعَثُنَّ كما تستيقظونَ، ولتُحاسَبُنَّ بِما تعملون ولتُجْزَوُنَّ بالإحسان إحساناً، وبالسوء سُوءاً، وإنها للْجَنَّةُ أبداً أو النَّارُ أبداً، وإنكُمْ لأوَّلُ من أُنْذِر بينَ يديْ عذابٍ شديد».

* * *

وكان عليه السلام يقول في خطبة العيد:

«ياأيُّها النَّاسُ؛ آمنوا برسولِ الله، ﴿وقولوا قولاً سديداً* يُصلحْ لكمْ أعمالكمْ ويغفرْ لكمْ ذُنُوبكمْ﴾[1].

﴿ومَن يتَّقِ اللهَ يجعل لَهُ مَخْرَجاً* ويرزقهُ مِنْ حيثُ لا يحتسب﴾[2].

هذا يومٌ أكرمكمُ اللهُ به وخصَّكمْ، وجعلهُ لكمْ عيداً؛ فاحمدوا الله كما هداكمْ لمَا ضلَّ عنهُ غيركمْ، وقدْ بيَّنَ الحلالَ والحرامَ؛ غيرَ أنَّ بينهما شُبُهَاً من الأمرِ لَمْ يعلمها كثيرٌ منَ النَّاسِ، إلا مَنْ عصمَ اللهُ؛ فمنْ تركها حفظ عرضه ودينهُ، ومَنْ وقعَ فيها كانَ كالرَّاعي إلى جنْبِ الحمَى أوشكَ أنْ يقعَ فيه، فعليكمْ بطاعةِ اللهِ واجتنابِ سُخطهِ، غفرَ اللهُ لنا ولكمْ».

* * *

---

(١) سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١.

(٢) سورة الطلاق: ٢، ٣.

وذكر ابنُ عباس أنَّ أولَ خُطْبَة صلَّى بها الجُمُعَةَ:

«الحمدُ لله أحمدهُ وأستعينهُ وأستغفرهُ، وأستهديه، وأومِنُ به ولا أكفرهُ، وأُعادي مَنْ يَكْفُرُهُ. وأشهد أنْ لا إلهَ إلا الله وحدهُ لا شريكَ له، وأنَّ محمداً عبده ورسوله؛ أرسلهُ بالهُدَى والنورِ والموعظَةِ على فترةٍ من الرسلِ، وقلةٍ من العلمِ، وضلالةٍ مِنَ الناسِ، وانقطاعٍ من الزَّمانِ، ودنُوٍّ من الساعةِ، وقُرْبٍ مِنَ الآجالِ، فمن يُطِعِ اللهَ ورسولهُ فقدْ رشدَ، ومَنْ يعصِهما فقدْ غوى وفرَّط وضلَّ ضلالاً مبيناً».

وخطب - عليه السلام - يومَ الأحزاب فَحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه، ثم قال: «والذي بعثني بالحقِّ، إنَّهم لحِزْبُ الشَّياطينِ يُحدِّثُونهم فيكذبونهمْ، ويمنُّونهمْ فيغرُّونهمْ، ويَعدونهمْ فيُخلفونهمْ، والله ما حدَّثتكمْ فكَذَبْتكُمْ، ولا منَّيتكُمْ فغرَرْتُكُمْ، ولا وعدتُكُمْ فأخلفتكُمْ. اللهمَّ اضربْ وجوههم، وأكلَّ سلاحهمْ، ولا تباركْ لهم في مقامهمْ. اللهم مزِّقهم في الأرضِ تمزيقَ الرِّياحِ الجرادَ. والذي بعثني بالحقِّ لئن أمسيتمُ

قليلاً لتكثرُنَّ، ولئن كنتمْ أذِلَّةً لتعِزُّنَّ، ولئِنْ كنتمْ وضعاءَ لتشرفُنَّ حتَّى تكونوا نجوماً يُقتدى بواحدكمْ، يقال: قال فلان وقال فلان».

ومن كلامه الموجز الذي صار مثلاً

«ياخيلَ اللهِ اركبي».

«لا ينْتَطِحُ فيه عنَّزان».

«لا يلسع المؤمن من جحر مرتين».

«لا يجني على المرءِ إلا يدُهُ».

«الشديدُ مَنْ غلب نفسه».

«ليسَ الخبرُ كالمُعاينة».

«الشاهدُ يرى ما لا يرى الغائبُ».

«لو بغى جبلٌ على جبل لدُكَّ الباغِي».

«الحربُ خدعةٌ».

«المُسلِمُ مِرآةُ أخيه».

«اليد العُليا خيرٌ مِنَ اليد السُّفلى».

«البلاءُ مُوكَّلٌ بالمنطقِ».

«الغنى غنى النَّفسِ».

«الأعمالُ بالنِّيَّاتِ».

«اليمينُ الفاجرةُ تُدعُ البيوت بلاقع»[1].

«سيد القوم خادمهم».

«إنَّ منَ الشِّعْرِ حِكَماً».

«إنَّ مِنَ البيانِ سِحراً».

«الصحةُ والفراغُ نعمتانِ».

«ما نقصَ مالٌ مِنْ صدقةٍ».

«استعينوا على الحوائجِ بالكِتمانِ».

«ليسَ مِنَّا مَنْ غشَّنا».

وقال عليه السلام لأُصيل الخزاعي: «ياأُصيلُ، كيفَ

(١) بلاقع: جمع بلقع وهي الأرض القفر.

تركتَ مكَّةَ؟» قال: تركتُها وقد أحجنَ ثُمامُهَا، وأمشَر سَلَمُهَا، وأعذقَ إذخرُها[1]. فقال عليه السلام: «دَعِ القلوبَ تَقِرّ»[2].

وقال عليه السلام: «سرعةُ المشيِ تذهبُ ببهاءِ المؤمن».

وقال: «إنَّ اللهَ يُحِبُّ الجوادَ مِنْ خلقه».

وقال: «مَنْ أخافَ أهلَ المدينة فقدْ أخافَ ما بينَ جَنْبَيَّ».

وكان عليه السلام إذا دخل مكة كبّر ثلاثاً وقال: «لا إله إلا الله وحده، لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهُوَ على كل شيءٍ قديرٍ، آيبونَ تائبونَ، عابدون ساجدُونَ لربِّنا حامدونَ، صدقَ اللهُ وعْدَهُ، ونَصَرَ عبْدَهُ، وهزمَ الأحزابَ وحدَهُ».

وكان في جنازة فبكى النساء فانتهرهنّ عمر رضي الله عنه، فقال عليه السلام: «دعْهُنَّ يا عمرُ، فإنَّ النَّفْسَ مُصابةٌ، والعينَ دامعةٌ، والعهدَ قريبٌ».

وقال: «إنما بُعثتُ رحمةً مُهداةً».

---

(١) أحجن: بدا ورقه، وأمشر: اكتسى بالورق، وأعذق: بدت له عذوق شعب، والثمام: نبت، والسلم: شجرة.

(٢) لأن كلامه يثير الشوق إلى مكة في نفوس المهاجرين.

وقال: «إسباغُ الوضوءِ على المكارِهِ، وإعمالُ الأقدامِ إلى المساجِدِ، وانتظارُ الصَّلاةِ بعدَ الصَّلاةِ تغْسِلُ الخطايا غسلاً».

وقال: «مَنْ كانَ يُؤمِنُ باللهِ واليوم الآخِرِ فلا يرفعَنَّ إلينا عورةَ مُسلمٍ».

وقال: «من أعطى الذُّلَ مِنْ نفسِهِ فليسَ مِنِّي».

وقال: «كفُّكَ اللسان عَنْ أعراضِ النَّاسِ صِيَامٌ».

وقال: «القُرُّ بُؤْسٌ والحَرُّ أذًى»[1].



---

(١) القرّ: البرد.



البـــاب الثالـــث



غرر من كلام أميرِ المؤمنين عليٍّ عليه السلام وخُطَبِه

حُكى عن ابنِ عبّاسٍ أنه قال: عَقِمت النساء أن يأتين بمثل علي بن أبي طالب؛ لعهدي به يوم صِفّين وعلى رأسه عمامةٌ بيضاءُ، وهو يقف على شِرذمةٍ من الناس يحثُّهم على القتال، حتى انتهى إليّ وأنا في كَنَفٍ من الناس، وفي أُغيلمةٍ من بني عبد المطلب؛ فقال: يامعشر المسلمين تجلببُوا السكينة، وأكبرُوا اللأْمَةَ[1]، وأقلقوا السيوفَ في الأغماد، وكافحُوا بالظُّبا[2]، وصِلُوا السُّيُوفَ بالخُطا، فإنكم بعينِ اللهِ، ومع ابنِ عمٍّ رسولِ الله ﷺ، وعاودُوا الكرَّ، واستحيوا من الفرِّ؛ فإنه عارٌ في الأعقاب، ونارٌ يوم الحساب، وطِيبُوا عن الحياة نفساً، وسيروا إلى الموتِ سيراً سُجُحاً[3]؛ فَصَمْداً صَمْداً حتَّى يبلُغَ الكِتَابُ أجله. ﴿واللهُ معكمْ ولن يَتِرَكُمْ أعمالكُمْ﴾[4].

---

(١) اللأمة: الدرع وقيل السلاح عامة.

(٢) الظبا: جمع ظُبة: حد السيف أو السنان.

(٣) سجحا وسححا: سيراً في سهولة ويسر.

(٤) سورة محمد: ٣٥. والمعنى: ولن ينقصكم أجر أعمالكم.

ثم صدر عني وهو يقول: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾[1].

* * *

ومن كلامه عليه السلام:

أيها الناس: إن الصبرَ عَنْ محارِمِ اللهِ أيسرُ مِنَ الصَّبرِ عَنْ عذابِ اللهِ.

ومنه: كم بين عمل قد ذَهَبَ تَعَبُهُ، وبقي أجرُهُ، وبين عملٍ قد ذهبتْ لذّتُهُ، وبقيتْ تَبِعته.

وسئل عن بني هاشم فقال: أطيبُ الناس أنفُساً عند الموتِ وذكرِ مكارمِ الأخلاقِ.

وعن بني أمية فقال: أشدُّنا حُجَزاً[2]، وأدركُنا للأمور إذا طَلَبُوا.

---

(١) سورة التوبة: ١٤.

(٢) أشدنا حجزاً: أصبرنا على الجهد.

وعن بني المغيرة فقال: أولئكَ ريحانةُ قُريشٍ التي تشمُّها.

وسئل عن بطن آخر كنَّى عنهم فقال: ومن بقي من قريش.

وقال: خصصنا بخمس: فصاحةٍ، وصباحةٍ، وسماحةٍ، ونجدةٍ، وحُظوةٍ عند النساء.

وقال: رأيُ الشيخ أحبُّ إلينا من مَشْهد الغلام.

وقال الجاحظ قال أبو عبيدة: أول خطبة خطبها عليّ عليه السلام: حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ ثم قال:

أما بعد. فلا يُرْعيَنَّ[1] مرْءٌ إلا على نفسه؛ شُغِلَ مَنَ الجنة، والنارُ أمامه، ساعٍ مُجتهدٌ، وطالبٌ يرجُو، ومقُصرٌ في النارِ. ثلاثةٌ. واثنان: مَلَكٌ طار بجناحيه، ونبيٌّ أخذَ اللهُ بيده ولا سادسَ. هلكَ مَنِ ادَّعى، ورديَ مَن اقتحمَ؛ فإنَّ اليمينَ والشمالَ مَضَلَّةٌ، والوسطى الجادَّةُ[2]. منهجٌ عليه باقي الكتابِ

(١) الإرعاء: المحافظة والإبقاء على النفس.

(٢) الجادة: الطريق الواضح.

والسنة وآثارُ النبوة. إن الله داوى هذه الأمة بدواءين: السوطِ والسيف، لا هوادةَ عندَ الإمام فيهما. استتروا ببيوتكم، واصطلحُوا فيما بينكم، والتوبةُ من ورائكم. مَنْ أبدى صفحتهُ للحقِّ هلكَ. قَدْ كانتْ أمورٌ لمْ تكونوا فيها عندي محمودين. أمَا إني لو أشاء لقُلْتُ عفا اللهُ عمَّا سلف. سبقَ الرَّجُلانِ ونامَ الثَّالثُ[1]؛ انظروا. فإن أنكرتُمْ فأنكِرُوا وإن عرفتُم فأقِرُّوا؛ حقٌّ وباطلٌ. ولكلٍّ أهلٌ. ولئِنْ أمِرَ[2] الباطلُ لقديماً فعلَ. ولئن قلَّ الحقُّ لربَّما ولعلّ. ولقلَّما أدبرَ شيءٌ فأقبلَ. ولئنْ رجعتْ عليكم أموركُمْ إنكُمْ لسعُداء؛ وإني لأخشى أن تكونوا في فترةٍ. وما علينا إلا الاجتهادُ.

•

قال أبو عبيدة: وروى فيها جعفر بن محمد عليه السلام:

ألا إنَّ أبرارَ عترتي وأطايبَ أَرُومتي أحلمُ الناس صِغاراً، وأعلم الناس كِباراً. ألا وإنَّا من أهل بيتٍ مِنْ علمِ الله علَمْنَا، وبحكم الله حَكَمْنَا، ومن قولِ صادقٍ سَمِعْنَا، فإنْ تتبَعُوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا، وإن لم تفعلوا يُهلككمُ الله بأيدينا. معنا رايةُ الحقّ.

---

(١) يريد بالرجلين: أبو بكر وعمر، وبالثالث: عثمان.

(٢) أمر: كثُر.

مَنْ تبعها لَحَقَ، ومَنْ تأخر عنا غرق. ألا وبنا تُدرك تِرَةُ كلِّ مؤمن، وبنا تخلع ربقة[1] الذلِّ مِنْ أعناقِكُمْ، وبنا فُتِحَ لا بِكُم، وبنا يُختمُ لا، بكم.

* * *

وخطبة أخرى له:

أيها الناس المجتمعةُ أبدانُهم المختلفةُ أهواؤهُمْ. كلامُكُم يُوهي الصُمَّ الصِلاب. وفعلكُم يُطمِعُ فيكم عدوَّكُم. تقولون في المجالس كَيْتَ وكَيْتَ، فإذا جاء القتالُ قلتمُ حِيدي حَيَاد[2]. ما عزَّتْ دعوةُ مَنْ دعاكُمْ، ولا استراحَ قَلْبُ مَنْ قاساكُمْ، أعاليلُ بأضاليلَ. وسألتموني التَّأخيرَ دفاعَ ذي الدَّيْنِ المَطُول[3]، لا يمنع الضيمَ الذليلُ، ولا يُدْرَكُ الحقُّ إلا بالجِد، أيَّ دارٍ بعد داركم

---

(١) الربقة: الحبل يربط في عنق الشاة.

(٢) حيدي حياد: كلمة يقولها الهارب من الحرب.

(٣) مَطَلَهُ حقه: أجّل موعد الوفاء به مرّة بعد مرة.

تمنعون أمْ مَعَ أيِّ إمامٍ بعدي تقاتلون؟ المغرورُ واللهِ من غررتموهُ، ومَن فـازَ بِكُمْ فـازَ بالسَّهْمِ الأخـيب، أصـبـحتُ واللهِ لا أُصـدِّقُ قولكُمْ، ولا أطمعُ في نصركُمْ. فرَّقَ اللهُ بيني وبينكمْ! وأعقبني من هوَ خـيـرٌ لي منكمْ. واللهِ لوددتُ أن لي بكلِّ عـشـرةٍ منكم رجلا من بني فِرَاسِ بن غَنْمٍ، صرف الدينار بالدرهم.

وذمَ رجل الدنيا عنده؛ فقال الدُّنيا دارُ صِدقٍ لمن صدقها، ودارُ نجاةٍ لمَنْ فهِمَ عنها، ودارُ غِنًى لِمَنْ تزوَّدَ منها. مَهْبِطُ وَحْيِ اللهِ، ومُصَلَّى ملائكته، ومسجدُ أنبيائه، ومتجرُ أوليائه. ربحوا فيها الرحمةَ، واكتسبوا فيها الجنة. فَمَن ذا يذمُّها؟ وقد آذنتْ ببينها، ونادَتْ بفراقها، وشبَّهتْ بسرورها السُّرورَ وببلائها البلاءَ ترغيباً وترهيباً. فياأيها الذامُّ للدنيا المعلِّلُ نفسهَ، متى خدعتك الدنيا، أمْ متى استذمَّتْ إليك؟[1]. أَبِمَصَارِعِ آبائك في البِلَى أم بمضاجع أمَّهاتكَ في الثَّرَى، كم مَرَّضْتَ بيديكَ، وعلَّلْتَ بكفَّيْكَ، تطلُبُ له الشفاءَ، وتستوصفُ له الأطباء، غداةَ لا يُغني عنه دواؤكَ، ولا ينفعهُ بكاؤكَ.

ودعاهُ رجلٌ إلى طعام فقال عليه السلام: نأتيكَ على ألا تتكلَّفَ لنا ما ليس عندك، ولا تدَّخِرَ ما عندك.

---

(١) استذمت: أي فعلت ما يدعوك لذمها.

وقام إليه الحارثُ بن حوط الليثي وهو على المنبر فقال: أتظن أنّا نظن أنَّ طلحةَ والزبير كانا على ضلال؟ فقال: ياحار[1]؛ إنك ملبوسٌ عليك؛ إن الحق لا يُعرَفُ بالرِّجَال، فاعرف الحق تعرف أهله.

وكان عليه السلام يقول في دعائه: اللهمَّ إنَّ ذنوبي لا تَضرُّكَ وإنَّ رحمتَك إياي لا تَنْقصكَ فاغفِرْ لي ما لا يَضرُّكَ، وأعطني ما لا يَنْقصكَ.

وقيل له: كَمْ بينَ السماءِ والأرض؟ فقال: دعوةٌ مستجابةٌ.

وقيل له: كم بين المشرق والمغرب؟ فقال: مَسيرةُ يومٍ للشمس. من قالَ غَيْرَ هذا فقد كذب.

وسُئل عن عثمانَ، فقال: خذلَه أهلُ بدْر، وقتله أهل مصرْ؛ غير أنَّ من نصره لا يستطيعُ أن يقولَ خذلَهُ مَنْ أنا خيرٌ منْهُ. ووالله ما أَمَرْتُ به ولا نَهيْتُ عنه، ولو أمرتُ به لكنتُ قاتلاً، ولو نَهَيْتُ عنه لكنتُ ناصراً. استأثرَ عثمانُ فأساءَ الأَثَرَةَ، وجزعتُمْ فأفحشتمُ الجَزَعَ.

(١) أصله ياحارث، على الترخيم.

وسأله الحُسين عليه السلام عن النَّذالة، فقال: الجُرأةُ على الصديق، والنُّكُول عن العدو[1].

وقال: إن الله عزَّ وجل فرض في أموالِ الأغنياءِ أقواتَ الفقراء، فما جاعَ فقيرٌ إلا بما منعَ غنيٌّ. وعلى الله أنْ يسألهُمْ عن ذلكَ.

وقال عليه السلام: يأتي على الناس زمانٌ لا يقرَّبُ فيه إلا الماحل[2]، ولا يُظرَّف فيه إلا الفاجرُ، ولا يُضَعَّف فيه إلا المُنصفُ. يتَّخذُون الفيْءَ مغنماً، والصدقةَ مغرماً، وَصِلَةَ الرحمِ مناًّ، والعبادة استطالةَ على الناسِ؛ فعند ذلك يكون سلطانُ النساءِ، ومشاورةُ الإماءِ، وإمارةُ الصبيان.

وقال: عليكم بأوساطِ الأمورِ؛ فإنه إليها يرجع الغالي[3]، وبها يلحق التالي.

وخطب فقال: اتقوا اللهَ الذي إنْ قُلْتُمْ سَمِع، وإن أضمرتُمْ عَلِم، واحذروا الموتَ الذي إن أقمتُمْ أخذكُمْ، وإن

(١) نكل عن العدو: جبُن ونكص.

(٢) الماحل: الواشي.

(٣) الغالي: المبالغ المجاوز للحد.

هربتُم أدرككم. فقال ابن عباس: والله لكأنّ هذا الكلامَ ينزل من السماء.

وقال له رجل: عِظْني، فقال: لا تكنْ ممَّنْ يرجُو الجنةَ من غير عملٍ، ويؤخِّر التوبةَ لطولِ الأمل، ويقولُ في الدنيا بقولِ الزاهدينَ، ويعمل فيها بعمل الراغبين، إنْ أُعطي منها لم يَشْبَعْ، وإنْ مُنعَ منها لم يَقنعْ. يعجز عن شكر ما أُوتي، ويبتَغي الزيادة على ما أُولي ولا ينتهي. يقول: لا أعمل فأتعنَّى؛ بل أجلسُ فأتمنَّى؛ فهو يتمنّى المغفرةَ، ويَدِبُّ للمعصيةِ. وقد عُمِّرَ ما يتذكَّرُ فيه من تذكرَ.

وقال عليه السلام: خيرُ النِّساء الطيبةُ الريح، الطَّيِّبَةُ الطَّعامِ، التي إنْ أنفقتْ أنفقتْ قصْداً، وإن أمسكَتْ أمسكَتْ قصْداً، تلْكَ مِنْ عُمَّال الله، وعامِلُ الله لا يخيبُ.

وقال: الصمتُ في أوانه خيرٌ من المنطقِ في غيرِ أوانه.

وقال: إذا رأيْتَ في رجُلٍ خلَّةً رائعةً مِنْ خيرٍ أو سرٍّ فانتظِرْ أخواتها.

وقال: إنَّ الله تعالى لا يقبَلُ من الأعمال إلا ما صفا وصَلُب ورقَّ فأما صفاؤُها فللّهِ، وأما رِقَّتُها فللإخْوانِ، وأمَّا صلابتُها فللدِّينِ.

وقال: الفقيه كُلُّ الفقيه الَّذي لا يُقْنِطُ الناس من رحمة الله، ولا يؤْمِنُهُمْ مِنْ مَكْرِ الله، ولا يُؤيِسُهُمْ مِن رَحَمَةِ الله، ولا يُرَخِّصُ لَهُمْ في معاصي الله.

وكتب إلى سهل بن حُنَيف[1] وهو عامله على المدينة: بلغني أن رجالاً يخرجُونَ إلى معاوية؛ فلا تأسَفْ على ما فاتكَ منهُم؛ فكفى لهمْ غياً فرارهُمْ من الحقّ والهُدَى، وإيضاعُهُمْ[2] في الجهالة والعمى؛ إنَّما هُمْ أهْلُ دنيا، مُكبُّونَ عليها، قدْ علمُوا أنَّ في الحَقِّ أُسوةً فهربُوا منهُ إلى الأثرةِ؛ فبُعْداً لهمْ وسُحقاً، أما لو قَدْ بُعثِرَت القبورُ، واجتمعتِ الخصُومُ، وقُضِيَ بينَ العبادِ لتبيَّنَ لَهُمْ ما يكسبُونَ.

وكتب إلى مَصْقَلَةَ بن هُبَيرةَ:[3] بلغني عنك أمرٌ إنْ كنت فعلته فقد أتيتَ شيئاً؛ إذْ بلغني أنَّكَ تَقْسِمُ فَيءَ المُسلمينَ فيمن اعتفاك[4] مِنْ أعرابِ بكرِ بنِ وائلٍ، فو الَّذي فلقَ الحبَّةَ،

---

(١) وهو سهل بن حنيف الأنصاري شهد المشاهد مع الرسول، شايع عليا وشهد معه صفين وولاه الكوفة وبلاد فارس.

(٢) الإيضاع: سير مثل الخبب. والمعنى، سعيهم في الجهالة والعمى.

(٣) مصقلة بن هبيرة الشيباني، قائد. أحد أنصار علي تحول إلى معاوية، فولاه طبرستان.

(٤) اعتفاك: طلب معروفك.

وبرأ النَّسمةَ، لئنْ كان ذلك حقّاً لتجدَنَّ بكَ عليَّ هواناً. فلا تستهِنْ بحقِّ ربِّكَ، ولا تُصْلحْ دُنياكَ بمحْقِ دينك فتكونَ من: ﴿الأخسرينَ أعمالاً﴾ الآية[1].

وكتب إلى زياد - وهو خليفةُ ابن عباسٍ على البصرة - وكان أخرج إليه سعدا مولاه يستحِثُّهُ على حَمْل مالٍ فعاد وشكاه وعابه:

أمَّا بَعْد، فإنَّ سعداً ذكرَ أنَّكَ شتمتهُ ظُلماً له، وتهدَّدْتَهُ وجبهتَه، تجبُّراً وتكبُّراً. فما دعاك إلى التكبُّر؟ وقد قال رسول الله ﷺ: «الكبرُ رِداءُ الله فمَنْ نازَعَ اللهَ رِداءَهُ قصَمَهُ».

وأخبرني أنكَ تُكثر من الطعامِ والألوان، وتدَّهِنُ في كلِّ يوم؛ فما عليكَ لو صُمْتَ لله أياماً؟ وتصدَّقْتَ ببعض ما عندكَ مُحتسباً، وأكلتَ طعامكَ مِراراً قِتاراً[2]؛ فإنَّ ذلكَ دثارُ الصالحين، أتَطْمَعُ وأنتَ تتقلَّبُ في النَّعيمِ تستأثِرُ به على الجارِ المسكين، والضَّعيفِ الفقير، والأرملةِ واليتيم، أنْ يجبَ لكَ أجرُ المتصدِّقينَ؟.

---

(١) سورة الكهف: ١٠٣.

(٢) القتار: جمع قتر وهو الرمقة من العيش وما يمسك به الإنسان رمقه.

وأخبرني أنكَ تتكلمُ بكلامِ الأبرارِ وتعملُ عملَ الخطَّائينَ؛ فإنْ كُنْتَ تفعلُ ذلكَ فنفسَكَ ظلمتَ، وعملَكَ أحبطْتَ، فتُبْ إلى ربِّكَ يُصْلِحْ عملَكَ، واقصدْ في أمرِكَ، وقدِّمِ الفضلَ ليومِ حاجتكَ إليه إنْ كُنْتَ من المؤمنين، وادَّهِنْ غِبّاً فإنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «ادَّهِنُوا غِبّاً ولا تَدَّهِنُوا رِفها»[1].

فكتب إليه زياد:

أما بَعْدُ يا أميرَ المؤمنين فإنَّ سعْداً قَدِمَ فعجِلَ فانتهرتُهُ وزجرتُهُ. وكان أهلاً لأكثرَ مِن ذلك. فأمَّا ما ذكرَ من الإسْراف، واتِّخاذِ ألوانِ الطَّعامِ، والتنعُّمِ؛ فإنْ كان صادقاً فأثابهُ اللهُ ثوابَ الصادقينَ، وإنْ كان كاذباً فوقاهُ اللهُ عقوبةَ الكاذبين. وأما قولُه: إني أصفُ العدلَ وأخالفُهُ إلى غيره، فإنِّي إذاً لمن الأخسرين أعمالاً، فخُذْهُ يا أميرَ المؤمنينَ بمقالٍ قُلْتُهُ في مقامٍ قُمْتُهُ. فإن أتاك بشاهِدَيْ عَدْلٍ، وإلا تبيَّنَ لكَ كذبُهُ وظلمُهُ.

وقال عليه السلام: «قُبْلَةُ الولَدِ رحْمَةٌ، وقُبْلَةُ المرأةِ شهوَةٌ، وقُبْلَةُ الوالِدَيْنِ عِبادَةٌ، وقُبْلَةُ أخيكَ دِيْنٌ، وقُبْلَةُ الإمامِ العادلِ طاعةٌ».

---

(١) أي لا تدّهنوا كل يوم.

وقال: الكريمُ لا يقبلُ على معروفهِ ثمناً.

ومشى قومٌ خلفه، فقال: عنّي خَفْقَ نعالكمُ؛ فإنها مَفْسَدَةٌ لقلوبِ نَوكى[1] الرجال.

وقال: أكبر الغيِّ أن تعيبَ رجلاً بما فيكَ، وأن تؤذي جليسكَ بما هو فيهِ عبثاً بهِ.

وقال: اتَّقوا مَنْ تُبغضه قلوبكم.

ودخل عليه السلام المقابر، فقال: «أمَّا المنازلُ فقد سُكِنَتْ، والأموالُ قَدْ قُسِمَتْ، والأزواجُ قد نُكِحَت. فهذا خبرُ ما عندنا؛ فما عندكم؟ ثم قال: والَّذي نفسي بيدهِ لو أُذِنَ لهم في الكلامِ لأخبروا أنَّ خيرَ الزَّادِ التَّقوى.

* * *

---

(١) نوكى: جمع أنوك وهو الأحمق.

وخطب فقال:

أمَّا بعدُ فإنَّ الدُّنيا قَدْ أدبرتْ وآذنتْ بوداع، وإنَّ الآخرةَ قد أقبلتْ وأشرفتْ باطّلاع، وإن المضمارَ اليومَ وغداً السبّاقَ. ألا وإنَّكُمْ في أيَّام أملٍ مِنْ ورائه أجلٌ؛ فمَنْ أخلصَ في أيَّام أمله قبلَ حضورِ أجله نفعه عمله، ولا يضره أمله، ومن قصَّرَ في أيام أمله قبل حضور أجله فقد خَسِرَ عملَهُ، وضرَّه أملُهُ. فاعملوا لله في الرغبةِ كما تعملون لهُ في الرهبةِ. ألا وإنِّي لم أرَ كالجنة نام طالبها، ولم أر كالنارِ نام هاربها، ألا وإنَّه مَنْ لمْ ينفعه الحقُّ يضرُّهُ الباطلُ، ومَن لم يستقيمْ به الهُدى يُخزيه الضَّلالُ. ألا وإنكمْ قد أُمرتم بالظَّعنِ، ودُللتمْ على الزّاد. وإنَّ أخوفَ ما أخافُ عليكم اتباعُ الهوى وطولُ الأمل.

وقال: حَسَبِي حَسَبُ رسولِ الله ﷺ وديني دينُه، فمن أبغضَ حسبي فإنَّما يُبغضُ حسبَ رسولِ الله ﷺ، ومن يُبغض ديني فإنَّما يُبغضُ دينَ النبي ﷺ.

وقال: أشدُّ الذنوبِ ما استخفَّ صاحبهُ به.

رُوي عن أبي أراكة أنه صلى مع أمير المؤمنين - عليه السلام - صلاة الفجر، فلما سلم انفتلَ عن يمينه، ثم مكثَ كأن

به كآبةً، حتى طغت الشمس على حائط المسجد، ثم قلب يديه وقال: لقد رأيت أصحابَ محمد ﷺ فما أرى اليومَ شيئاً يُشبههم، لقد كانوا يصبحون صفُراً غبراً شعُثاً، بين أعينهم مثلُ ركب المعْزَى، قد باتوا لله سُجَّداً وقياماً، يتلون كتاب الله، يراوِحُونَ بينَ أقدامهمْ وجباههمْ، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادُوا كما يميدُ الشجرُ في يوم الرِّيح، وهَمَلَتْ أعينُهمْ حتى تبتلَّ ثيابُهم. والله لكأنَّ القومَ باتُوا غافلينَ.

ثم نهض، فلم يُرَ مفتراً[1] حتى ضربَهُ عدوُّ الله ابنُ مُلْجِمٍ لعنَهُ الله[2].

وكان عليه السلام جالساً في أصحابه، فمرَّت امرأةٌ جميلة، فرمقها القومُ بأبصارهم، فقال: إن أبصارَ هذه الفحول طوامح، فإذا رأى أحدكُمُ المرأة تُعجبُهُ فليأت أهله؛ فإنما امرأةٌ بامرأةٍ. فقال رجل من الخوارج: قاتلهُ اللهُ كافراً، ما أفهمهُ! فوثبوا عليه ليضربوه، فقال رضي الله عنه: مَهْ، فإنما هُوَ سبٌّ بسبٍّ، أو عفوٌ وقَدْ عفوْتُ.

---

(١) مفتراً: مبتسماً.

(٢) هو عبد الرحمن بن ملجم المرادي الحميري، من أشداء الفرسان أسلم وهاجر في خلافة عمر رضي الله عنه قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه في ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ، فقتل.

وقال: من أبطأ به عمله لم يسرع به حسبه.

وقال: ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتاتِ لسانه وصفحات وجهه.

وقال: إذا كُنتَ في إدبارٍ، والموتُ في إقبالٍ، فما أسرعَ الملتقى!

وقال: قَلْبُ الأحمقِ في لسانه، ولسانُ العاقلِ في قلبِه.

وقال: عجبت من البخيل يستعجلُ الفقر الذي منه هرب، ويفوتُهُ الغنَى الذي إيَّاهُ طلب، فيعيشُ في الدنيا عيش الفقراءِ، ويحاسَبُ في الآخرة حسابَ الأغنياءِ.



البـــاب الرابـــع

فيه من كلام الأئمة عليهم السلام، وكلام جماعة من أشراف أهل البيت

الحسن بن علي عليه السلام

روي أنَّ أباه عليه السلام قال له: قُمْ واخطب لأسمع كلامك، فقام فقال:

«الحمدُ لله الذي مَنْ تكلَّمَ سَمِعَ كلامه، ومَنْ سكت علِمَ ما في نفسه، ومَن عاش فعليه رزقُه، ومَنْ ماتَ فإليه معادُه.

أما بعد، فإن القبورَ محلَّتُنا، والقيامةَ موعدُنا، والله عارضُنا، إن علياً بابٌ مَنْ دخله كان مؤمناً، ومن خرج منه كان كافراً».

فقام إليه علي رضي الله عنه فالتزمه، وقال: بأبي أنت وأمي، ﴿ذُرِّيَّةً بعضها من بعضٍ والله سميعٌ عليمٌ﴾[1].

واعتلّ عليٌّ عليه السلام بالبصرة، فخرج الحسن عليه

---

(١) سورة آل عمران: ٣٤.

السلام يوم الجمعة، فصلّى الغداة بالناس، وحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه ﷺ، ثم قال:

إنَّ الله لم يبعث نبياً إلا اختاره نفساً ورهطاً وبيتاً. والذي بعث محمداً ﷺ بالحق لا ينتقصُ أحدٌ من حقنا إلا نقصهُ اللهُ من عمله، ولا تكونُ علينا دولةٌ إلا كانتْ لنا عاقبة. ﴿ولتعلَمُنَّ نبأهُ بعدَ حينٍ﴾[1].

وقال له معاوية بعد الصلح: قم فاعتذر من الفتنة؛ فقام عليه السلام وقال:

إنَّ أكيس الكيْسِ التُّقى، وأحمقَ الحُمقِ الفجورُ، وإن هذا الأمرَ الذي تنازعنا فيه أنا ومعاويةُ إمَّا حَقُّ رجلٍ هو أحقُّ به مني، وإمَّا حقيٌ تركتُهُ لصلاحِ أمَّةِ محمدٍ ﷺ. ﴿وإنْ أدري لعلَّهُ فتنةٌ لَّكُمْ ومتاعٌ إلى حينٍ﴾[2].

وقال الحسن عليه السلام: من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تُجيبوه.

---

(١) سورة ص: ٨٨.

(٢) سورة الأنبياء: ١١١.

وسئل عن البخل فقال: هُوَ أنْ يرى الرَّجُلُ ما أنفقهُ تلفاً، وما أمسكهُ شرفاً.

وقال: حُسْنُ السُّؤالِ نِصْفُ العِلْمِ.

وقال: التبرعُ بالمعروفِ، والإعطاءُ قبلَ السؤالِ من أكبرِ السُّؤدُدِ.

* * *

الحسين بن علي عليهما السلام

لما عزم على الخروج إلى العراق قام خطيباً فقال:

الحمد لله، وما شاء الله، ولا قوةَ إلا بالله، وصلى الله على رسوله وسلم. خُطَّ الموتُ على ولد آدم مخطَّ القلادة على جِيد الفتاة. وما أولهني إلى أسلافي! اشتياقي كاشتياقِ يعقوبَ إلى يوسفَ، وخيرٌ لي مصرعٌ أنا لاقيه. كأنِّي بأوصالي تتقطعها عُسلانُ[1] الفلواتِ بين النَّواويسِ[2] وكَرْبَلاء، فيملأنَ منِّي

(١) عسلان الفلوات: ذئابها.

(٢) النواويس: جمع ناووس وهو القبر.

أكراشاً جُوفاً وأجربةً سغُباً[1]. لا محيصَ عَنْ يومٍ خُطَّ بالقلمِ، رِضَا الله رضانا أهلَ البيت. نصبرُ على بلائه، ويُوفِّينا أُجورَ الصّابرين، لن تشذَّ عَنْ رسولِ الله ﷺ لحمتُهُ؛ هي مجموعةٌ له في حظيرةِ القُدسِ، تَقَرُّ بهمْ عينُه، ويُنجزُ لهمْ وعده. مَنْ كان باذلاً فينا مُهجتهُ، وموطِّناً على لقائنا نفسَهُ فليرحلْ، فإني راحلٌ مُصبِحاً إن شاءَ الله.

وخطب عليه السلام فقال:

أيها الناس. نافسوا في المكارم، وسارعُوا في المغانمِ، ولا تحتسبوا بمعروفٍ لم تُعجلوه، واكتسبوا الحمدَ بالنُّجْحِ، ولا تكتَسِبُوا بالمَطْلِ ذمّاً، فمهما يكنْ لأحد عند أحد صنيعةٌ له رأى أنَّهُ لا يقومُ بشكرها فالله له بمكافآته، فإنّهُ أجزلُ عطاءً، وأعظمُ أجراً، واعلموا أن حوائجَ الناسِ إليكمْ من نِعَمِ الله عليكم، فلا تملُّوا النِّعم، فتحُورَ نقما، واعلموا أن المعروفَ يُكسب حمدا ويُكسبُ أجراً، فلو رأيتمُ المعروفَ رجلاً رأيتموه حسناً جميلاً يسرُّ الناظرينَ، ويفوقُ العالمين، ولو رأيتمُ اللؤمْ رجلاً رأيتموهُ سَمِجاً مُشوَّهاً تنفرُ منه القلوبُ، وتُغَضُّ دونَهُ الأبصارُ. أيها

---

(١) أجربة: جمع جراب وهو الوعاء - شبه به بطون الذئاب، سغبا: جائعات.

الناس. من جاد ساد، ومن بَخِلَ رَذُلَ. وإنّ أجودَ الناسِ من أعطى من لا يرجوه، وإنّ أعْفَى الناسِ من عفا عن قُدرة، وإن أفضلَ الناس مَنْ وصل مَنْ قَطَعَهُ، والأصولُ على مغارسها ففروعُها تسمُوُ. فمن تعجَّلَ لأخيه خيراً وجده إذا قَدِمَ عليه غداً، ومَنْ أراد الله تباركَ وتعالى بالصنيعة إلى أخيه كافأهُ بها وقت حاجته، وصرفَ عنه من بلاء الدنيا ما هُوَ أكثرُ منه، ومن نفَّس كربة مؤمنٍ فرَّج الله عنه كُرَبَ الدنيا والآخرة، ومن أحْسنَ أحسن الله إليه، واللهُ يُحبُّ المُحسنينَ.

وخطب فقال:

إن الحلمَ زينةٌ، والوفاءَ مروءةٌ، والصِّلةَ رَحْمَةٌ، والاستكبارَ صلَفٌ، والعجلةَ سَفَهٌ، والسَّفَهَ ضعفٌ، والغُلُوَّ ورطَةٌ، ومجالسةَ الدُّناة شرٌّ، ومُجالسةَ أهْلِ الفِسقِ ريبةٌ.

وقال يوماً لأخيه الحسن عليهما السلام: ياحسن. وددتُ أن لسانَكَ لي، وأن قلبي لك.

وكتب إليه الحسنُ عليه السلام يلومهُ على إعطاء الشعراء، فكتب إليه: أنْتَ أعلَمُ مني أنّ خيرَ المالِ ما وقَى العرْض.

* * *

علي بن الحسين زين العابدين رضي الله عنه[1]

نظر إلى سائلٍ يبكي، فقال: لو أنَّ الدنيا في يد هذا، ثم سقطت منه ما كان ينبغي أنْ يبكيَ عليها.

وسُئِل رضي الله عنه: لم أُوْتِمَ النبي -ﷺ- من أبويه؟ قال لئلا يُوجَبَ عليه حقٌّ لِمَخْلُوقٍ.

وقال لابنه: يابني. إياك ومُعاداةَ الرجال، فإنه لن يعدمك مكرُ حليمٍ، أو مفاجأةُ لئيمٍ.

وكان رضي الله عنه إذا توضأ للصلاة احمرَّ واصفرَّ وتلوَّنَ ألواناً، فإذا قام إلى الصلاة رجفَتْ أضلاعُه؛ فقيل له في ذلك؛ فقال: أتدرونَ بينَ يديْ مَنْ أنَا قائمٌ؟.

وسقط ابنٌ له في بئر، ففزِع أهلُ المدينة لذلك حتى أخرجوه - وكان قائماً يصلِّي، فما زالَ عن محْرابه - فقيل له في ذلك، فقال: ما شعرتُ. إني كنتُ أُناجِي ربّاً عظيماً.

---

(١) علي بن الحسين بن علي زين العابدين، رابع الإمامية، ولد سنة ٣٨هـ كان يضرب به المثل في الحلم والزهد، وتوفى سنة ٩٤هـ.

وكان له ابن عم يأتيه بالليل متنكِّراً، فيناوله شيئاً من الدنانير، فيقول: لكنَّ علي بن الحسين ما يصلُني؛ لا جزاه اللهُ عني خيراً؛ فيسمع ذلك فيحتملُه، ويصبرُ عليه ولا يعرِّفُه نَفْسَه، فلما مات عليٌّ رضي الله عنه فَقَدَها، فحينئذٍ علِمَ أنه هو كان، فجاء إلى قبره وبكَى عليه.

وكان يُقال له ابن الخيِّرَتَيْن، لقول رسول الله ﷺ: «إنَّ لله مِنْ عِبادِهِ خيرتَيْنِ؛ فخيرتُه من العَرَبِ قُرَيْشٌ ومَن العَجَمِ فَارِس»، وكانت أُمه ابنة كسرى.

وقيل له: مَنْ أعظمُ الناس خطراً؟ قال: من لم يَرَ الدُّنْيَا خَطَراً لِنفْسِهِ.

وتزوَّج أَمَةً له أعتقها، فلامه عبدُ الملك بن مروان على ذلك وكتب إليه: أما بعد فإنه قد بلغني عنك أنك أعتَقْت أمَتَكَ وتزوَّجْتَها، وقد كان لك في أكفائكَ من قريشٍ ما تَسْتَكْرِمُ به في الصِّهْرِ، وتَسْتَنْجِبُ به الولدِ، فلم تنظرْ لنفسِك ولا لولدِك ونَكَحْتَ في اللؤْمِ.

فكتب إليه.

أما بعد، فإني أعْتَقْتُهَا بكِتَاب اللهِ، وارتجعتُها بسنَّةِ

رسول الله ﷺ، وإنَّهُ والله ما فوقَ رسول الله مُرْتقىً لأحدٍ في مجدٍ، إنَّ اللهَ قَدْ رفعَ بالإسلام الخَسيسةَ، وأتمَّ النقيصةَ، وأكرمَ به من اللُّؤْم؛ فلا عارَ على مُسْلمٍ. هذا رسُولُ الله -ﷺ- قد تزوج أمَتَهُ وامرأةَ عبدِه[1].

فقال عبد الملك: إنَّ عليَّ بنَ الحسين» يَشْرُفُ مِنْ حيثُ يتَّضعُ النَّاسُ.

وقيل له: كيف أصبحتَ؟ قال: أصبحنا خائفينَ برسُولِ الله[2]، وأصبحَ جميعُ أهْلِ الإسلام آمنينَ به.

* * *

محمد بن علي الباقر رضي الله عنه[3]

قال يوماً لأصحابه: أيُدْخِلُ أحدكمْ يَدَهُ في كمِّ صاحبِه؛ فيأخذ حاجتَهُ مِنَ الدنانيرِ والدراهم؟ قالوا: لا. قال: فلستم إذاً بإِخْوانٍ.

---

(١) يريد بأمته مارية، وبامرأة عبده زوجة زيد بن حارثة.

(٢) المراد لقرابتنا له.

(٣) محمد بن علي زين العابدين لقب بالباقر، أي الجامع للعلم، ولد سنة ٥٧ هـ وتوفي سنة ١١٤هـ.

وقال لابنه جعفر رضي الله عنه: يابنيَّ، إنَّ اللهَ خبأ ثلاثةَ أشياءَ في ثلاثة أشياءَ: خبأ رضاهُ في طاعته، فلا تحقِرَنَّ من الطاعة شيئاً، فلعلَّ رضاهُ فيه. وخبأ سخطه في معصيته. فلا تحقرنَّ من المعاصي شيئاً، فلعل سُخْطَهُ فيه. وخبأ أولياءهُ في خلقه، فلا تحقِرَنَّ أحداً، فلعلَّ ذلكَ الوليَّ.

واجتمع عنده قومٌ من بني هاشم وغيرهم، فقال لهم: اتقوا الله، شيعةَ آلِ محمد، وكونوا النُّمْرُقَةَ[1] الوسطى، يرجعُ إليكمُ الغالي، ويلحق بكم التالي! قالوا له: وما الغالي؟ قال: الذي يقولُ فينا ما لا نقوله في أنفسنا. قالوا: فما التَّالي؟ قال: الذي يطلبُ الخيرَ فتزيدونهَ خيراً، إنهُ والله ما بيننا وبين الله قرابة، ولا لنا على الله مِنْ حُجةٍ، ولا نتقرَّبُ إليه إلا بالطَّاعَة؛ فمن كان منكمْ مطيعاً لله يعملُ بطاعته نفعته ولايتُنا أهلَ البيتِ، ومنْ كان منكم عاصياً لله يعمل بمعاصيه لم تنفعه ولايتنا. ويحكمْ لا تغتروا، ويحكم لا تغتروا.

ورُوي أن عبد الله بن معمر الليثي قال لأبي جعفر: بلغني أنك تُفْتي في المُتعة[2]، فقال: أحلَّها الله في كتابه، وسنَّها

---

(١) النمرقة: الوسادة الصغيرة.

(٢) المتعة: أن يتزوج الرجل امرأة إلى أجل محدد ثم يخلي سبيلها.

رسولُ الله -ﷺ- قال عبد الله: فيسرُّكَ أنَّ نساءكَ فعلنَ ذلكَ؟ قال أبو جعفر: وما ذكرُ النِّساء هاهنا ياأنوك[1]؟ إنَّ الذي أحلَّها في كتابه وأباحها لعباده أغيرُ منْك وممَّنْ نهى عنها تكلُّفاً، بل يسرُّكَ أنَّ بعضَ حرمكَ تحتَ حاكة[2] يثرب نكاحاً؟ قال: لا. قال: فلم تحرِّمُ ما أحلَّ اللهُ لكَ؟ قال: لا أُحرِّمُ، ولكن الحائكَ ما هُوَ لي بكفء، قال: فإنَّ اللهَ ارتضى عملهُ ورغَّبَ فيه وزوَّجَهُ حُوراً، أفترغبُ عمَّنْ يرغبُ اللهُ فيه، وتستنكفُ ممَّنْ هُوَ كفءٌ لحُور الجنان كبراً وعتُوّاً؟ قال: فضحك عبدُ الله وقال: ما أحسبُ صُدُورَكمْ إلا منابتَ أشجارِ العلمِ، فصارَ لكمْ ثمرهُ، وللنَّاسِ ورقُهُ.

وسُئل لِمَ فرضَ الله تعالى الصومَ على عباده؟ فقال: ليجدَ الغنيُّ مَسَّ الجُوعِ فيحنُوَ على الضعيف.

وقال: إنَّ قوماً عبدوا اللهَ رغبةً فتلكَ عبادةُ العبد، وإنَّ قوماً عبدوا اللهَ شكراً فتلكَ عبادةُ الأحرار.

وقال أبو عثمان الجاحظ: جمع مُحمَّدٌ -عليه السلام-

---

(١) الأنواك: الأحمق.

(٢) الحاكة: جمع حائك.

صلاحَ شأنِ الدُّنيا بحذافيرها في كلمتين، فقال: صلاحُ شأنِ التَّعايُشِ والتَّعاشرِ مثلُ مكيالٍ، ثلثاهُ فطنةٌ وثلثٌ تغافلٌ.

* * *

زيد بن علي رضي الله عنه[1]
وكان يسمى في آل محمد - ﷺ - الراهب

ومن كلامه: إن الذين كَرُمَتْ عليهم أنفسُهُمْ حفظوها بطاعةِ الله من العملِ بمعصيته، وأدَّبُوها بالقرآنِ، وأقاموها على حدودِ الرحمن؛ فلم يهتِكوا حجابَ ما حرَّم اللهُ عليهمْ، ولم يسأموا من الصبر ومرارتهِ في الله ابتغاءَ مرضاتهِ، فراقبوه في الخَلَواتِ، وبذلوا لهُ من أنفُسِهمْ الكثيرَ من الطاعاتِ، حتى إذا عرضَتْ لقلوبِهِمِ الدُّنيا أعرضُوا عنها بيقينٍ لا يشُوبُهُ ريبٌ؛ فهؤلاءِ همُ المؤثِرُونَ على أنفسهِمْ ولو كانَ بهمْ خصاصةٌ.

---

(١) زيد بن علي زين العابدين - أخو محمد بن علي الباقر - ولد سنة ٧٩هـ وقتل سنة ١٢١هـ.

وقال رحمه الله: لا يُسألُ العبدُ عَنْ ثلاثٍ يوم الحساب؛ عمَّا أنفقَ في مرضِه، وعما أنفقَ في إفطارِه، وعما أنفق في قِرَى ضيفِه.

وقال رضي الله عنه: اطلبْ ما يعنيك ودَعْ ما لا يعنيك؛ فإنَّ في ترك ما لا يعنيك دركاً لما يعنيكَ، وإنَّما تُقْدمُ على ما قدَّمْتَ، ولستَ قادماً على ما أخَّرْتَ، فآثرْ ما تلقاهُ غداً على ما لا تراهُ أبداً.

ووقع بينه وبين عبد الله بن الحسن كلامٌ برُصافة هشامٍ في صدقاتِ رسولِ الله -ﷺ- فقال له عبدُ الله: يابْنَ السَّوداءِ، فقال: ذلكَ لونُها، فقال: يابْنَ النُّوبيَّةِ[1]. فقال: ذلكَ جِنْسُها. فقال يابْنَ الخبَّازَةِ. فقال: تلكَ حِرْفَتُها. قال: يابْنَ الفاجِرَةِ. فقال: إن كنتَ صادقاً فغفرَ اللهُ لها، وإن كنتَ كاذباً فغفرَ اللهُ لكَ. فقال: عبد الله: بلْ أنا كاذبٌ، يقولها ثلاثَ مرَّات.

قارف الزُّهريُّ[2] ذنباً فاستوحش مِنَ الناس، وهام على

---

(١) نسبة: إلا بلاد النوبة جنوب مصر.

(٢) محمد بن مسلم بن عبد الله الزهري القرشي، فقيه ورواء للحديث وهو أول من دونه ولد سنة ٥٨ ومات سنة ١٢٤هـ.

وجهه، فقال زيد رحمه الله: يازُهْري، لَقُنوطُكَ من رحمة الله التي وَسِعَت كُلَّ شيءٍ أشدُّ عليكَ مِنْ ذنبكَ. فقال الزهري: اللهُ أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالاته[1]، ورجع إلى أهله وماله وأصحابه.

* * *

جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه[2]

سُئل: لِم صار الناسُ يكلبون أيام الغلاء على الطعام، ويزيد جوعهم على العادة في الرخص؟ قال: لأنهم بنو الأرض، فإذا قحطتْ قحطوا وإذا أخصبتْ أخصبوا.

وشكا إليه رجلٌ جاره، فقال: اصبر عليه، فقال: ينسبني الناسُ إلى الذلّ، فقال: إنما الذَّليلُ مَنْ ظلم، إنما الذليلُ من ظلم.

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ الأنعام آية: ١٢٤.

(٢) هو جعفر بن محمد بن زيد العابدين ولد سنة ٨٠هـ، وتوفي بالمدينة سنة ١٤٨هـ.

وقال رحمه الله: أربعةٌ أشياءُ القليلُ منها كثيرٌ: النارُ، والعداوةُ، والفقرُ، والمرضُ.

وسئل: لِمَ سُمّيَتْ الكعبةُ البيتَ العتيقَ؟ قال: لأنَّ الله أعتقها من الطّوفان يومَ الغرقِ.

وقال أبو جعفر المنصور: إنّي قد عزمتُ على أن أخرب المدينة، ولا أدعُ بها نافخَ ضَرَمَة[1]، فقال: ياأمير المؤمنين، لا أجد بداً من النَّصاحَةِ لك، فأقبلها إن شئتَ أو لا. قال: وما ذاكَ؟ قال: إنه قد مضى لكَ ثلاثةُ أسلاف؛ أيوبُ ابْتُلي فصبرَ، وسليمانُ أُعطي فشكرَ، ويوسفُ قدرَ فغفرَ، فاقتدِ بأيِّهِمْ شئْتَ، قال: قد غفَرْتُ.

وقال رضي الله عنه: صُحبةُ عشرينَ يوماً قرابةٌ.

وقف أهلُ المدينة وأهلُ مكة بباب أبي جعفر؛ فأذنَ الربيعُ لأهل مكةَ قبْلَ أهل المدينةِ، فقال جعفرٌ رضي الله عنه: أتأذنُ لأهل مكةَ قبل أهل المدينة؟ قال الربيع: إن مكةَ العُشُّ، فقال جعفر: عُشٌّ والله طارَ خِيَارُه، وبقِيَ شِرَارُهُ.

---

(١) الضرمة: اللهب، ولا أدع نافخ ضرمة: لا أترك بها إنساناً.

وقيل له: لِمَ حرَّم الله الربا؟ قال: لئلا يتمانع الناسُ المعروفَ.

وقيل له: إن أبا جعفر المنصور لا يلبسُ منذُ صارت إليه الخلافةُ إلا الخَشِنَ، ولا يأكل إلا الجَشِبَ[1]، فقال: لِمَ ياويحه؟ مع ما قد مكَّن اللهُ له من السلطان وجُبي إليه من الأموال، فقيل له: إنما يفعلُ ذلك بُخلاً وجمعاً، فقال: الحمدُ لله الذي حَرَمَهُ مِنْ دُنْيَاهُ؛ ماله ترك دينه؟.

وقال: إذا أقبلت الدنيا على المرء أعطتهُ محاسنَ غيرِه، وإذا أدبرتْ عنه سلبتْه محاسنَ نفسِه.

ومرَّ به رجل وهو يتغذَّى فلم يسلِّم، فدعاهُ إلى الطعام، فقيل له: السُّنَّةُ أن يُسلِّم ثم يُدعى، وقد تركَ السلامَ على عمدٍ، فقال: هذا فقهٌ عِراقيٌّ فيه بُخْل.

وقال: القرآنُ ظاهرُهُ أنيقٌ وباطنُهُ عميقٌ.

وقال: منْ أنصفَ مِنْ نفسِهِ رُضِيَ حَكَماً لغيرِه.

وقال: أكرمُوا الخُبزَ، فإنَّ اللهَ تعالى أنزلَ لهُ كرامةً. قيل:

---

(١) الجشب: الخشن من الطعام.

ومـا كـرامـتُهُ؟ قـال: ألا يُقْطَعَ ولا يُوطأَ، وإذا حضرَ لم يُنْتَظَرْ به غيرُهُ.

وقال: حِفْظُ الرجلِ أخاهُ بعد وفاتهِ في تركتِهِ كرم.

وقال: ما مِنْ شيءٍ أسَرُّ إليَّ مِنْ يدٍ أتبعتُها الأُخرى؛ لأنَّ منعَ الأواخرِ يقطعُ لسانَ شُكْرِ الأوائل.

وقال: إنِّي لأُمْلِقُ فأتاجرُ اللهَ بالصَّدَقَةِ[1].

* * *

موسى بن جعفر رضي الله عنه[2]

ذُكر أنَّ مـوسى الهادي قـد همَّ به، فـقـال لأهلِ بيـتـه: بم تُشيرون؟ قالوا: نرى أنْ تتباعدَ عنه، وأن تُغيِّبَ سُخطَكَ، فإنه لا يُؤمَنُ شرُّه، فقال:

---

(١) أملق: افتقر.

(٢) هو موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ولد سنة ١٢٨هـ، كان عالماً ورعاً.

زعمتْ سَخِينَةُ أنْ ستغلبُ ربَّها　　وليُغْلَبَنَّ مُغالِبُ الغلابِ[1]

ثم رفع يديه إلى السماء، فقال: إلهي، كَمْ مِن عدوٍّ لي قد شَحَذَ لي ظُبَةَ مُديته، وأرهفَ لي شَبَا حَدِّه[2]، وذافَ لي قواتِلَ سُمُومِه[3]، ولم تَنَمْ عنِّي عينُ حراسته، فلما رأيتَ ضعفي عن احتمال الفوادح، وعجزي عن مُلِمَّات الجَوائح صرَفْتَ ذلكَ عنِّي بحولكَ وقُوَّتكَ، لا بحوْلي وقُوَّتي؛ فألقيتهُ في الحفير الذي احتفره لي، خائباً مما أمَّلَهُ في دنياه، متباعداً مما رجاهُ في آخرته، فلك الحمدُ على ذلك قدر استحقاقك. سيدي؛ اللهمَّ فخُذْهُ بعِزَّتكَ، وافلُلْ حدَّه عني بقُدرتكَ، واجعلْ له شغُلا فيما يليه، وعجزاً عمَّنْ يُناديه، اللهم واعْدُني عليه عَدْوَى حاضرةً تكونُ من غيظي شفاءً، ومن حنقي عليه وفاء، وصلِ الهمَّ دُعائي بالإجابة، وانظم شكايتي بالتعبير، وعرِّفْهُ عماً قليلٍ ما وعدت به الظالمين، وعرِّفني ما وعدتَ في إجابةِ المضطرين؛ إنك ذُو الفضلِ العظيم، والمنِّ الكريم.

---

(١) البيت لكعب بن مالك، وسخينة لقب كانت تُرمى بن قريش، وهي طعام كانت تأكله أيام القحط.

(٢) شبا كل شيء: حده المرهف. وظبة مديته: حدّ سكينه.

(٣) ذاف السم خلطه ليكون شديد الفتك.

قال: ثم تفرق القوم، فما اجتمعوا إلا لقراءة الكتاب الوارد بموت موسى الهادي، ففي ذلك يقول بعضهم في وصف دعائه:

وسارية لم تَسْرِ في الأرضِ تبتغي مَحَلاً، ولم يَقطعْ بها السَّفْرَ قَاطعُ

وهي أبيات مليحةٌ ما قيل في وصف الدعاءِ المستجاب أحسنَ منها.

وسأله الرشيد، فقال: لم زعمتُم أنكم أقربُ إلى رسول الله ﷺ منَّا؟ فقال: ياأمير المؤمنين، لو أنَّ رسول الله -ﷺ- أُنشِرَ فخطب إليك كريمتك هل كنتَ تجيبه؟ فقال: سبحانَ الله، وكنتُ أفتخر بذلك على العرب والعجم، فقال: لكنه لا يخطبُ إليَّ ولا أُزوِّجُهُ؛ لأنه ولدنا ولم يلِدْكُمْ.



علي بن موسى الرضا[1] رضي الله عنه

سأله الفضلُ بن سهل[2] في مجلس المأمون، فقال: ياأبا الحسن؛ الخلقُ مُجْبَرُون؟ فقال: اللهُ أعدلُ أنْ يُجبِر ثم يُعذِّبَ قال: فمطلقون؟ قال: اللهُ أحكمُ، أنْ يُهمِل عبدَهُ ويكلَهُ إلى نفسِهِ.

قال عمرو بن مسعدة[3]: بعثني المأمونُ إلى عليٍّ -رضي الله عنه- لأُعلمهُ ما أمرني به من كتابٍ في تقريظه[4]، فأعلمتُه ذلك، فأطرقَ مليّاً ثم قال: ياعمرو إنَّ مَنْ أخذ برسول الله -ﷺ- لحقيقٌ أنْ يُعطيَ بهِ.

---

(١) علي الرضا بن موسى الكاظم ولد سنة ١٥٣هـ من أم حبشية، أحبه المأمون، وعهد إليه بالخلافة بعد موته، فكان هذا سبباً في ثورة بغداد عليه - توفي سنة ٢٠٣هـ.

(٢) الفضل بن سهل السرخسي الخراساني ولد سنة ١٥٤هـ، وأسلم على يدي المأمون وصحبه، أصبح وزير المأمون بعد أن تولى الخلافة، قتل بسرخس سنة ٢٠٢هـ.

(٣) عمرو بن مسعدة بن سعد وزير المأمون وكاتبه، أحد الكتاب البلغاء في العرب. توفي في أطنة سنة ٢١٧هـ.

(٤) تقريظه: مديحه.

وسُئل رضي الله عنه عن صفة الزاهد، فقال: متُبلّغٌ بدونِ قُوتِهِ، مستعدٌ ليومِ موتِهِ متبرمٌ بحياتِهِ.

وسئل عن القناعة، فقال: القناعةُ تجمعُ إلى صيانة النفسِ، وعزِّ القدرَ طرح مؤنِ الاستكثارِ والتَّعبُّد لأهْلِ الدنَّيا، ولا يسلكُ طريقَ القناعةِ إلا رجلانِ: إما متُقلّلٌ يريدُ أجرَ الآخرةِ، أو كريمٌ متنزهٌ عَنْ لِئامِ النَّاسِ.

امتنع رجلٌ عنده عن غسل اليد قبل الطعام؛ فقال رضي الله عنه: اغسلْهَا، فالغَسْلَةُ الأولى لنا، وأما الثانيةُ فلكَ. إنْ شئْتَ فاتركْها.

أُدْخِلَ إلى المأمون رَجُلٌ أرادَ ضَرْبَ عَنُقِه والرِّضَا حاضر؛ فقال له المأمون: ما تقولُ فيه ياأبا الحسن؟ فقال: أقول إنَّ الله لا يزيدكَ بِحُسْنِ العفوِ إلا عِزاً، فعفا عنه.

حدث أبو الصَّلْتِ[1] قال: كنت مع علي بن موسى رضي الله عنه وقد دخل نيسابور، وهو راكبٌ بغلة شهباء، فغدا في طلبه علماءُ البلد: أحمدُ ابن حنبل، ويسينُ بن النضر،

(١) أبو الصلت الهروي عباس بن صالح بن سليمان، مولى قريش سكن نيسابور، وخدم علي ابن موسى الرضا، كان عالماً زاهداً.

ويحيى بن يحيى [1]، وعدةٌ من أهلِ العلم؛ فتعلّقوا بلجامِهِ في المربَّعَةِ، فقالوا له: بحقِّ آبائكَ الطاهرين حدِّثنا بحديث سمعتَه من أبيك؛ فقال: حدثني أبي العدلُ الصالحُ موسى بن جعفر، قال: حدثَني أبي باقرُ -علمِ الأنبياءِ- محمدُ بن علي؛ قال: حدثني أبي سيد العابدينَ علي بن الحسين، قال: حدثني أبي سيّدُ شبابِ أهل الجنة الحسينُ بن علي، قال: سمعتُ أبي سيدَ العربِ عليَّ بن أبي طالب، قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: الإيمانُ معرفةٌ بالقلبِ، وإقرارٌ باللسانِ، وعملٌ بالأركانِ. قال: فقال أحمدُ بن حنبل: لو قرأتُ هذا الإسنادَ على مجنونٍ لبرِئَ من جنُونِه.

* * *

---

(١) يحي بن يحيى النيسابوري أحد المحدثين المتثبتين، كان يلقب بالشكاك لشدة تحرجه توفي سنة ٢٢٦ هـ.

محمد بن علي بن موسى رضي الله عنه [1]

تذكَّر المتوكلُ في علّة إنْ وهب الله له العافيةَ أن يتصدّق بمال كثير، فعوفيَ، فأحضر الفقهاء واستفتاهم، فكلٌّ منهمْ قال شيئاً إلى أن قال محمد رضي الله عنه: إن كنتَ نويتَ الدراهمَ فتصدّقْ بثمانينَ درهماً.

فقال الفقهاء: ما نعرفُ هذا في كتابٍ ولا سُنَّة، فقال: بلى.

قال الله عزَّ وجل: ﴿لقدْ نصركُمُ اللهُ في مواطنَ كثيرةٍ﴾ [2]. فعدُّوا وقائعَ رسولِ الله -ﷺ- ففعلوا فإذا هي ثمانون.

هذه القصة إن كانت وقَعَتْ للمتوكل فالجواب لعليِّ بنِ مُحمَّدٍ. فإنَّ محمداً لم يلحق أيام المتوكِّلِ [3]، ويجوزُ أن تكونَ له مع غيره من الخلفاء.

---

(١) محمد الجواد بن علي الرضا، ولد بالمدينة سنة ١٩٥هـ، كان ذكياً طلق اللسان مات ببغداد سنة ٢٢٠هـ.

(٢) سورة التوبة: ٢٥.

(٣) المترجم له مات ببغداد سنة ٢٢٠هـ في خلافة المعتصم، والمتوكل تولى الخلافة سنة ٢٣٢هـ.

وأتاه رجل فقال: أعطني على قَدْر مروءتك، قال: لا يسعُني، قال: فقال على قَدْري، قال: أمَّا ذا فنعمْ، ياغلام؛ أعطه مائتيْ دينارٍ.

* * *

عبد الله بن الحسن بن الحسن رضي الله عنه[1]

نظر إليه رجل وهو مغموم، فقال ما غمَّكَ يابنَ رسول الله؟ فقال: كيف لا أغتمُّ وقد امتحنت بأغلظَ منْ محْنَةَ إبراهيمَ خليلِ الله؛ ذاكَ أُمِرَ بذبْح ابنِه ليدخُلَ الجنَّةَ، وأنا مأخوذٌ بأن أُحضِرَ ابنيَّ ليُقْتلا فأدْخُلَ النار.

ولما أمعن داود بن علي[2] في قتل بني أُمية بالحجاز، قال له عبد الله: يابْنَ عم؛ إذا أفرطْتَ في قتلِ أكفائِكَ فمن تباهي

(١) عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب سنة ٧٠هـ. حبسه المنصور حين علم أن ابنيه قد استترا بغية الثورة. مات سجيناً بالكوفة سنة ١٤٥هـ.

(٢) داود بن علي بن عبد الله بن عباس، عم السفاح ولد سنة ٨١هـ، توفي بالمدينة سنة ١٣٣هـ.

بسلطانك؟ أوما يكفيك منهم أن يروك غادياً رائحاً فيما يسرُّكَ ويسوءهُم؟

وكتب إلى صديقٍ له : اتَّقِ الله ؛ فإنه جعلَ لمن اتَّقاهُ من عبادهِ المخرجَ مما يكرهُ والرِّزقَ من حيثُ لا يحتسبَ.

قالوا : كان عثمانُ بن خالد المرِّي على المدينة من قِبَلِ الوليدِ بن عبد الملك ؛ فأساءَ بعبد الله والحسنِ ابنَي الحَسنِ إساءةً عظيمةً وقصدهُمَا ، فلما عُزِلَ أتياهُ ، فقالا : لا تنظُرْ إلى ما كانَ بيننا ؛ فإنَّ العزلَ قَدْ محاهُ ، وكلِّفنا أمركَ كلَّهُ. فلجأ إليهما ، فبلغا له كُلَّ ما أراد ؛ فجعل عثمان يقول : اللهُ أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالاته.

وكان عبدُ الله يقول : يابُنَيَّ اصبرْ ؛ فإنما هي غدوةٌ أوْ روحَةٌ حتى يأتيَ اللهُ بالفرجِ.

وروي أنه قال لابنه محمد حين أراد الاستخفاءَ : يابُنَيَّ ، إني مؤدٍّ إليكَ حقَّ اللهِ في تأديبك ونصيحتكَ ، فأدِّ إليَّ حقَّه عليك في الاستماع والقبولِ ، يابني كفَّ الأذى ، وافْضِ النَّدى ، واستعنْ على السَّلامَةِ بطولِ الصَّمْتِ في المواطن التي تدعوكَ فيها نفسُكَ إلى الكلام ؛ فإن الصَّمْتَ حُسْنٌ ، وللمرء

ساعاتٌ يضرُّهُ فيها خطؤه، ولا ينفعهُ فيها صوابهُ. واعلمْ أن من أعظم الخطإِ العجلةَ قبلَ الإمكان، والأناةَ بعد الفُرصة. يابني: احذر الجاهلَ وإن كانَ لكَ ناصحاً كما تحذرُ عداوةَ العاقلِ إذا كان لكَ عدواً؛ فيوشكُ الجاهلُ أن يورِّطَكَ بمشورتِه في بعضِ اغترَارِكَ، فيسبِقَ إليكَ مكرُ العاقلِ ومورِّطُ الجاهلِ، وإياكَ ومعاداةَ الرجالِ؛ فإنه لا يعدمُكَ منها مكرُ حليمٍ ومفاجأةُ جاهلٍ.

* * *

محمد بن عبد الله بن الحسن[1] – النَّفْسُ الزكيةُ – وأخواه رضي الله عنهم

لما ظهر بالمدينة كتب إليه المنصور:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله. أما بعد

(١) محمد بن عبد الله بن الحسن، يلقب بالنفس الزكية، ولد ٩٣هـ، تخلف عن بيعة السفاح والمنصور هو وأخوه، طلبهما المنصور فتواريا ثار محمد وبايعه أهل المدينة، أرسل إليه المنصور جيشاً هزمه وقتل سنة ١٤٥هـ.

فـ﴿إنَّما جزاؤا الَّذين يُحاربونَ اللهَ ورسولَهُ ويسعونَ في الأرضِ فساداً أن يُقتَّلوا أو يُصلَّبوا أو تُقطَّعَ أيديهمْ وأرجلُهم مّنْ خلافٍ أو يُنفَوا مِنَ الأرضِ ذلك لهمْ خزْيٌ في الدنيا ولهمْ في الآخرةَ عذابٌ عظيمٌ * إلا الَّذينَ تابوُا من قبْلِ أن تقدروُا عليهمْ فاعلموا أنَّ الله غفورٌ رَّحيمٌ﴾[1].

ولك ذمّةُ الله عزَّ وجلٍ وعهدُهُ وميثاقُهُ، وحقُّ نبيه محمد -ﷺ- إن تبتَ من قبلِ أن أقدِرَ عليكَ أنْ أُؤمِّنك على نفسك وولدك وإخوتك ومن تابعكَ وبايعكَ وجميع شيعتَك، وأنْ أُعطيكَ ألفَ ألفَ درهم، وأُنزلكَ من البلاد حيثُ شئتَ، وأقضيَ لك ما شئت من الحاجات، وأن أُطلقَ مَنْ في سجني مِن أهل بيتكَ وشيعتكَ وأنصارك، ثم لا أُتْبِع أحداً منهم بمكروه؛ فإن شئتَ أنْ تتوثَّقَ لنفسك؛ فوَجِّه إليَّ مَنْ يأخذُ لكَ من الميثاقِ والعهدِ والأمانِ ما أحببْتَ. والسلام.

فكتب إليه محمد رضي الله عنه:

من عبد الله محمد المهدي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن محمد. أما بعد.

---

(١) سورة المائدة: ٣٣، ٣٤.

«طسم * تلكَ آياتُ الكتابِ المُبينِ * نتلوا عليكَ من نَّبإِ موسى وفرعونَ بالحقِّ لقومٍ يؤمنون * إنَّ فرعونَ علا في الأرضِ وجعلَ أهلها شيعاً يستضعفُ طائفةً منهم يُذبِّحُ أبناءهُمْ ويَسْتَحْيِي نساءهُمْ إنَّهُ كانَ مِنَ المُفسدينَ * ونُريدُ أن نَّمُنَّ على الَّذينَ استُضعفوا في الأرضِ ونجعلهُمْ أئمَّةً ونجعلهُمُ الوارثين * ونُمكِّنَ لهمْ في الأرضِ ونُرِيَ فرعونَ وهامانَ وجنودهُما منهُمْ ما كانوا يحذَرُون»[1].

وأنا أعرِضُ عليك من الأمانِ مثلَ الذي أعطيتني؛ فقدْ تعلمُ أن الحقَّ حقنا، وأنكم إنما طلبتموه بنا، ونهضتم فيه بشيعتنا، وخطبتموه بفضلنا، وأنَّ أبانا علياً عليه السلام كان الوصيَّ والإمامَ، فكيف ورثتموه دوننا ونحن أحياء؟ وقد علمت أنه ليسَ أحدٌ من بَني هاشم يمتُّ بمثل فضلنا، ولا يفخرُ بمثل قديمنا وحديثنا، ونسبنا وسببنا، وأنا بنو أمِّ رسول الله -ﷺ- فاطمة بنت عَمْرو[2] في الجاهلية دونكمْ، وبنو بنته فاطمةَ في الإسلام من بينكمْ. وأنا أوْسَطُ بَني هَاشِم نسبا، وخيرهُمْ أمّاً

(١) سورة القصص: ١-٦.

(٢) فاطمة بنت عمرو بن عائذ المخزومية، وهي التي ولدت أبا طالب وعبد الله.

وأبا، لم تَلِدْنِي العجمُ، ولم تُعْرِق[1] فيَّ أُمهاتُ الأولادِ. وإن الله تبارك وتعالى لم يَزَل يختار لنا؛ فولدَنِي من النبيين أفضلهمْ محمد -ﷺ- ومن أصحابه أقدمهم إسلاماً، وأوسعهمْ علما، وأكثرهمْ جهاداً عليٌّ بن أبي طالب، ومن نسائه أفضلهن خديجة بنت خُويلدَ أول مَنْ آمَنَ بالله وصلَّى القِبْلَةَ، ومن بناته أفضلُهن سيدةُ نساء أهل الجنةِ، ومن المولُودين في الإسلام الحسَنُ والحُسيْن سيِّدا شباب أهْل الجنة. ثم قد علمت أن هاشماً ولد علياً مرتين، وأن عبدَ المطلب ولد الحسَن مرَّتين[2] وأن رسول الله ﷺ ولدني مرتين من قِبَل جدَّيَّ الحسن والحسين[3]، فما زالَ الله عز وجل يختارُ لي حتى اختارَ لي في النار؛ فولدني أرفعُ الناسِ درجةً في الجنة[4] وأهونُ أهل النَّار عذاباً[5]، وأنا ابنُ خيرِ الأخيارِ، وابْنُ خيرِ أهلِ الجنةِ، وابنُ خيرِ أهل النَّار.

ولك عهدُ اللهِ، إن دخلتَ في بيعتي، أن أؤمِّنَكَ على

---

(١) تعرق: من العرق وهو الجذر: أي أن أصولي ليست فيهم.

(٢) يريد: من طريق الآباء ومن طريق الأمهات.

(٣) الحسين جد محمد بن عبد الله لأمه.

(٤) يريد به الرسول عليه السلام.

(٥) يريد به أبا طالب.

نفسك وولدك وكلِّ ما أصبْته إلا حداً من حدود الله أو حقاً لمسلم أو معُاهَد. وقد علمت ما يلزمكَ في ذلكَ، وأنا أوفى بالعهد منك، وأنتَ أحْرى بقبول الأمان منِّي؛ فأمَّا أمانُكَ الَّذي عرضتَهُ فأيُّ الأمانات هو؟ أمَانُ ابن هُبيرة[1]، أم أمان عبدِ الله عمِّك[2]، أم أمانُ أبي مسلم؟ والسلام.

* * *

محمد بن إبراهيم بن إسماعيل[3]

ابن إبراهيم طَبَاطَبَا بن حسن بن حسن بن علي -رضي الله عنهم- صاحب أبي السرايا[4]. خطب حين انتهب أبو السرايا قصرْ العباس بن موسى ابن عيسى، فقال:

---

(١) يشير إلى غدر السفاح بابن هبيرة بعد أن أعطاه الأمان. وابن هبيرة هو يزيد عمر بن هبيرة الفزاري من أمراء الدولة الأموية، كتب إليه السفاح بالأمان والصلح، فرضي بذلك، ولكن السفاح اغتاله سنة ١٣٢هـ.

(٢) يشير إلى غدر المنصور بعمه عبد الله بن علي بعد أن أمنه، فقتله سنة ١٤٧هـ.

(٣) محمد بن إبراهيم بن اسماعيل - يتصل نسبه بالحسن بن علي من أئمة الزيدية - اتفق هو وأبو السرايا على الثورة، وملك الكوفة سنة ١٩٩هـ، مرض في السنة نفسها ومات.

(٤) أبو السرايا السري بن منصور الشيباني، بدأ حياته قاطع طريق - لقي ابن طباطبا وبايعه - ملك الكوفة والمدائن حتى هزمه الحسن بن سهل وقتله سنة ٢٢٠هـ.

اما بعد، فإنه لا يزالُ يبلغني أنَّ القبائل منكم تقول: إنَّ بني العباس فَيءٌ لنا، نخوضُ في دمائهم، ونرتعُ في أموالهم، ويُقبَلُ قولنا فيهم، وتصدقُ دعوانا عليهم، حُكْمٌ بلا علمٍ، وعزمٌ بلا رويةٍ. عجباً لمن أطلقَ بذلك لسانه، أو حدَّثَ به نفسه! أبكتاب الله حكَمَ أم سنة نبيِّه صلى الله عليه اتبعَ؟ أو بَسْطَ يدي لهُ بالجورِ أمَّلَ؟ هيهاتَ هيهات، فاز ذو الحقِّ بما نوى، وأخطأ طالبٌ ما تمنّى، حقٌّ كلِّ ذي حقٍّ في يده، وكلُّ مدَّعٍ على حُجتِه، ويلٌ لمن اغتصب حقاً، وادعى باطلاً، فلحَ من رضي بحكم الله، وخابَ من أرغَمَ الحقُّ أنفهُ. العدلُ أولى بالأثرةِ وإن رغِمَ الجاهلون، حقٌّ لمن أمرَ بالمعروف أنْ يجتنبَ المنكر، ولمن سلك سبيلَ العدلِ أن يصبْرَ على مرارةِ الجورِ، كلُّ نفْسٍ تسمو إلى همتها. ونِعمَ الصاحبُ القناعةُ.



جماعة من الأشراف الطّالبيّين

كان يحيى بن الحسين يُسمّى ذا الدّمعة، وكانت عينه لا تكاد تجفّ من الدموع، فقيل له في ذلك، فقال: وهل ترك السهمان فيّ مضحكاً، يعني: السهم الذي رمي به زيد -رحمه الله- والسهم الذي رمي به يحيى بن زيد[1].

كان عيسى بن زيد[2] -رحمه الله- خرج مع النّفس الزكية محمد بن عبد الله، وأشار عليه لما كثُر عليه الجيشُ أن يلحق باليمن، فإن له هناك شيعةً، وطلبُه يبعد، فلم يقبل منه؛ فلما أحسّ بالقتل ندم على ترك القبول منه، وقال لمن حوله من شيعته: الأمرُ مِنْ بعدي لأخي إبراهيم؛ فإن أُصيب فلعيسى بن زيد.

فلما قُتل محمد استتر عيسى مدةَ أيام المنصور وفي أيام المهدي، فطلب طلباً شديداً إلى أن مات في الاستتار في آخر أيام المهدي.

---

(١) هو يحيى بن زيد بن زين العابدين، ولد سنة ٩٨، ثار مع أبيه على هشام، واستمر بعد مقتل أبيه في الثورة حتى رمي بسهم كان سبباً في موته سنة ١٢٥هـ.

(٢) عيسى بن زيد أخو يحيى، خرج مع النفس الزكية، استتر بعد مقتل محمد وإبراهيم، عاش متخفياً حتى توفي سنة ١٦٨هـ.

وحدّث شبيب بن شيبة[1]، قال: كنت أُجالس المهديَّ في كل خميس، خامسَ خمسةٍ، فخرج إلينا عشيةً وهو غضبان لخبر بلغه عن عيسى بن زيد، فقال: لعن الله كُتّابي وعمالي وأصحاب بُرُدي وأخباري، هذا ابن زيد قد غَمَضَ عليَّ أمره فما ينجُمُ لي منه خبر، فقلت: لا تشكُوَنَّ منه ياأميرَ المؤمنينَ، وما يكربكَ من خبر ابن زيدٍ؟ فوالله ما هو بحقيقٍ أن يُتَّبع وأن يجتمع عليه اثنان.

قال: فنظر إليَّ نظرةَ منكرٍ لقولي، ثم قال: كذبْتَ، والله هو والله الحقيقُ بأن يُتَّبَعَ، وأن يجتَمع عليه المسلون. وما يُبعدهُ عن ذلك؟ لقد حطبتَ في حبْلي، وطلبتَ هواي بفسادِ أمري. يافضل - للفضل بن الربيع - احجبهُ عن هذا المجلس. قال: فحُجِبتُ عنه مدة.

ولعيسى بن زيدٍ شعرٌ حسن، ومات وله ستُّونَ سنةً، كان ثلث عمره عشرين سنة في الاستتار.

وكان ابنه أحمد بن عيسى[2] من أفاضل أهل البيت علْماً

---

(١) شبيب بن شيبة البصري كان فصيحاً أخبارياً، وتوفي سنة ٢٦٢هـ.

(٢) هو أحمد بن عيسى بن زيد من زعماء الزيدية ولد سنة ١٥٧هـ، ونشأ عالماً فاضلاً. حبسه الرشيد ففر من السجن واختبأ، واستمر إلى أن مات سنة ٢٤٨هـ.

وفقهاً وزُهداً، وكان الرشيدُ حبسه ثم أطلقه، ثم طلبه لما بلغه كثرةُ شيعته من الزيدية، فاستتر[1]، فلم يزل في الاستتار ستين سنة؛ فلما قُتل المتوكل وقام بعده المنتصرُ، وبلغه عطفُه على العلوية وإحسانُه إليهم، أراد أحمدُ بن عيسى أن يُظْهِر نفسَه، فاعتلّ وتوفِّي بالبصرة.

قال الصولي: كنتُ يوماً من الغلابي[2]. ونحن نقصد المِربَدَ[3]، فمررنا بدربٍ يعرف بدرب الحريق، فقال لي: أتدري لِمَ سُمِّيَ هذا بدرب الحريق؟ قلت: لا. قال: كان هذا الدربُ يسمَّى المعترِض، فجلس اثنان على دكانٍ بين يدي الدرب مما يلي المِربَد، فطالب أحدُهما صاحبه بمائة دينار ديناً له عليه، والرجلُ المطالَبُ مُعترف، وهو يقول: ياهذا: لا تمض بي إلى الحاكم؛ فإني قد تركتُ في منزلي أطفالاً قد ماتت أُمُّهم، لا يهتدون لشربِ الماء إن عَطِشُوا، وإن تأخرتُ عنهم ساعةً ماتوا، وإن أقررْتُ عند الحاكم حبسني فتلفِوا؛ لا تحملني على يمينٍ فاجرةٍ،

---

(١) استتر: اختبأ خوفاً من السلطان.

(٢) محمد بن زكريا بن دينار مولى بني غلاب.

(٣) محلة بالبصرة من أعظم محالها.

فإني والله أحلفُ لك ثم أعطيك مالك، وصاحبُه يقول له: لابدَّ من تقديك وحبسك أو تحلف. فلما كثُر هذا منهما إذا صُرَّةٌ قد سقطت بينهما، ومعها رُقعة: ياهذا، خُذْ هذه المائةَ الدينارَ التي لك قِبَل الرجل، ولا تحمله على الحلف كاذبا، وليكن جزاء هذا أنْ تكتماه فلا يعلم به غيركما، ولا تسألا عن فاعله، فسُرَّا بذلك جميعاً وافترقا، فندَّ الحديثُ[1] من أحدهما فشاع، فقيل: ما يفعل هذا الفعل إلا أحمدُ بن عيسى، فقصدوا الدارَ لطلبه فوجدوا آثاراً تدلُّ على أنه كان فيها وتنحَّى، وهرب صاحب الدار، فأحرقَ السلطان الدارَ، فسمِّي منذ ذاك درْبَ الحريق.

كان أبو السرايا لما مات محمد بن إبراهيم بن طباطبا أقام مقامه محمد بن محمد بن زيد[2] فلما ظُفر به حُمل إلى مَرْو إلى المأمون، فأظهر إكرامه وعجب من صغرِ سنِّه، وحبَسَه حبْساً جميلا، فقيل له: كيف رأيتَ صنيعَ ابنِ عمك أميرِ المؤمنين في ظَفَرِه وقُدرتِه. فقال: والله لقد أغضَى عن العورةَ،

---

(١) ندّ الحديث: ظهر وانتشر.

(٢) هو محمد بن محمد بن زيد من نسل الحسين.

ونفّسَ الكُرْبَةَ، ووصل الرحِمَ، وعفا عن الجرْمْ وحفظ النبيَّ - ﷺ - في ولَدِه، واستوجَبَ الشكر من جميع أهلِ بيته.

ومات بِمَرْوَ من شيء سقُيه، فلما أحسّ بالموت كان يقول: ياجدي، ياأبي ياأمي: اشفعوا لي إلى ربّي؛ فكان ذلك هِجّيراه[1] إلى أن مات، وكانت سنه يوم تُوفي عشرين سَنَة.



(١) هجيراه: دأبه وعادته.



البــاب الخــامــس



فيه كلام جماعة من بني هاشم المتقدمين منهم والمتأخرين

عبد المطلب

لما تتـــابعتْ على قـــريش السنونَ، ورأت رُقَيْقَةُ بنت لُبابة[1] الرؤيا التي نذكرها من بعد خرج عبد المطلب حتى ارتقى أبا قبيس[2] - ومعه رسولُ الله ﷺ وهو غلام - فقال:

اللهم سادَّ الخلَّةِ، وكاشفَ الكُرْبَةِ، أنت عالم غيرُ معلمٍ، ومسئولٌ غيرُ مُبَخَّلٍ. وهذه عِبداؤكَ وإماؤكَ بعذرات[3] حرمك يشكون إليك سَنَتَهمُ التي أكلت الظِّلْفَ والخُفَّ[4]. فاسْمَعَنَّ اللَّهُمَّ، وأمطرَنَّ غيثاً مريعاً[5] مُغْدِقاً.

---

(١) المشهور أن اسمها: رقيقة بنت صيفي بن هاشم بن عبد المطلب، أدركت الرسول وأسلمت.

(٢) جبل قرب مكة.

(٣) عبداؤك: عبيدك. عذرات حرمك: أفنية حرمك.

(٤) الظلف والخف: الحيوانات ذات الظلف والخف كالبقر والإبل.

(٥) المغدق: الغزير الكثير.

قالت رقيقة: فما راموا[1] البيتَ حتى انفجرت السماءُ بمائِها، وكظَّ الوادي بثجيجه[2] فسمِعتْ شيخانُ قريش وجِلّتُها[3] وهي تقول: «هنيئاً لك أبا البطحاء هنيئاً لكَ» أي عاش بك أهلُ البطحاءِ.

وكانت لعبد المطلب خمسٌ من السُّنَنِ أجراها اللهُ في الإسلام: حرَّمَ نساءَ الآباءِ على الأبناءِ، وسَنَّ الدِّيةَ مائةً من الإبل، وكان يطوفُ بالبيت سبعةَ أشواط. ووجد كنزاً فأخرج منه الخُمْسَ، وسَمّى زَمْزَمَ حين حفرها سقاية الحاجِّ.

قيل: إنَّ عبد المطلب أُتي في المنام. فقيل: احفرْ زَمْزَمَ، بين الفَرْثِ والدمِ، فقام ينتظر ما سمّي له، فنُحرتْ بقرةٌ فأفلتت من جازِرِها[4] بحُشاشةِ نفسها حتى غلبها فنُحِرَتْ في المسجد؛ فحفر عبد المطلب هناك.

---

(١) رام المكان: فارقه.

(٢) كظ الوادي بثجيجه: امتلأ بالسيل.

(٣) شيخان: جمع شيخ.

(٤) جازرها: ذابحها.

روي عن بعض مَوالي المنصور قال: أخرج إليّ سليمان بن علي كتاباً بخط عبد المطلب، وإذا هو شبيهٌ بخط النساء فيه: باسمك اللهم - ذِكْرُ - حق عبدِ المطلب بن هاشم من أهل مكةَ على فلان ابن فلان الحميريِّ من أهل أولِ صنعاء[1]. عليه ألف درهم فضةٍ طيبةٍ كيلاً بالحديد، ومتى دعاه بها أجابه. شهد اللهُ والملكانِ.

* * *

الزبير بن عبد المطلب[2]

قالوا: قدم الزُّبير بن عبد المطلب من إحدى الرحلتين[3]، فبينا رأسه في حجر وليدة له وهي تدَّري[4] لِمَّتَهُ إذ قالت له: ألم

---

(١) المراد هنا صنعاء الشام - فصنعاء تطلق على مدينة باليمن وعلى قرية بالشام.

(٢) هو عم رسول الله عليه السلام لأبيه وأمه، لم يعقب أولاداً من بعده.

(٣) هما رحلتا الشتاء والصيف.

(٤) تدري: تمشط شعره.

يَرُعْكَ الخبرُ؟ قال: وما ذاك؟ قالت: زَعم سعيدُ بن العاص أنه ليس لأبطَحيٍّ[1] أن يعتمَّ يوم عمَّته، فقال: والله لقد كان عندي ذا حِجاً وقَدْر، وانتزع لِمَّتَهُ من يدها، وقال: يارُعاثُ. عليَّ عمامتَي الطُّولى؛ فأتِي بها فلاثها[2] على رأسه، وألقى ضِيفَيْها[3] حتى لطخا قدميه وعَقِبَيْه، وقال: عليَّ فرسي فأُتِي به، فاستوى على ظهره، ومرَّ يَخْرِقُ الوادي كأنَّهُ لَهَبُ عرفَج، فلقيه سهيل بن عمرو[4] فقال: بأبي أنت وأُمي ياأبا الطاهر، مالي أراك قد تغيَّر وجهك؟ قال: أولم يبلُغْكَ الخبر؟ هذا سعيدُ بنُ العاص يزعم أنه ليس لأبطحي أنْ يعتمَّ يوم عِمَّته. ولِمَ؟ فوالله لَطَوْلُنا عليهمْ أظهرُ من وَضَحِ النَّهار، وقمرِ التَّمام، ونجم السَّاري، والآن تنثل[5] كنانتها، فتعجمُ قُرَيشٌ عيدانها فتعرفَ

(١) الأبطحي: نسبة إلى الأبطح مكان بمكة.

(٢) لاث العمامة: عصبها.

(٣) ضيفيها: ناحيتها والضيف: الناحية والجانب.

(٤) سهيل بن عمرو: خطيب قريش، كان من المشركين في صلح الحديبية واسلم يوم الفتح ومات سنة ١٨ هـ.

(٥) نثل الكنانة: طرحها وأخرج عيدانها، وعجم العود: اختبره ليعرف مدى صلابته.

بازِل[1] عامنا وثنيَّاته. فقال له سُهيل: رفقاً. بأبي أنتَ وأمي فإنه ابنُ عمك. ولن يعييك شأوُهُ، ولن يقصر عنه طولك.
وبلغ الخبر سعيداً فرحَّل ناقته واغترز رَحْلَه، ونجا إلى الطائف.
فقيل له: أتريد الجلاءَ؟ فقال: إني رأيت الجلاءَ خيراً من الفناء.
ومضى قصدهُ.

* * *

أبو طالب

خطب لرسول الله -ﷺ- في تزويجه خديجة بنت خويلد؛ فقال:

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيمَ، وزرع إسماعيلَ، وجعل لنا بلداً حراماً، وبيتاً محجوجاً، وجعلنا الحكَّامَ على الناس؛ ثم إن محمد بن عبد الله ابنَ أخي مَنْ لا يُوازَنُ به فتى من قريش إلا رجَحَ به بِراً وفضلاً، وكرماً وعقلاً، ومجداً

---

(1) البازل من الإبل ما بلغ الثامنة، والثني: الصغير السن، والمراد: تعرف القوي والضعيف.

ونُبـلاً، وإن كـان في المال قلٌّ، فـإنما المالُ ظلٌّ زائلٌ، وعـارية مُسترجعةٌ، وله في خديجةَ بنت خُويلدٍ رغبةٌ، ولها فيه مثلُ ذلكَ. وما أحببتُم من الصَّداقِ فعَليّ.

روى أبو الحسين النَّسّابة بإسنادٍ له قـال: قـال أبو رافع مـولى رسـول الله -ﷺ-: سـمـعتُ أبا طالب يقـول: حـدثني محمد بنُ عبد الله -ابنُ أخي- أن ربّه تبارك وتعالى بعثَهُ بصلة الرَّحمِ، وأن يَعْبُدَ الله وحده ولا يُعْبَدَ معه غيرهُ، ومحمد عندي الصـدوقُ الأمينُ. قـال أبو الحسين: قـد قـال أبو طالب من التوحيد نظماً ونثراً ما لا خفاءَ به، فمن ذلك قوله لابنيه: جعفرٍ وعليٍّ رضي الله عنهما:

لا تخذلا وانصرا ابن عمكُما ... أخي ابنِ أمّي من بينهِمْ وأبِي

والله لا أخـذلُ النبـيَّ ولا ... يخذلُـهُ من بنيَّ ذُو حسـبِ

فسمّاه النبيَّ.

وقـال:

عليها المراجيحُ من هاشمٍ ... هم الأنجبونَ مع المنتجبِ[1]

فسماه المنتجب.

---

(١) المنتجب: المختار والمصطفى.

وقـال:

أمينٌ صدوقٌ في الأنامِ مُسوّمٌ[1] بخاتمِ ربٍّ قاهرٍ للخواتمِ

فسمّاه الأمين والصدوق.

وقـال:

وحكم نبيٍّ جاء يدعُو إلى الهُدى ودينٍ أتى مِنْ عندِ ذي العرشِ قيِّمِ

* * *

العباس بن عبد المطلب[2]

سُئل: أنت أكبرُ أم رسولُ الله ﷺ؟ فقال: رسولُ الله أكبرُ، وأنا أسنُّ. ولُدْتُ قبلهُ بثلاثِ سنين. أذكرُ وقدْ قيلَ لأمِّي: إن آمنةَ قدْ ولدت ابناً؛ فأدخلتني إليه صبيحةَ الليلة التي وُلِدَ فيها، وهو ﷺ يصعُ[3] برجليه، والنساءُ يجبذنني[4] عليه، يقُلْنَ: قبِّلْ أخاكَ.

---

(١) مسوم: معلم بعلامة النبوة وهو الخاتم.

(٢) عم الرسول، العباس بن عبد المطلب، شهد بعض الوقائع معه، وعمي في آخر عمره توفي سنة ٣٢هـ.

(٣) يصع برجليه: يحركهما.

(٤) يجبذ: يجذب.

قيل لما قُبِضَ رسول الله -ﷺ- اجتمعَ عليٌّ والعباسُ وجماعةٌ مِنْ حَفَدَتِهم ومواليهم في منزل رجل من الأنصار لإجالة الرأي، فبدر بهمْ أبُو سفيان فجاء حتى طرقَ الباب؛ فقال: أَنشدكم الله أن تكونوا أولَ مَنْ قطعَ رحِمَ بني عبد مناف، ثم جاء الزبير يهدج[1] حتى طرق الباب، فقال: أنشدكم اللهَ والخُؤولةَ، والصُّهورةَ، فلما حضر أرمَّ[2] القوم عن الكلام، فلما رأى أبو سفيان ذلك قال: مجدٌ قديمٌ أثّل بشرف الأبد، يابني عبدِ مناف؛ ذبُّوا عَنْ مجدكم، وانضحُوا عن سُؤْدُدِكُمْ، وإياكم أن تخلعوا تاجَ كرامةٍ ألبسكُمُ اللهُ إيَّاهُ. وفضَّلكم بها، إنَّها عقِبُ نُبُوَّة، فَمَنْ قصَّر عنها اتَّبَع.

وقال الزُّبير: قد سمعتُم مقالتهُ، فابذلُوا الشركةَ، وأحسنُوا النِّيَّةَ؛ فلنْ يستغني مَنِ استحقَّ هذا الأمر عَنْ مقاتلٍ يُقاتلُ معهُ، وموئلٍ يلجأ إليهِ، والمقاتِلُ معكمْ خيرٌ منَ المُقاتِلِ لكمْ.

فقال العباس: قد سمعنا مقالتكمُ، فلا لقلةٍ نستعينُ بكمْ، ولا لظنَّةٍ نترك آراءكُمْ، ولكن لالتماسِ الحق؛ فأمهلونا نُراجع الفكرةَ. فإن يكنْ لنا من الإثم مخرجٌ يصرِّ بنَا وبهمْ الحقُّ

---

(١) يهدج: يمشي مضطرب الخطا متقاربها وهي مشية الشيوخ.

(٢) أرم عن الكلام: سكت.

صرير الجُدجُد[1]، ونبسطُ أكُفًا إلى المجد؛ لا نقبضُها أو تبلغَ المدى؛ وإن تكن الأُخرى فلا لقلة في العدد، ولا لوهن في الأيد[2]. والله لولا أنَّ الإسلام قيَّدَ الفتكَ لتدكدكت جنادلُ صخرٍ يُسمعُ اصطكاكُها من محلِّ الأثيل.

قال: فحلَّ علي -رضي الله عنه- حبْوتَه، وكذا كان يفعل إذا تكلَّم؛ وجثا على رُكبتيه وقال: الحلمُ صبرٌ، والتَّقوى دين، والحجَّةُ محمدٌ -ﷺ- والطريقُ الصِّراطُ. إيهاً رحمكمُ الله، شقُّوا متُلاطمات أمواج الفتن، بيحازيم[3] سُفُن النَّجاة، وعرِّجُوا عَنْ سبيل المنافرة، وحُطُّوا تيجانَ المُفاخرة، أفلحَ مَنْ نهضَ بجناحٍ، واستسلمَ فأراحَ. ما آجن[4] لقمةٌ تغصُّ آكلها! ومُجتني الثَّمرة لغير إيناعها كالزَّراعِ في غير أرضه. أما لو أقولُ ما أعلمُ لتداخلتْ أضلاعٌ تداخُلَ دوارة الرَّحا. وإن أسكتْ يقولوا جزعِ ابنُ أبي طالب من الموت. هيهاتَ هيهاتَ بعد اللَّتيَّا والَّتي. والله لعليٌّ آنسُ بالموتِ من الطِّفلِ بثدي أمِّه، ولكني أدمجتُ

(١) الجدجد: دويبة يسمع لها بالليل صرير.

(٢) الأيد: القوة.

(٣) الحيازيم: جمع حيزوم: مقدم السفينة.

(٤) ما آلجن: ما أمر.

على مكنونِ علمٍ لو بُحتُ بهِ لاضطربتُمْ اضطرابَ الأرشيةِ في الطويِّ البعيدة[1].

وقال العباس: يابني عبد المطلب اختضبوا بالسَّواد، فإنه أحظى لكمْ عند نسائكم، وأهيبُ لكم في صدور عدوِّكُمْ.

وقال لابنه: يابني تعلَّم العلم، ولا تَعلَّمْهُ لتَرَائيَ بهِ، ولا لتُبَاهيَ بهِ، ولا لتماريَ بهِ؛ ولا تدعهُ رغبةً في الجهل، وزهادةً في العلم، واستحياءً من التعلُّم.

* * *

عَقيل [2]

قال معاوية يوماً: هذا أبو يزيد، لولا أنه علم أني خيرٌ له من أخيه لما أقام عندنا وتركه، فقال له عقيل: أخي خير لي في ديني، وأنتَ خيرٌ لي في دنُيايَ.

---

(١) الأرشية جمع رشاء وهو الحبل، والطوي: البئر.

(٢) عقيل بن أبي طالب أخو علي لأبيه، كان مع المشركين يوم بدر، وأسلم بعد الحديبية، وشهد غزوة مؤته وحنين، كان مع معاوية ضد علي. توفي سنة ٦٠هـ.

وقال له مرة: أنت معنا ياأبا يزيد، قال: ويومَ بدرٍ كنتُ معكم.

وقالت له امرأتُه - وهي ابنة[1] عتبة بن ربيعة: يابني هاشم؛ لا يحبكم قلبي أبداً، أين أبي؟ أين أخي؟ أين عمي؟ كأنَّ أعناقهم أباريقُ الفضة ترِدُ آنُفُهُم قبل شفاهِهِم الماء.

فقال لها عقيل: إذا دخلتِ جهنم فخُذي عن شمالك.

تزوج امرأةً، فقيل له بالرفاء والبنين، فقال: قال رسول الله ﷺ «إذا تزوّج أحدكم فليقل له بارك الله فيك وبارك عليك».

* * *

محمد بن علي -رضي الله عنه- ابن الحنفية[2]

قيل له: مَنْ أشدُّ الناس زهداً؟ قال: مَن لا يبالي الدنيا في يدِ مَنْ كانتْ.

---

(١) اسمها فاطمة بنت عتبة بن ربيعة.

(٢) محمد بن علي بن أبي طالب، أمه من بني حنيفة، فارس شجاع قوي الجسم ولد سنة ٢١هـ، وأخرجه ابن الزبير إلى الطائف حين أخذ البيعة بالمدينة، وتوفي سنة ٨١هـ.

وقيل له: مَنْ أخسرُ الناس صفقةً؟ قال: من باعَ الباقي بالفاني.

وقيل له: مَنْ أعظمُ الناس قدراً؟ قال: من لا يرى قدراً لنفسه.

وقال: من كَرُمَتْ عليه نفسهُ صغُرت الدنيا في عينيه.

وكان يقول: اللهم أعنّي على الدُّنيا بالغِنى. وعلى الآخرة بالتّقوى.

وقال المنافقون له: لِمَ يُغررُ بك أميرُ المؤمنين في الحرب[1] ولا يغررُ بالحسن والحسين؟ قال: لأنهما عيناه، وأنا يمينه؛ فهو يدفعُ بيمينه عن عينيه.

وكتب إلى ابن العباس حين سيَّره ابنُ الزبير إلى الطائف:

أما بعد، فإنه قد بلغني أنَّ ابنَ الزبير سيَّركَ إلى الطائف، فأحدثَ اللهُ جلَّ وعزَّ لك بذلك ذُخراً حطَّ به عنك وِزراً. يابنَ عمٍّ؛ إنما يُبتلى الصالحون، وتعدُّ الكرامةُ للأخيار؛ ولو لمْ تُؤجَرْ إلا فيما تحبُّ لقلَّ الأجرُ، وقد قال الله تعالى: ﴿وعسى

(١) يغرر به في الحرب: يقحمه في المواضع الخطيرة.

أن تكرهوا شيئاً وهوَ خيرٌ لكمْ وعسى أن تُحبُّوا شيئاً وهوَ شرٌّ لكمْ﴾[1] . عزم الله لنا ذلك بالصبر على البلاءِ، والشكر على النَّعماءِ، ولا أشمتَ بنا عدوّاً. والسلام.

وقال: مالكَ منْ عيشكَ إلا لذَّةٌ تزدلفُ بكَ إلى حمامِك، وتُقرِّبُكَ منْ يومك؛ فأيَّةُ أكلةٍ ليس معها غُصَصٌ، أو شربةٍ ليس معها شَرَقٌ[2]؟ فتأمَّلْ أمرك؛ فكأنك قد صرتَ الحبيبَ المفقود، والخيالَ المخْتَرَم[3]. أهل الدُّنيا أهلُ سفرٍ لا يَحلُّونَ عقَدَ رحالهم إلا في غيرها.

وقال في قوله عزَّ ذكرُهُ: ﴿هلْ جزاءُ الإحسانِ إلا الإحسانُ﴾[4] هي مُسجلةٌ[5] للبرّ والفاجر - يعني مرسلة.

* * *

---

(١) سورة البقرة: ٢١٦.

(٢) الشرق بالماء والريق ونحوهما كالغصة في الطعام.

(٣) اخترمه: اقتطعه واستأصله.

(٤) سورة الرحمن: ٦٠.

(٥) مسجلة: مطلقة. المراد أن الحكم عام على البر والفاجر.

ابن عباس[1]

قيل لعبد الله بن عباس: ما منع علياً رضي الله عنه أن يبعثك مع عمرو يوم التحكيم، فقال: ما منعه والله إلا حاجزُ القدرَ ومحنةُ الابتلاء، وقصر المدة. أما والله لو وجَّهَ بي لجلست في مدارجِ نفسه، ناقضاً ما أبرم، ومُبرماً ما نقضَ. أطيرُ إذا أسفَّ[2]، وأُسفُّ إذا طارَ، ولكن مضى قدرٌ وبقي أسفٌ، ومع اليوم غدٌ والآخرةُ خيرٌ لأمير المؤمنينَ.

قال: أتى زيد بن ثابت بدابَّته، فأخذَ ابنُ عباس بركابه؛ فقال زيد: دعهُ بالله؛ فقال ابنُ عباس: هكذا أُمِرنا أن نفعل بعلمائنا. فقال زيد: أخرجْ يدكَ؛ فأخرجها، فقبَّلها زيدٌ وقال: هكذا أُمِرنا أن نفعلَ بأهل بيتِ نبينا عليه السلام.

وكان يقول: تواعظوا وتناهوا عن معصيةِ ربِّكمُ؛ فإنَّ

---

(١) عبد الله بن عباس عالم بني هاشم وداهيتهم وجدّ الخلفاء العباسيين ولد سنة ٣هـ شهد مع الرسول غزواته، شهد الجمل وصفين والنهروان مع علي، كف بصره في آخر أيامه وتوفي سنة ٦٨هـ.

(٢) أسف الطائر: طار قريباً من الأرض.

الموعظةَ تنبيهٌ للقلوب من سنَة الغفلة، وشفاءٌ من داءِ الجهالةِ، وفكاكٌ من رقّ مَلَكَةِ الهوى[1].

ودخل على معاوية؛ فقال له: ألا أُنبِّئك؟ مات الحسن بن علي، فقال ابن عباس: إذاً لا يدفنُ في قبركَ، ولا يزيد موتهُ في عُمرِكَ، وقبله ما فجعنا بخيرٍ منه، فجبر اللهُ وأحسنَ.

ومن كلامه: ما رضي الناسُ بشيءٍ مِنْ أقسامِهِمْ كما رضُوا بأوطانهم.

وقال: من استؤذِنَ عليه فهو مَلِكٌ.

* * *

عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وولده

مرَّ بباب قوم، وجاريةٌ تغنّيهم؛ فلما سمع غناءها دخلَ من غير أن استأذَنَ، فرحَّبُوا به، وقالوا: كيف دخلتَ يا أبا جعفر؟ قال: لأنكم أذِنتمْ لي قالوا: وكيف؟ قال: سمعت الجاريةَ تقول:

---

(١) الملكة: التملك.

قــل لكــرامٍ ببــابــنــا يلــجــوا　　　ما في التَّصابي على الفتى حرجُ

وقال لابنته: يابُنية. إياك والغيرةَ فإنَّها مفتاحُ الطلاق، وإياكِ والمعاتبة فإنها تُورث الضغينةَ، وعليك بالزِّينةِ، واعلمي أن أزينَ الزينةِ الكُحل، وأطيبَ الطيبِ الماءُ.

وقال: لا تستحي من إعطاء القليلِ؛ فإن البخل أقلُّ منهُ.

ورئي يُماكس[1] وكيله في درهم؛ فقال له قائل: أتماكسُ في درهمٍ وأنت تجودُ بما تجودُ به؟ قال: ذلك مالي جُدت به وهذا عقلي بخلتُ به.

وقال: لا خير في المعروفِ إلا أنْ يكونَ ابتداءً؛ فأما أنْ يأتيك الرجلُ بعد تململٍ على فراشه، وأرقٍ عن وسنته[2]، لا يدري أيرجعُ بنُجْحِ المطلب أم بكآبةِ المُنْقَلَبِ، فإنْ أنتَ رددتهُ عن حاجتهِ تصاغرتْ إليكَ نفسُه، وتراجع الدم في وجهه، وتمنى أن يجد في الأرض نفقاً فيدخلَ فيه، فلا.

وأنشدَ:

إنَّ الصنيعــةَ لا تكــون صنيعــةً　　　حتى تصيبَ بها طريقَ المَصْنَعِ[3]

---

(١) المماكسة: انتقاص الثمن، والحط منه والمنابذة بين البائعين.

(٢) الوسنة: الرقاد.

(٣) المصنع: محل الصنيعة.

فقال: هذا شعر رجل يريد أن يُبخِّل الناسَ. أمطرِ المعروف مطراً فإنْ صادفتَ الموضعَ الذي قصدتَ، وإلا كنت أحقَّ به.

وقال له الحسن والحسين رضي الله عنهما: إنك قد أسرفتَ في بذل المال؛ فقال: بأبي أنتما وأمي! إن الله عودني أنْ يُفضِلَ عليَّ، وعودتُه أن أُفضِلَ على عباده، فأخاف أن أقطعَ العادةَ فيقطعَ عنِّي.

وافتقد عبدُ الله صديقاً له من مجلسه، ثم جاءه فقال له: أين كانت غيبتُك؟ فقال: خرجْتُ إلى عَرْضٍ[1] من أعراضِ المدينة مع صديقٍ لي؛ فقال له: إن لم تجدْ من صحبة الرجال بُدّاً فعليك بصحبة مَنْ إن صحبتَه زانكَ، وإن خفَفْتَ له صانك، وإن احتجْتَ إليه مانك[2]، وإن رأى منكَ خلَّةً[3] سدَّها، أو حسنةً عدَّها، وإن أكثرتَ عليه لم يرفُضكَ؛ إن سألتَه أعطاكَ، وإن أمسكتَ عنه ابتداكَ.

* * *

(١) العرض: الناحية والجهة.

(٢) مان: بذل المؤونة.

(٣) الخلة: بفتح الخاء النقص، والحاجة.

علي بن عبد الله بن العباس وولده

قال علي رحمة الله عليه: من لم يجدْ مَسّ نَقْصِ الجهلِ في عقله، ودلَّة المعصيةِ في قلبِه، ولم يَستَبِنْ موضعَ الخلَّة في لسانه عند كلال[1] حدِّه عن حدِّ خصمه، فليس ممن ينزعُ عن ريبة، ولا يرغبُ عن حالِ معجزة، ولا يكترث لفصلِ ما بينَ حُجَّةٍ وشُبهةٍ.

وقال: سادةُ الناس في الدنيا الأسخياءُ، وفي الآخرة الأتقياءُ.

وقال محمد بن علي[2] وذكر رجلاً من أهله: إني لأكرهُ أن يكونَ لعمله فضلٌ على عقلِه كما أكره أن يكون للسانه فضلٌ على علمه.

وقال أبو مسلم: سمعتُ إبراهيم بن محمد الإمام[3]

---

(١) الكلال: الضعف.

(٢) والد السفاح ولد سنة ٦٢هـ ولي إمامة الهاشميين، وشؤون دعوتهم السرية مات سنة ١٢٥هـ.

(٣) إبراهيم بن محمد بن عبد الله العباسي، الملقب بالإمام ولد سنة ٨٢هـ، قبض عليه مروان بن محمد وحبسه ثم قتله سنة ١٣١هـ.

يقول: يكفي مِنْ حظِّ البلاغةِ ألا يُؤتَى السامعُ من سوءِ إفهامِ الناطقِ، ولا يؤتى الناطقُ من سوءِ فهمِ السَّامعِ.

وكان من الخطباء داود بن علي[1]، وهو الذي يقول: المُلكُ فرعُ نبعةٍ نحن أفنانُها، وذروةُ هضبةٍ نحنُ أركانها.

وخطب بمكة فقال: شكراً شكراً، إنا والله ما خرجنا لنحفِرَ فيكُمْ نهراً، ولا لنبني فيكُمْ قصراً. أظنَّ عدوُّ الله أنْ لنْ نظفر به؟ أُرخي له في زمامه، حتَّى عثر في فضلِ[2] خطامه. فالآنَ عادَ الأمرُ في نصابه، وطلعت الشمسُ من مطلعها، والآن أخذ القوسَ باريها. وعادت النَّبْلُ إلى النَّزَعَةِ، ورجع الحقُّ إلى مُستقرِّه، في أهل بيت نبيكم أهلِ الرَّحمةِ والرأفة.

وخطب فقال: أحرزَ لسَانٌ رأسهُ، اتَّعظَ امرؤٌ بغيره، اعتبر عاقلٌ قبلَ أن يُعْتَبَرَ به، فأمسكَ الفضلَ من قولِه، وقدَّمَ الفضلَ من عمله.

ولما قام أبو العباسِ السفاح في أولِ خلافته على المنبرِ، قام بوجهٍ كورقةِ المصحفِ، فاستحيا فلم يتكلَّمْ، فنهض داودُ

---

(١) داود بن علي بن عبد الله عم السفاح ولد سنة ٨١هـ ولاه السفاح الكوفة، ثم مكة والمدينة مات سنة ١٣٣هـ.

(٢) الخطام: هو الزمام.

حتى صعد المنبر . - قال المنصور : فقلْتُ في نفسي : شيخُنا وكبيرنًا يدعو إلى نفسه ؛ فانتضيت سيفي وغطّيته بثوبي ؛ فقلت : إن فعل ناجزتُه - فلما رقى عتباً استقبل الناسَ بوجهه دون أبي العباس ، ثم قال :

ياأيها الناس . إن أمير المؤمنينَ يكرهُ أن يتقدَّمَ قولُه فعله ، ولأثر الفعَالِ عليكم أجدى من تشقيق الكلام ، وحسبكُمْ كتابُ الله متُسلىً فيكم وابنُ عم رسول الله ﷺ خليفةَ عليكم . والله - قسماً براً لا أُريدُ بها إلا الله - ما قام هذا المقامَ بعدَ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله أحقُّ به مِن عليٍّ بن أبي طالبٍ وأميرِ المؤمنينَ هذا ؛ فليظُنَّ ظانكُم ، وليهمسْ هامسكُم .

قال أبو جعفر : ثم نزل ، فشِمْتُ سيفي[1] .

- كان عبدُ الملك بن صالح[2] والياً للرشيد على الشام . فكان إذا وجه سريةً إلى أرض الروم أمَّر عليها أميراً شهماً ، وقال له : اعلمْ أنَّكَ مُضارِبُ اللهِ بخلقه ؛ فكنْ بمنزلةِ التاجرِ الكيِّسِ ،

---

(١) شام السيف : أغمده .

(٢) عبد الملك بن صالح بن علي : أحد أمراء العباسيين ولاه الرشيد بعض الولايات ثم جفاه توفي سنة ١٨٧ .

إن وجدَ ربحاً تجر، وإلا احتفظ برأس المالِ، وكن في احتيالكَ على عَدُوِّكَ أشد حذراً من احتيالِ عدوِّك عليك.

وولّى العباسَ بنَ زُفَرَ الثغرَ[1]، فودّعه فقال ياعباسُ: إن حصن المحاربِ مِنْ عـدوِّهِ حُسْنُ تدبيرِهِ، والمقاتل عنهُ جليدُ[2] رأيه وصدقُ بأسِهِ؛ وقد قال ابن هَرْمَةَ:

يقاتـلُ عنهُ الناسَ مجلودُ رأيـهِ   لدى البأسِ، والرأيُ الجليدُ مُقاتلُ

وقال له الرشيدُ مرة وقد غضب عليه: ياعُدَيَّ[3] الملك، والله مـا أنتَ لصـالح بولد. قـال: فلمَنْ أنا؟ قـال: لمروانَ بنِ مـحـمد، أُخذت أمُّكَ وهيَ حُبلى بك، فوطئها على ذاك أبوك فقال عبد الملك: فحلان كريمان، فاجعلني لمنْ شئتَ منهما.

وهذا شبيهٌ بما قاله مروانُ بنُ محمد حين بلغه أن الناس يقولونَ إنَّ هذه الشجاعةَ التي لأمير المؤمنين لم تكن لأبيهِ ولا لجدِّهِ، وإنما جاءته من قِبَلِ إبراهيم بن الأشتر[4] - فإنَّ أمَّهُ كانت

---

(1) العباس بن زفر أحد قادة عبد الملك بن صالح، كان شديد القسوة.

(2) الرأي الجليد: الصلب القوي.

(3) عدي: تصغير عدو.

(4) إبراهيم بن مالك بن الحارث النخعي، أبوه من أصحاب علي. وإبراهيم هو الذي قتل عبيد الله ابن زياد، قتل مع مصعب سنة ٧٢هـ.

له، وصارتْ لمحمد بن مروان - وهي حاملٌ - بعدَهُ. فقال: ما أُبالي لأيِّ الفحلين كنتُ، كلاهُما شريفٌ كريم.

وقال الرشيدُ مرةً لعبد الملك: كيف هواؤُكُم بمنبج؟ قال: سَحَرٌ كلُّهُ.

وكان جعفر بن سليمان[1] نهاية في الجلالة والشرف، ولي المدينةَ للمنصورِ بعد انقضاءِ أمر محمد وإبراهيم. فأعطى الأموالَ. ووصلَ الشعراء وأمَّن الناسَ، وشفعَ فيهم. ويقال إنه سقطَ من ظهرهِ إلى الأرضِ ما بهِ نسمةٌ منْ ذكرٍ وأنثى[2].

قال الأصمعي: ما رأيتُ أكرم أخلاقاً ولا أشرف فعالَ من جعفر بن سليمان؛ فتغدينا معه فاستطاب الطعامَ، فقال لطبَّاخه: قد أحسنتَ وسأعتقك وأزوِّجكَ. فقال الطباخ: قد قلتَ ياسيدي هذا غيرَ مرة وكذبْتَ. قال: فوالله ما زاد على أن ضحك، وقال لي: ياأصمعي، إنما يريد البائسُ «وأخلَفْتَ» قال الأصمعي: وإذا هو قد رضي بأخلفْتَ.



(١) جعفر بن سليمان بن علي من أمراء العباسيين مات بالبصرة.

(٢) ما به نسمة: ما به روح ونفس.

الفصل الثاني(*)

البــاب الأول

(*) الجزء الثاني من نثر الدر.

في كلام أبي بكر الصديق رحمة الله عليه ورضي الله عنه

خطب يوماً، فلما فرغ من الحمد لله، والصلاة على النبي ﷺ قال: «إنَّ أشقى الناس في الدُّنْيا والآخرةِ الملوكُ». فرفع الناس رؤوسهم. فقال: مالكمْ معاشرَ الناسِ؟ إنكم لطعَّانون عَجِلُونَ، إن المَلِكَ إذا ملَكَ زَهَّدَهُ الله فيما في يديه، ورغَّبه فيما في يَدَيْ غيرِه، وانتَقَصَهُ شطر أجله، وأشرب قلبه الإشفاقَ، فهو يحسُدُ على القليل، ويَتَسَخَّطُ الكثير، ويسأم الرَّخاء، وتنقطعُ عنه لذَّة البهاء، لايستَعْمِلُ الغيْرة، ولا يسكُنُ إلى الثِّقة. هو كالدِّرْهَم القَسِيِّ[1]، والسَّراب الخادعِ، جَذِلُ الظَّاهر، حَزِين الباطن، فإذا وجبَتْ نفسهُ[2] ونَضَبَ عمْرُهُ، وضحا ظلُّه، حَاسَبَهُ الله، فأشَدَّ حسابَه، وأقلَّ عفْوَهَ.

ألاَ إنَّ الأُمراءَ هم المحْرُومُونَ، إلاّ مَنْ آمَنَ بالله، وحكَمَ بكتابِ الله، وسنَّة رسولِ الله ﷺ.

---

(١) الدرهم القسي: الزائف.

(٢) وجب المرء: مات.

وإنكُمُ اليــــومَ عـلى خلاَفَـــةِ نُبُوَّةٍ، ومَفْرِقِ مَحَجَّةٍ[1]، وستَـروْنَ بعـدي مُلْكاً عَضُوضـاً، ومَلَكاً عَنُوداً، وأُمَّةً شعَـاعـاً، ودَماً مُفَاحاً[2]، فإنْ كانت للباطلِ نَزْوَةٌ ولأهل الحق جولةٌ يعفو لها الأثَرُ، وتموتُ السُّنَنُ، فالزمُوا المساجدَ، واستشيروا القرآنَ، والزَمُوا الجـمـاعةَ، وليكن الإبْرامُ بعـد التَّشَاورِ، والصـفْقَةُ بعـد طـولِ الـتَّنَاظُرِ. أيٌّ بِلادِكُمْ خَرْشَنَةُ[3]؟ فَإنَّ الله سَيَفْتَحُ عـلـيـكُمْ أقصَاها، كما فتَحَ عليكُم أدنَاهَا.

ومن كـلامه أنه أخـذ يومـاً بطرف لسانه وقـال: هذا الّذي أوْرَدَني الموارِدَ.

وقـدم وفـد من اليـمن عليه، فـقـرأ عليـهم القـرآن فـبكوا فقال: «هكذا كنَّا حتى قَسَتِ القُلُوب».

وقال: «طُوبَى لمن مَاتَ في نَأنَـأةِ الإسْلامِ»[4]

---

(١) المحجة: الطريق.

(٢) الدم المفاح: المراق.

(٣) بلدة من بلاد الروم.

(٤) نأنأة الإسلام: ضعفه، والمراد: أول ظهوره.

ولما قال الحُبَاب[1] بن المنذر يوم السقيفة: أنا جُذَيْلُها[2] المحكَّكُ، وعُذَيْقُهَا المرَجَّبُ، إن شئتم كررْناها جَذَعَةً[3]. منا أمير ومنكم أمير، فإن عمل المهاجريّ شيئاً في الأنصاري ردّ عليه الأنصاريُّ، وإن عمل الأنصاريُّ شيئاً في المهاجريّ رد عليه المهاجريُّ.

فأراد عمر الكلام، فقال أبو بكر: على رِسْلِكَ. نحن المهاجرون، وأولُ النَّاس إسْلاَمَاً، وأوْسَطُهم دَاراً[4] وأكرمُ النَّاس أحساباً وأحسنُهُمْ وجُوهاً، وأكثرُ الناسِ وِلاَدَةً في العرب، وأمَسَّهُمْ رَحِماً برسولِ الله ﷺ. أسْلَمْنا قبلَكُم وقُدِّمْنَا في القرآنِ عليكُم؛ فأنتمْ إخواننُا في الدينِ، وشركاؤُنا في الفيْءِ، وأنصارُنا على العدوِّ. آويتُمْ وواسيْتُم ونصرْتُم، فجزاكم الله خيراً. نحن الأمراءُ وأنتمُ الوزراءُ. لاتدينُ العربُ إلا لهذا

---

(١) الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري: شهد بدراً، ومات في خلافة عمر.

(٢) الجذيل: عود تحتك به الإبل الجربى طلباً للشفاء، والعذيق: النخلة. المرجب: ما وضعت الدعائم حوله حفظاً له.

(٣) كررناها جذعة: أعدناها من جديد.

(٤) أوسطهم داراً: أرفعهم.

الحيِّ من قريشٍ، وأنتُمْ محقوقُونَ ألاَّ تنفَسُوا على إخوانكم المهاجرينَ ما سَاقَ الله إليهِمْ.

ومن كلامه ذلك اليوم: نحن أَهل الله، وأقربُ الناسِ بَيْتاً من بيت الله، وأمسُّ الناسِ رحماً برسول الله ﷺ، إنَّ هذا الأَمْر إن تطَاولَتْ له الخزرجُ لم تقْصُرْ عنه الأَوْسُ، وإن تطاولَت له الأَوس لَم تَقْصُرْ عنه الخَزْرَجُ، وقد كان بين الحيَّين قَتْلَى لا تُنْسَى، وجراحٌ لا تداوَى، فإنْ نَعَقَ منكم ناعقٌ فقد جلَس بين لَحْيَي الأَسَدِ[1] يضغمه[2] المهاجِرِيُّ، ويَجْرحُهُ الأَنْصارِي. قال ابن دأب[3]: فرماهم الله بالمسكتة.

حدث سفيان بن عُيينة[4] لما قال عمر لأبي بكر: استخلف غيري. قال أبو بكر: ما حبوناكَ بهاَ، وإنما حَبَوْنَاهَا بك. ثم أنشد سفيان قول الحطيئة:

---

(١) اللحي: الفك.

(٢) يضغمه: يعضه عضاً شديداً، وهي عضة الأسد.

(٣) عيسى بن دأب: راوية وخطيب وشاعر توفي سنة ١٧١هـ.

(٤) سفيان بن عيينة الهلالي: حافظ ثقة واسع العلم، ولد بالكوفة سنة ١٠٧هـ، وتوفي سنة ١٩٨هـ.

لم يُؤْثِرُوكَ بِهَا إِذْ قدَّمُوكَ لهَا لكن لأَنْفُسِهِمْ كانت بكَ الإِثَرُ

وقيل له في مرضه: لو أرسلتَ إلى الطبيب! قال: قد رآني. قيل: فما قال؟ قال: قال إنِّي أفْعَلُ ما أشاء[1].

وقال لخالدِ بنِ الوليد حين أخرجَه إلى أهل الردّة: احْرِصْ على الموتِ تُوهَبْ لَكَ الحياةُ.

ولما استخلف أبو بكر قال للناس: شغلتموني عن تجارتي فافرضوا لي ففرضوا له كل يوم درهمين.

ولما أرادوه على البيعة قال: علام تُبايعُونَنِي، ولستُ بأقواكُمْ ولا أتقاكُمْ؟ أقواكم عمرُ، وأتقاكُمْ سالِم[2].

وكان إذا مُدِح يقول: اللهم أنت أعلم مني بنفسي، وأنا أعلم منهم بنفسي، اللهم اجعلني خيراً مما يحسبُون، واغفرلي مالاَ يَعْلمونَ، ولا تؤاخِذْني بما يقولون.

وعهد عند موته فكتب: هذا ما عهِدَ أبو بكرٍ خليفةُ محمد

---

(١) المراد بالطبيب: الله سبحانه وتعالى.

(٢) سالم: مولى أبي حذيفة. صحابي.

رسول الله ﷺ عندَ آخرِ عهدهِ بالدنيا، وأولِ عهدهِ بالآخرة، في الحالِ التي يؤْمِنُ فيها الكافر، ويتقي فيها الفاجر. إني استعلمتُ عليكم عمر بن الخطاب، فإن برَّ وعدلَ فذاكَ علمي به، ورأيِي فيه، وإنْ جَارَ وبدَّلَ فلا عِلْمَ لي بالغيب، والخيرَ أردتُ ولكلِّ امريءٍ ما اكتَسَبَ مِنَ الإثمِ، وسَيَعْلَمُ الَّذين ظَلَمُوا أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبونَ.

ورُوي عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: دخلْتُ عليه في علَّتِهِ التي ماتَ فيها، فقلت: أراك بارئاً ياخليفةَ رسولِ الله. فقال: أمَا إنِّي عَلَى ذلكَ لشَدِيدُ الوَجَع، ولَمَا لَقيتُ منكم يامعشرَ المهاجرينَ أشدُّ عَلَيَّ من وجَعِي، إني ولَّيْتُ أُمورَكُمْ خَيرَكُمْ في نَفْسِي، فكلكُمْ ورِمَ أنْفُهُ أن يكونَ له الأمر من دونه. والله لتتَّخذُنَّ نَضَائدَ[1] الديباجِ وستورَ الحرير، ولتألَمُنَّ النَّوم على الصُّوف الأذْرِبِي[2] كما يألمُ أحدُكُمُ النومَ على حَسَكِ السَّعْدَانَ[3]. والذي نفسي بيده لأن يُقَدَّم أحدكُم فتُضْرَب

(١) النضائد: جمع نضيدة وهي الوسادة.

(٢) الأذربي: نسبة إلى أذربيجان.

(٣) الحسك: الشوك. والسعدان: شجر ترعاه الإبل.

عنقَهُ في غير حقٍّ خيرٌ له من أن يخوضَ غمراتِ الدنيا. ياهاديَ الطريقِ جُرْتَ، إنما هو والله الفَجْرُ أو البَجْرُ[1].

فقلت: خَفِّضْ عليك ياخليفةَ رسول الله ـ ﷺ ـ فإنَّ هذا يهيضُكَ إلى مابك[2]، فو الله مازلتَ صالحاً مصلحاً لا تأسى على شيء فاتَكَ من أمر الدنيا، ولقد تَخَلَّيتَ بالأمر وَحْدَكَ فما رأيتَ إلاَّ خَيْراً.

بلغ عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أن أقواماً يفضلونَهُ على أبي بكر رضي الله عنه، فوثب مغضباً حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله، ثم أقبل على الناسِ فقال: إني سأخبركم عنّي وعنْ أبي بكر: لما تُوفي رسولُ الله ﷺ ارتدَّتِ العربُ، ومنَعَتْ شاتَها وبَعيرهَا، فأجمعَ رأينا كلّنا أصحابَ محمدٍ أنْ قُلْنَا: ياخليفةَ رسولِ الله، إن رسولَ الله ﷺ كان يقاتِلُ العربَ بالوحيْ والملائكة يمُدُّه الله بِهِمْ، وقد انقطع ذلك اليومَ، فالزمْ بيْتَكَ ومسجدكَ، فإنه لا طاقةَ لكَ بالعرب. فقال أبو بكر: أو كلُّكم رأيُهُ هذاَ؟ فقلنا: نعم. فقال: والله لأنْ أخِرَّ منَ السماءِ فتَخَطَّفَنِي الطيرُ أحبُّ إليَّ من أن يكونَ هَذاَ رأيي.

---

(١) البجر: الشر والأمر العظيم.

(٢) هاضه: أعاده إلى المرض فانتكس.

ثم صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وكبَّره، وصلى على النبي عليه السلام، ثم أقبل على الناس فقال:

أيها الناس؛ من كان يعبدُ محمداً فإنَّ محمداً قد ماتَ، ومن كان يعبدُ الله فإنَّ الله حيٌّ لايموتُ. أيها الناس؛ ألأنْ كثُرَ أعداؤكُمْ وقلَّ عَدَدُكُمْ ركب الشيطانُ منكم هذا المركَب؟ والله ليُظْهِرنَّ الله هذا الدين على الأديانِ كلِّها ولو كرِهَ المشركون. قولُهُ الحقُّ ووعدهُ الصدقُ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[1] و﴿كَم مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّٰبِرِينَ﴾[2].

أيها الناس. لو أُفْرِدْتُ من جَمْعِكُم لجاهدتُهُمْ في الله حقَّ جهادِهِ حتى أبْلُغَ من نَفْسِي عُذْراً، أوْ أُقْتَلَ مَقْتَلاً. أيها الناس؛ لو منَعُونِي عِقالاً لجاهدتُهُمْ عليه، واستعنتُ بالله فإنه خيرُ معينٍ.

ثم نزل فجاهد في الله حقَّ جهاده حتى أذعَنَ العربُ بالحقِّ.

---

(١) سورة الأنبياء: ١٨.

(٢) سورة البقرة: ٢٤٩.

وقال لأبي بكر رجلٌ: والله لأشتمنَّكَ شتماً يدخلُ معك قبركَ. قال: «مَعَكَ يدخلُ وَاللهِ لاَ مَعِي».

وقال: والله إنّ عُمَرَ لأحبُّ الناسِ إليَّ. ثم قال: كيف قلتُ؟ فقالت عائشةُ: قلتَ: والله إن عُمَرَ لأحبُّ الناسِ إليَّ. فقال: اللهم أعزُّ الولدِ ألْوَطُ[1].

ومرّ بعبد الرحمن ابنه وهو يماظُّ[2] جاراً له، فقال: لا تُماظَّ جاركَ فإنه يبقى ويذهب الناس.



---

(١) ألوط: ألصق بالقلب.

(٢) يماظ: يخاصم وينازع.



البـاب الثانـي



من كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال رضي الله عنه في أول خطبة خطبها بعد أن حمد الله، وأثنى عليه، وصلَّى على نبيِّه ﷺ: أيها الناسُ؛ إنَّه والله ما فيكُم أحدٌ أقوى عندي من الضعيف حتى آخذَ الحقَّ له، ولا أضعفُ عندي من القويِّ حتى آخذَ الحقَّ منه، ثم نزل.

وكتب إلى أبي موسى الأشعريّ، وهي رسالتهُ المشهورةُ في القضاء:

سلامٌ عليك. أما بعد؛ فإنَّ القضاءَ فريضةٌ مُحكَمَةٌ، وسُنَّةٌ متَّبعةٌ، فافهَمْ إذا أُدلِيَ إليكَ، فإنَّه لا ينفعُ تكلُّمٌ بحقٍّ لا نفاذَ له.

آسِ[1] بين الناس في وَجهكَ وعَدْلكَ ومَجلسكَ، حتى لا يطمعَ شريفٌ في حَيْفِك[2]، ولا ييأسَ ضعيفٌ من عدلِكَ.

البيِّنَةُ على من ادَّعَى، واليمينُ على مَن أنكر، والصلْحُ جائزٌ بينَ المسلمينَ إلا صلْحاً أحلَّ حراماً أو حرَّم حلالاً.

---

(١) آس: سوِّ.

(٢) الحيف: الظلم.

لا يمنعكَ قضاءٌ قضيتَه اليومَ، فراجعتَ فيه عقلَك، وهُديت لرُشدك أن ترجعَ إلى الحقِّ فإن الحقَّ قديمٌ، ومراجعةَ الحقِّ خير من التَّمادي في الباطل.

الفهمَ الفهمَ فيما تلجلجَ في صدرك مما ليس في كتابٍ ولا سنةٍ، ثم اعرف الأشباهَ والأمثَال، فقسِ الأمورَ عند ذلكَ بنظائرها، واعمَدْ إلى أقربها إلى الله وأشبهِها بالحقّ، واجعلْ لمن ادَّعى حقاً غائباً أو بيِّنةً أمداً ينتَهي إليه، فإن أحضرَ بيِّنته أخذْتَ له بحقِّه، وإلا استَحْللْت عليه القضية فإنَّه أنفَى للشك، وأجْلى للعمى.

المسلمون عدُولٌ بعضهُم على بعضٍ إلا مجلوداً في حدٍّ، أو مجرَّباً عليه شهادةُ زور، أو ظَنيناً[1] في ولادٍ أو نسبٍ، فإنَّ الله تولى منكم السرائر، ودرأ بالبينات[2] والأيْمان.

وإياك والغَلَقَ والضجرَ[3] والتأذِّيَ بالخصوم والتنكُّرَ عند الخصومات؛ فإن الحقَّ في مواطن الحقِّ يُعظِمُ الله به الأجرَ، ويُحْسِنُ به الذُّخرَ. فمن صحت نيَّتهُ وأقبلَ على نفسه كفاهُ اللهُ

---

(١) الظنين: المتهم.

(٢) درأ: دفع.

(٣) الغلق: ضيق الصدر وسوء الخلق.

مـا بينهُ وبينَ الناس، ومن تَخلّق للناسِ بما يعلمُ الله أنه ليسَ من نفسهِ شانه الله[1]. فما ظنكَ بثوابِ الله في عاجلِ رزقهِ وخزائنِ رحمتهِ؟.

وقال: ماكانتْ على أحدٍ نعمةٌ إلا وكانَ لها حاسدٌ، ولو كان الرجلُ أقومَ من القِدْح[2] لوجَدَ له غامزاً.

وقـال: تمعْدَدُوا[3] واخـشَوْشنُوا، واقطعـوا الرُكُبَ[4] وانزُوا على الخيلِ نزْواً، واحفُوا وانتَعلوا فـإنكم لاتَدرُون متى الجَفْلَة[5].

وقال: أَمْلِكُوا العجينَ، فإنه أحد الرَّيْعين[6].

وقال: إذا اشتريتَ بعيراً فاشترِهِ ضخماً، فإنه إن أخطأكَ خَيْرُه لم يُخْطِئكَ سُوقه.

---

(١) شانه من الشين وهو العيب والعار.

(٢) القدح: السهم.

(٣) تمعددوا: تباعدوا. أو هي بمعنى: الخشونة وغلظ العيش تشبهاً بمعد بن عدنان.

(٤) الركب جمع ركاب: المراد ثبوا على الخيل وثباً من غير سروج.

(٥) الجفلة: الشدة واضطراب الأمر.

(٦) إملاك العجين: إجادته، والريع: الزيادة.

وسأل رجلاً عن شيء، فقال: الله أعلمُ. فقال عمر - رضي الله عنه -: قد شقينا إن كنّا لا نعلمُ أن الله أعلم. إذا سُئِل أحدُكم عن شيءٍ لا يعلمهُ فليْقلْ: لا أدري.

وقال لابنة هرمِ بن سنان: ما وهب أبوكِ لزُهير؟ قالت: أعطاهُ مالاً وثياباً وأثاثاً أفناهُ الدهرُ. فقال عمر رضي الله عنه: لكن ما أعطاكُموه لا يفْنيه الدهر.

ومن كلامه: إذا لم أعلَمْ مالَم أرَ، فلا علمتُ ما رأيت.

وكتب إلى معاوية: أمّا بعدُ؛ فإنّي لم آلُكَ في كتابي إليكَ خيراً. إياك والاحتجابَ دونَ الناسِ، وأْذَنْ للضعيف، وأدْنه حتى يَنْبسطَ لسانُه، ويجترِىءَ قلبُهُ، وتعهَّد الغريبَ، فإنه إذا طَال حبسهُ وضاقَ إذنُه تركَ حقَّه، وضعفُ قلبُه، وإنما أقوى[1] حقَّه مَنْ حبَسه، واحرصْ على الصلح بين الناس مالم يستبِنْ لك القضاءُ، وإذا حضرَكَ الخَصمان بالبينة العادلة والأيمان القاطعة فأمْضِ الحكم.

وقال: أشيعوا الكنى فإنها منْبهَةٌ[2].

---

(١) أقوى حقه: أضعفه.

(٢) الكنى: جمع كنية، وهي الاسم المبدوء بأب أو أم -ويعدون المخاطبة بها تشريفاً- منبهة: مشرفة ومعلاة من النباهة.

ومــرَّ برجلٍ من عــمــاله، وهو يبني بالآجُرِّ والحــصَى، فقال: تأبى الدراهمُ إلاّ أنْ تُخرجَ أعناقَها. وشاطَرَهُ مالَهْ.

وقــال رضي الله عنه: إذا تناجَى القــومُ في دينهم دون العامَّةِ فهم علَى تأسيس ضلالَةٍ.

وكان يقول: ليت شعري متى أشفي غيْظي؟ أحين أقدر فيُقالُ: لو عفوتَ، أم حين أعجلُ فيقال: لو صبرتَ.

وبلغه اعتراض عمرو بن العاص على سَعْدٍ[1]، فكتب إليه: لئن لم تَسْتَقِم لأميرك لأُوَجهَنَّ إليك رجلاً يضعُ سيفهُ في رأسك، فيخرجهُ من بين رجليك. فقال عمرو: هدَّدَني بعليٍّ والله.

ومرَّ على رُماة غَرَضٍ[2]، فسمع أحدَهم يقول لصاحبه: أخْطَيت وأسيْت. فقال عمر رضي الله عنه: مَهْ[3]، فإنّ سوء اللحن أشدُّ من سوءِ الرماية.

وقال في خطبة له: إنما الدنيا أملٌ مُخْتَرَمٌ[4]، وأجل

---

(١) هو سعد بن أبي وقاص.

(٢) الغرض: هدف يرمى فيه.

(٣) مه: اكفف.

(٤) مخترم: مستأصل من جذوره.

مُنْتَقَصٌ، وبلاغٌ إلى دارِ غيرِها، وسيرٌ إلى الموتِ ليس فيه تعريجٌ، فرحم الله امرءاً فكرَ في أمره، ونصحَ لنفسه، وراقبَ ربَّه، واستقَالَ ذنْبَه.

وقال رضي الله عنه: بئس الجارُ الغنيُّ، يأخذُكَ بما لا يعطيكَ من نفسه، فإن أبيْتَ لم يُعذرْك.

وقال له المغيرة: أنَا بخيْرٍ ما أبقاكَ الله، فقال: أنت بخيرٍ ما اتَّقيْتَ الله.

وكان إذا كتب إلى أهلِ الكوفة كتب: رأس العرب، ورمحُ الله الأطْول.

ولما ولَّى عبدَ الله بن مسعود قال له: يا بن مسعود، اجلسْ للناسِ طرفي النهار، واقرأ القرآنَ وحدِّثْ عن السنة وصالح ما سمعتَ من نَبِيك محمد -ﷺ- وإيّاكَ والقصص، والتكلُّفَ، وصلةَ الحديث، فإذا انقطعتْ بك الأمورُ فاقطعْها، ولا تستنكفْ إذا سئُلت عما لا تعلمُ أن تقولَ: لا أعلمُ، وقلْ إذا علمتَ، واصمتْ إذا جهلت، وأقلِل الفتيا، فإنك لم تُحَطْ بالأمورِ علماً، وأجب الدعوةَ ولاتقبل الهديةَ، وليست بحرامٍ، ولكني أخافُ عليكَ القالةَ. والسلام.

وخطب رضي الله عنه؛ فقال: إياكم والبِطنةَ، فإنها مَكْسَلَةٌ عن الصلاة، مَفْسَدَةٌ للجسم، مُؤَدِّيةٌ إلى السقم، وعليكم بالقَصد في قوتكم فهو أبعدُ من السَّرَف، وأصحُّ للبدن، وأقوى على العبادة، وإن العبدَ لن يهلِكَ حتى يؤْثِرَ شهوتَه على دينه.

وكتب إلى معاوية: الزمِ الحقَّ ينْزِلْكَ الحقُّ منازلَ أهلِ الحقِّ يومَ لا يُقْضَى إلا بالحقِّ.

ونظر رضي الله عنه إلى أعرابيٍّ يصلّي صلاة خفيفةً، فلما قضاها قال: اللّهم زَوِّجني الحورَ العين، فقال عمر: أسأتَ النَّقْدَ، وأعْظَمْتَ الخطبة.

وقال إبراهيم بن ميسَرَةَ[1]، قال لي طاوس[2]: لتَنْكِحَنَّ أوْ لأقولَنَّ لكَ ما قالهُ عُمرُ بن الخطاب - رضي الله عنه - لأبي الزوائد[3]: ما يمنعُكَ من التزوُّج إلا عجزٌ أو فجورٌ.

وجلَسَ رجلٌ إلى عمرَ - رضي الله عنه - فأخذ من رأسه شيئاً فسكتَ عنه. ثم صنَعَ به ذلك يوماً آخر، فأخذ بيده،

---

(١) إبراهيم بن ميسرة الطائفي: نزيل مكة، ومن جلة التابعين.

(٢) طاوس: هو أبو عبد الرحمن طاوس بن كيسان الفارسي، أحد أعلام التابعين.

(٣) أبو الزوائد: أحد الصحابة.

وقال: ماأَراكَ أخذتَ شيئاً. فإذا هو كذلك. فقال رضي الله عنه: انظروا إلى هذا صنع بي مراراً، إذا أخذ أحدُكم من رأسِ أخيهِ شيئاً فَلْيُرِه. قال الحسن: نهاهم والله عن الملق.

وقال عمر - رضي الله عنه - على المنبر: اقرؤوا القرآنَ تُعْرَفُوا به، واعملوا بِهِ تكونوا من أهْلِه، إنه لن يبلغَ من حقِّ ذي حقٍّ أن يطاعَ في معصية الله، إني أنزلتُ نَفْسِي من مال الله بمنزلة والي اليتيم، إذا استغنيتُ عففتُ، وإن افتقرتُ أكلتُ بالمعروفِ، تقرُّمَ[1] البهيمة الأعرابية: القَضْمَ لا الخضْمَ[2].

وكتب إلى عبد الله رضي الله عنه: أمّا بعد. فإنه من اتَّقى الله وقاه، ومن توكل عليه كفاهُ، ومن أقرضهُ جزاهُ، ومن شكرَه زادهُ. فعليكَ بتقوى الله، فإنه لاثواب لِمَن لانيَّة له، ولامالَ لمن لارفق له، ولاجديدَ لمن لاخلقَ له[3].

وقال رضي الله عنه: لاتصغُرنَّ هِمَمُكُمْ، فإني لم أر شيئاً أقعد بالرجل من سقوط هِمَّته.

---

(١) التقرم: الأكل القليل.

(٢) القضم: تناول الطعام بطرف الأسنان، والخضم: بالأضراس.

(٣) الخلق: البالي القديم.

سُئل الأحنف: أيُّ الطعام أحبُّ إليك؟ فقال: الزُّبْدُ والكمأة. فقال عمر: ماهما بأحبِّ الطعام إليه، ولكنه يحبُّ الخِصبَ للمسلمين.

وقال رضي الله عنه: إني لأن أرى في بيتي شيطاناً أحبُّ إليّ من أن أرى فيه عجوزاً لا أعرفها.

وأُتي بنائحة قد تُلْتلَتْ[1]، فقال: أبْعَدَها الله إنَّهُ لا حرمةَ لها، ولا حقَّ عندها، ولانفع معها. إنّ الله عزَّ وجلَّ أمر بالصبرِ وهي تَنْهَى عنه، ونهى عن الجَزَعِ وهي تأمُر به، تريقُ دمعتَها وتبكي شَجْوَ غيرها، وتُحزِنُ الحَيَّ وتؤذي الميْتَ.

وفي كتاب له إلى أبي موسى: فإيَّاكَ - عبد الله - أن تكون بمنزلة البهيمة، نزلت بوادٍ خصب، فلم يكن لها همٌّ إلا السِّمَن، وإنما حتفُها في السِّمن واعلمْ أنّ العاملَ إذا زاغَ زاغتْ رعيتُه، وأشقَى الناس من شقيت به رعيته.

وقال يوماً: دلُّوني على رجل أستعمله على أمرٍ قد دَهَمني. فقالوا: كيف تريده؟ قال: إذا كان في القوم وليس

---

(١) التلتلة: السوق بعنف.

أميرَهم كان كأنه أميرُهم، وإذا كان أميرهم كان كأنَّهُ رجلٌ منهم. فقالوا: مانعلمه إلا الربيعَ بن زياد الحارثي[1]. فقال: صدقْتُم. هُوَ لَها.

وَذُكِرَ له غلامٌ حافظٌ من أهل الحيرة، وقالوا: لو اتَّخذتَه كاتباً. قال: لقد اتخذت إذاً بِطانةً من دونِ المؤمنين.

ولما أُتِي بتاج كسرى وسواره جعل يقلبهما بعودٍ في يدِهِ ويقول: والله إن الذي أدَّى هذا لأمينٌ. فقال رجلٌ: ياأمير المؤمنين، أنت أمين الله، يُؤَدُّون إليك ما أديت إلى الله، فإذا رتَعْتَ رتعُوا.

وبُعِثَ إليه بحُلل فقسمها، فأصاب كلَّ رجل ثوبٌ، فصعد المنبر وعليه حُلَّة -والحلةُ ثوبان-، فقال: أيها الناس ألا تسمعون؟ فقال سلمانُ: لانسمع. قال: ولم يا أبا عبد الله؟ قال: لأنَّك قسمتَ علينا ثوباً ثوباً وعليك حُلَّة. فقال: لاتعجَلْ يا أبا عبد الله. يا عبدَ الله؛ فلم يجبْه أحد. فقال: ياعبد الله بنَ عمر؛ فقال: لبَّيْكَ يا أمير المؤمنين. فقال: نَشَدْتُكَ اللهَ. الثوبُ

(١) هو أحد الصحابة وقيل التابعين، استعمله عمر على البحرين.

الذي اتَّزرتُ به أهو ثوبُك؟ قال: اللهمَّ نعمْ. فقال سلمان: أمَا الآن فقُلْ نسمعْ.

وحضر بابَ عمرَ - رضي الله عنه - جماعةٌ: سُهَيْل بن عمرو، وعيينة بن حصين، والأقرع بن حابس، فخرج الآذن فقال: أين صُهيب[1]: أين عمَّار؟ أين سلمان؟ فتمعَّرت[2] وجوهُ القوم. فقال سهيل: لِمَ تتمعَّرُ وجوهكم؟ دُعوا ودُعينا، فأسرَعُوا وأبطأنا، ولئن حَسدتُمُوهُمْ على باب عمر، لَمَا أعدَّ الله لهم في الآخرة أكثر.

ورُوي أنَّ عمر - رضي الله عنه - كان يأخذ بيده اليمنى من الفرس أُذنَه اليسرى ثم يجمع جرَامِيزه[3] ويثب فكأنما خُلق على ظهْر فرسِه.

كان أبو رافع صائغاً، فنظر إليه عمرُ وهو يقرأ ويصوغُ، فقال: ياأبا رافع، أنت خيرٌ منّي، تُؤدِّي حقَّ الله وحق مواليكَ.

قال لرجل: ما معيشتُك؟ قال: رزقُ الله. قال: لكل رزقٍ سببٌ، فما سببُ رزقِك؟

---

(١) صهيب بن سنان الرومي: عربي الأصل، أسره الروم صغيراً.

(٢) تمعرت: تغيرت من الغيظ.

(٣) الجراميز: قيل: هي اليدان والرجلان، وقيل: هي جملة البدن.

مرَّ عمرُ –رضي الله عنه– بشابٍّ فاستسقاه، فخاص[1] له عسلاً، فلم يشربه، وقال: إني سمعت الله تعالى يقول: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾. فقال الفتى: إنها والله ليستْ لك. اقرأ ماقبلها ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾[2]. أفنحنُ منهم؟ فشربها وقال: كلُّ الناسِ أفقهُ من عمر.

وقال رضي الله عنه: لا يبلغنِّي أن امرأة تجاوزت بصَداقها صداقَ النبيِّ عليه السلامُ إلاّ ارتجعتُ منها. فقامت امرأةٌ فقالت: ما جعلَ اللهُ ذلكَ لَكَ يا ابنَ الخطّاب، إن الله تعالى يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾[3] فقال عمر رضي الله عنه: لاتعجبُوا من إمامٍ أخطأ، وامرأةٍ أصابت، ناضلَتْ إمامكُم فنَضَلَتْه[4].

وقال رضي الله عنه: أحبُّكُمْ إلينا أحسنُكُمْ اسماً، فإذا رأيناكُمْ فأجْمَلُكُمْ منْظراً، فإذا اختبرْناكُمْ فأحْسَنُكُمْ مَخْبَراً.

---

(١) خاص: خلط.

(٢) سورة الأحقاف: ٢٠.

(٣) سورة النساء: ٢٠.

(٤) نضلته: غلبته في النضال.

وقال رضي الله عنه: الدِّينُ ميسمُ الكرامِ.

وقال ابن عباس: لما أسلم عمرُ رضي الله عنه قال المشركون: انتصفَ القومُ منَّا.

قيل: أهدى رجلٌ إلى عمر -رضي الله عنه- جَزُوراً[1]، ثم خاصَمَ إليه بعدَ ذلكَ في خُصومةٍ، فجعل يقول: افصلْها ياأميرَ المؤمنين كفصل رِجل الجزور، فاغتاظ عمر رضي الله عنه، وقال: يامعشرَ المسلمين؛ إياكم والهدايا فإن هذا أهدى إليَّ منذ أيامٍ رِجْلَ جزورٍ، فوالله مازال يُرَدِّدُها حتى خفْتُ أن أَحكُمَ بخلافِ الحكم.

ولما حُصِر أبو عبيدة كتب إليه عمرُ رضي الله عنه: مهما ينزلْ بامرئٍ من شدةٍ يجعل الله بعدها فرجاً، إنه لن يغلبَ عُسْرٌ يُسْرَيْن، إنه يقول: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا الله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

وقال: ثلاث يُثَبِّتْنَ لكَ الوُدَّ في صدرْ أخيكَ: أن تبدأَه بالسلامِ، وتوسِّعَ له في المجلسِ، وتدعُوَه بأحبِّ الأسماءِ إليه.

(١) الجزور: الجمل المذبوح أو الناقة المذبوحة.

(٢) سورة آل عمران: ٢٠٠.

وقال رضي الله عنه: مِن أفضلِ ما أُعْطِيَتْهُ العربُ الأبياتَ يُقَدِّمُها الرجلُ أَمَامَ حاجتِهِ، يستعطفُ بها الكَرِيمَ، ويستنْزِلُ بها اللئيم[1].

وقَدِمَ معاويةُ عليه وهو أَبَضُّ الناسِ، فضرب عمرُ - رضي الله عنه - بيده على عضُدِه، فأَقْلَعَ عن مثلِ الشَّرابِ في لونِه أو مثلِ الشِّراك[2]. فقال: إنَّ هذا والله لتَشاغُلُكَ بالحَمّاماتِ، وذَوُو الحاجات تَقَطَّعُ أَنْفُسُهُم حسراتٍ عليكَ.

وقال لربيع بن زياد الحارثي: ياربيع؛ إنا لو نشاءُ ملأْنا هذه الرِّحابَ مِنْ صلائقَ وسبائكَ وصنابٍ[3] ولكني رأيتُ الله عز وجل نعى على قومٍ شهواتهم، فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَـٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾[4].

وقال: علّموا أولادكُم العومَ والرِّماية، ومرُوهم فلْيَثِبُوا

---

(١) يستنزل: يطلب منه التَّزُّل، والأبيات هنا: الشعر.

(٢) أقلع: انجلى، والشراك: السيور للنعل.

(٣) الصلائق: الرقاق، والسبائك: ماسبك من الدقيق فأخذ خالصه، والصناب: الخردل بالزبيب.

(٤) سورة الأحقاف: ٢٠.

على الخَيْلِ وثباً، ورَوّوهم ما جَمُلَ من الشعرِ، وخير ُخُلُقِ المرأةِ المِغزل.

وقال: لو كان الصبرُ والشكرُ بَعيرين ما باليتُ أيهما أركب.

وقال رضي الله عنه: لا تزالون أصحاءَ مانزعتم ونزوتم. نزعتم في القِسِيِّ، ونزوتم على ظهور الخيل.

وقال رضي الله عنه: ليس قومٌ أكْيَس من أولاد السّراري؛ لأنهم يجمعون عزَّ العرب ودهاءَ العجم.

وقال رضي الله عنه: من يَئِسَ من شيء استغنى عنه.

ونظر إلى رجل مُظْهِرٍ للنسك متماوت، فخفقه بالدِّرَّة وقال: لا تُمِت علينا دِينَنا أماتك الله.

وقال رضي الله عنه لأبي مريم السَّلولي[1] والله لا أُحبك حتى تحبَّ الأرضُ الدمَ. قال: أفتمنعني حقاً؟ قال: لا. قال فلا بأسَ. إنما يأسف على الحبّ النساءُ.

وروي أن أعرابياً أتاه فقال: إني أَصبْتُ ظبياً وأنا مُحرِمٌ،

(١) الصحيح أنه أبو مريم الحنفي لأنه قتل أخاه زيد بن الخطاب في وقعة اليمامة.

فالتفت عمر - رضي الله عنه - إلى عبد الرحمن بن عوف، وقال: قلْ. قال عبد الرحمن: يُهدي شاةً. قال عمر - رضي الله عنه -: اهْدِ شاةً. فقال الأعرابي: والله ما درى أميرُ المؤمنين ما فيها حتى استفتى غيره، وما أظنُّني إلا سأنحرَ ناقتي، فخفقه عمرُ بالدِّرة وقال: أتقتل في الحَرَمِ وتَغْمَصُ[1] في الفُتْيا؟ إن الله عز وجل يقول ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾[2]. فأنا عمرُ بنُ الخطّاب، وهذا عبدُ الرحمنِ بن عوف.

ومن كلامه رضي الله عنه: قد إِلْنَا[3] وإِيلَ علَيْنا، أي سُسْنَا وساسَنا غيرُنَا.

وقال له عبد الله ابنه -رضي الله عنهما-: لم فضَّلت أُسامةَ عليَّ، وأنَا وهو سِيّان؟ فقال: كان أبوهُ أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من أبيك، وكان هُوَ أحبَّ إلى رسول الله منكَ.

وأُثْنِيَ عليه وهو جريح، فقال: المغرورُ من غرَرْتُمُوه، لَوْ أنّ لي ما في الأرض جميعاً لافْتَدَيتُ به من هولِ المُطَّلَع[4].

---

(١) تغمص: تحتقر.

(٢) سورة المائدة: ٩٥، والآية عن الصيد في الحرم.

(٣) إلنا: من الإيالة وهي السياسة.

(٤) المطلع: مكان الاطلاع.

وقال: تعلَّموا اللحنَ والسُّنَنَ[1]، والفرائضَ كما تَعَلَّمون القرآنَ.

ورُوي أنه كان يَحْمِلُ الدقيقَ على ظهره، فقال له بعضُهم: دعْنِي أحملْه عنك. فقال: ومن يحمل عنِّي ذنوبي؟

وقال: لساني سَبُعٌ، فإذا أَرْسَلْتُه أكلني.

وقال رضي الله عنه: من المروءة الظاهرة الثيابُ الطاهرةُ.

وقال: لئن بقيتُ لأُسوِّيَنَّ الناسِ، حتى يأتيَ الرجلَ حقُّه في صَفَنَه[2] لم يعرقْ فيه جبينُه.

وقيل له: إن النساءَ قد اجتمعنَ يبكينَ على خالدٍ، فقال: وما على نساءِ بني المغيرة أن يَسْفُكْنَ منْ دموعِهن على أبي سليمان، مالم يكن نَقْعٌ[3] ولا لَقْلَقَةٌ[4].

وقال: أَعْضَلَ[5] بي أهلُ الكوفة، مايرضَوْن بأمير، ولا يرضاهم أمير.

---

(١) اللحن: اللغة والنحو.

(٢) الصفن: خريطة الراعي. والمعنى: يأتي الرجل حقه إلى حيث يوجد.

(٣) النقع: الغبار، والمراد: وضع التراب على الرؤوس، وتلطيخ الوجوه والثياب به.

(٤) اللقلقة: رفع الصوت بالعويل.

(٥) أعضل بي أهل الكوفة: ضاقت علي الحيل فيهم وصعب عليّ مداراتهم.

وقال رضي الله عنه: فرّقوا عن المنية، واجعلوا الرأسَ رأسين[1] ولا تُلِثُّوا بدار مَعْجِزَةَ[2]، وأَصلحوا مشاويكُمْ، وأَخيفوا الهوام قبل أَن تخيفكم، واخشَوْشنوا! وتَمَعْدَدُوا[3].

وكتب رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد: إنه بلغني أَنك دخلتَ حمَّاماً بالشام، وأَن مَن بها من الأعاجم أَعدوا لك دلوكاً عجن بخمر، وإني أظنكم - آل المغيرة - ذَرْءَ النار[4].

وقال رضي الله عنه: ورِّع اللصّ ولا تُراعِه[5].

قال ابن المسيب: وضع عمر للناس كلمات حكماً كلّها، وهي:

«ماعاقبتَ من عصَى الله فيكَ بمثلِ أَن تُطيعَ الله فيه».

«ضع أمرَ أَخيك على أَحْسَنِه، حتى يجيئك ما يَغْلِبُكَ منه».

---

(١) المعنى: اشتروا بثمن الواحد من الحيوان اثنين، فإذا أصاب الموت أحدهما بقي الآخر.

(٢) ألث: أقام، ودار معجزة: دار تعجزون فيها عن طلب الرزق.

(٣) تمعددوا: التمعدد الصلابة والخشونة.

(٤) ذرأ: خلق، وذرء النار: مخلوقون لها.

(٥) والمعنى: ادفعه واكففه ولا تنتظره.

«لاتظننَّ بكلمةٍ خرجت من مسلمٍ شراً وأنت تَجِدُ لها في الخير محملاً».

«من كتمَ سرَّه كانت الخِيَرَةُ بيده».

«من عرّض نفسه للتُّهمَةِ فلا يلُومَنَّ من أساءَ الظنَّ به».

«عليك بإخوان الصدقِ تعِشْ في أكنافِهِم، فإنهمْ زينةٌ في الرخاءِ، وعُدّةٌ في البلاء».

«لاتَهَاونوا بالحلفِ فيُهينكم الله».

«لاتسأل فيما لم يكن، فإن فيما قد كان شغُلاً عما لم يكن».

«عليكَ بالصدق وإن قتَلَك الصدقُ».

«احذر صديقَك إلا الأمين، ولا أمين إلاّ مَن خشي الله».

«استشر في أمرك الذين يَخْشونَ الله، فإنما يقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ﴾[1]».

«آخِ الإخوانَ على التقوىَ».

---

(١) سورة فاطر: ٢٨.

«كفى بك عيباً أن يبدو لك من أخيك ما يخفى عليك من نفسك، أو تؤذي جليسك فيما لا يعنيك، أو تعيب شيئاً وتأتي بمثله».

وكتب إلى أبي عبيدة: أما بعد، فإنه لم يُقِمْ أمرَ الله في الناس إلا حَصيفُ العقدة[1] بعيدُ الغِرَّة[2]. لا يُحنَقُ في الحقِّ على جِرَّةٍ[3]، ولا يطّلعُ منه الناسُ على عورة. ولا تأخذه في الله لومةُ لائم.

وقال: مَن أسرع إلى الهِجْرة أسرعَ به العطاءُ، ومن أبطأ عنِ الهجرة أبطأ عنه العطاء، فلا يلومَنَّ رجلٌ إلا مُناخ راحلته.

وقال له أبو عبيدة حين نزل عن ناقته، وخلع خُفَّيْه، وخاض المخاضة[4]:

مايَسرُّني أنَّ أهلَ البلدِ استَشْرفُوك[5]؛ أي رأوكَ. فقال له

---

(١) المراد: محكم للأمور.

(٢) الغرة: الغفلة.

(٣) أي لا يكظم الحقد والدغل وينطوي عليه، أصلها الجرة: ما يخرجه البعير من جوفه ويمضغه، ويحنق البعير: تلتصق ببطنه.

(٤) المخاضة في الشام.

(٥) استشرفوك: اطلعوا عليك.

عمر رضي الله عنه: لو غيرُكَ يقول هذا لجعلتهُ نكالاً، إنَّا كنَّا أذلَّ قوم، فأعزَّنا اللهُ بالإسلام، فإن طلبنا العزَّ بغيرِ ماأعزنا الله به أذلّنَا.

وخطب رضي الله عنه فقال: إن أخوفَ ما أخافُ عليكمْ أن يؤخذَ الرجلُ المسلمُ البريءُ عندَ الله، فيُدسَرَ[1] كما يُدسَرُ الجَزُورُ، ويُشاط[2] لحمُهُ كما يُشاط لحمُ الجزور، ويقالُ: عاصٍ وليس بعاصٍ. فقال عليٌّ عليه السلام: كيف ذاكَ؟ ولما تشتدَّ البليةُ، وتَظْهر الحميةُ وتُسْبَ الذُّرية وتدقُّهم الفتنُ دقَّ الرحا ثفالِها[3].

وقال عمر رضي الله عنه: لاتفطروا حتى تروا الليل يَغْسِقِ على الظراب[4].

وأوصى الخليفة بعده فقال:

أُوصيك بتقوى الله وحدَهُ لا شريك له، وأُوصيك بالمهاجرين الأَولين خيراً أنْ تعرف لهم سابقتهم.

---

(١) يدسر: يدفع ويكب للقتل، كما يفعل بالجزور عند النحر.

(٢) يشاط: يقطع، والأصل يشوى. والجزور الناقة أو الشاة المعدة للذبح.

(٣) الثفال: جلدة تحت الرحا.

(٤) يغسق: يظلم. والظراب: ما كان دون الجبل.

وأوصيكَ بالأنصار خيراً؛ فاقبلْ من مُحْسنهم، وتَجَاوز عن مسيئهم، وأُوصيك بأهل الأمصار خيراً، فإنهم ردءُ العدو، وجباةُ الفيء، لا تَحمِل منهم إلا عن فَضْلٍ منهم.

وأوصيكَ بأهل البادية خيراً؛ فإنهم أصل العربِ، ومادَّةُ الإسلامِ، أنْ تأخذَ من حواشي [1] أموالهم فتردَّ على فقرائهم.

وأوصيك بأهل الذمّة خيراً أنْ تُقاتل من ورائهم، ولا تكلفهم فوقَ طاقتهم إذا أدَّوا ما عليهم للمؤمنين طوعاً، أو عن يدٍ وهمْ صاغرون.

وأوصيك بتقوى الله، والحذر منه، ومخافةِ مقته أنْ يطَّلع منك على ريبة وأوصيك أنْ تخشى الله في الناسَ، ولا تخشى الناس في الله.

وأوصيك بالعدل في الرعية، والتفرغِ لحوائجهم وثغورهم، ولا تُؤثر غنيَّهم على فقيرهم، فإن في ذلك بإذن الله سلامةً لقلبك، وحطّاً لوزْرك، وخيراً في عاقبة أمرك، حتى تُفضي في ذلك إلى من يعرف سريرتَكَ، ويحول بينك وبين قلبك.

---

(١) حواشي جمع: حاشية، وهي الطرف والجانب. والمراد هنا بالحواشي: صغار الإبل.

وآمرُكَ أن تشتدَّ في أمر الله، وفي حدوده ومعاصيه على قريب الناس وبعيدهم، ثم لا تأخذُكَ في أحدٍ الرأفةُ، حتى تنتهكَ منه مثلَ جُرْمه. واجعل الناسَ عندك سواءً، لا تبالي على منْ وجب الحقُّ، ولا تأخذْك في الله لومةُ لائم، وإياك والأثرة والمحاباة فيما ولاّكَ اللهُ مما أفاء على المؤمنين، فتجورَ وتظلم، وتحرم نفسك من ذلك ما قد وسَّعَه الله عليك.

وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة، فإن اقترفت لدنياك عدلاً وعفةً عما بُسطَ لك اقترفت به إيماناً ورضواناً، وإن غلبك فيه الهوى اقترفت به غضَبَ الله.

وأوصيك ألاّ ترخِّصَ لنفسك ولا لغيرها في ظلم أهل الذِّمة.

وقد أوصيتك، وخصصتُك ونصحتُكَ، فابْتغِ بذلك وجْهَ الله والدارَ الآخرةَ، واخترتُ من دلالتك ما كنتُ دالاً عليه نفسي وولدي؛ فإن عملتَ بالذي وعظتُك، وانتهيتَ إلى الذي أمرتُك أخذتَ منه نصيباً وافراً وحظاً وافياً؛ وإن لم تقبل ذلك، ولم يهمك، ولم تترك معاظم الأمور عند الذي يرضى به الله عنكَ يكنْ ذلك بك انتقاصاً، ورأيك فيه مدخولاً؛ لأن الأهواء مشتركة، ورأسَ الخطيئة إبليسَ داعٍ إلى كل مهلكةٍ، وقد أضلَّ

القرونَ السالفةَ قبلك، فأوردهم النَّار وبئسَ الوِردُ المَوْرود، ولبئس الثمن أن يكون حظُّ امريءٍ موالاةَ لعدوِّ الله، الداعي إلى معاصيه.

ثم اركب الحقَّ، وخض إليه الغَمَرات[1]، وكنْ واعظاً لنفسك، وأُناشدك الله إلا تَرَحَّمْت على جماعة المسلمين، وأَجللْت كبيرَهُم، ورحمتَ صغيرهم، ووقَّرتَ عالمهم، ولا تضربهم فيذلُّوا، ولا تستأثر عليهم بالفيءِ فتُغْضِبهمْ، ولا تحرمْهُم عطاياهمْ عند محلِّها فتُفْقرهم، ولا تجمِّرْهم[2] في البعوث فينقطع نسلهم، ولا تجعل المالَ دُولةً بين الأغنياءِ منهم، ولا تُغلق بابك دُونهم، فيأكل قويُّهم ضعيفهم.

هذِهِ وصيَّتي إليك، وأُشهد الله عليك، وأقرأ علَيكَ السلام.



(١) الغمرات: الشدائد.

(٢) التجمير: تركهم في ثغور العدو.

البـاب الثالـث



من كلام عثمان بن عفان رضي الله عنه

لمَّا نَقِمَ الناسُ عليه قام رضي الله عنه يتوكأ على مروان، وهو يقول: لكل أُمة آفةٌ، ولكل نعمة عاهة، وإن آفة هذه الأُمة، وعاهةَ هذه النعمة عيَّابون طعّانون، يُظهرون لكم ماتُحبون، ويُسرون ما تكرهون، طَغامٌ[1] مثلُ النعام، يتبعون أول ناعق. لقد نقَموا عليَّ ما نَقَمُوه على عمر، ولكنه قمعهم و وقَمهم[2]. والله إني لأقربُ ناصراً، وأعزُّ نفراً، فمالي لا أفعل في الفضلِ ما أشاء؟

ورُوي أنه رضي الله عنه قال يوماً على المنبر: والله ما تَغَنَّيتُ ولا تمنَّيتُ ولا تمنَّيت[3] ولا زنيت في جاهلية ولا إسلام، وما تركتُ ذلك تأثُّما، ولكن تركته تكرُّماً.

اشتكى عليٌّ - عليه السلام - فعاده عثمان - رضي الله عنه - فقال: أراك أصبحتَ ثقيلاً. قال: أجل. قال: والله ما أدري

---

(١) الطغام: السفلة من الناس.

(٢) وقمه: رده وقهره.

(٣) تمنيت: كذبت.

أموتك أحبُّ إليَّ أم حياتُك؟ إني لأُحِبُّ حياتك، وأكره أن أعيش بعد موتك، فلو شئت جعلت لنا من نفسك مخرجاً، إما صديقاً مسالماً، أو عدواً معالناً، فإنك كما قال أخو زياد:

لقد جَرَرْتَ لنا حَبْلَ الشَّموسِ فلا يأساً مُبيناً أرى منكُم ولا طَمعاً[1]

فقال له عليٌّ - عليه السلام -: مالكَ عندي ما تخاف، وما جوابُكَ إلاّ ما تكره.

قُدِّمَ إلى عثمان - رضي الله عنه - غلامٌ في جناية، فقال: انظروا هل اخْضرَّ إزاره؟[2].

قال سعيدُ بن المسيّب[3]: بلغ عثمانَ - رضي الله عنه - أنّ قوماً على فاحشة، فأتاهم وقد تفرّقوا، فحمد الله وأعْتقَ رقبةً.

روى الزُّهْريُّ قال: اشتكى عثْمانُ - رضي الله عنه - فَدَخلَ عليهِ عليٌّ عائداً فقالَ عثمانُ لمّا رآهُ:

وعائدةٍ تعودُ بغيرِ نُصحٍ تَوَدُّ لَوَ انَّ ذا دنَفٍ يَموتُ[4]

---

(١) الشموس: الفرس يمنع راكبه.

(٢) الإزار: هنا كناية عما تحته وهو العانة، وذلك لكي يعرف هل بلغ مبلغ الشباب؟

(٣) سعيد بن المسيب: أحد الفقهاء السبعة في المدينة، جمع بين الحديث والفقه، لم يبايع عبد الملك ابن مروان. توفي سنة نيف وستين على اختلاف في الأقوال.

(٤) الدنف: المرض الشديد.

قيل: لما صَعِدَ عثمانُ المنبر أُرتِجَ عليه[1] فقال: إنَّ أبَا بكرٍ وعمرَ كانا يُعِدَّانِ لهذا المقام مقالاً؛ وأنتم إلى إمامٍ عادلٍ أحوجُ منكم إلى إمامٍ خطيبٍ.

وكتب إلى علي رضي الله عنهما حين أُحيط به: أمَّا بَعْدُ؛ فإنَّه قدْ بلَغَ السيْلُ الزُّبى[2]، وجاوَزَ الحِزامُ الطُّبيين[3]، وتجاوز الأمر قَدْرَه، وطمعَ فيَّ من لا يدفعُ عن نفسه:

فإن كنتُ مأكولاً فكنْ خير آكلٍ وإلاَّ فأدْرِكْني ولَمَّا أُمَزَّقِ[4]

وقال عثمان رضي الله عنه: إنّ الله لَيَزَعُ بالسلطان ما لا يزعُ بالقرآن[5].

وكان عثمان إذا نظر إلى قبرٍ بكى، فقيل له في ذلك. فقال: هو أولُ منازلِ الآخرة، وآخر منازل الدنيا، فمن شُدِّدَ عليه فما بَعْدَه أشدُّ، ومن هُوِّنَ عليه فما بَعْدَهُ أهون.

---

(١) أرتج عليه: لم يستطع الكلام.

(٢) الزبى: جمع زبية وهي التلال العالية. أو مصيدة الأسد ولا تتخذ إلا في قلة أو رابية أو هضبة.

(٣) الطبيان: حلمتا الضرع. والكلام كناية عن اشتداد الأمر وتفاقمه.

(٤) البيت للممزق العبدي، وقد كان سبباً في تلقيبه بهذا اللقب، وهو شاعر جاهلي.

(٥) يزع: يكف ويمنع.

وكان يقول: ما رأيت منظراً إلا والقبر أفْظَعُ منْهُ.

وقال رضي الله عنه: بلغني أن ناساً منكم يخرجُون الى سوادهم، إمَّا في تِجارةٍ، وأما في جباية، وإما في حشرٍ[1]، فيَقْصرون الصَّلاة، فلا يفعلوا، فإنما يقْصِر الصلاة من كان شاخصاً أو بحضرة عدوٍّ.

وعرَّض به إنسانٌ فقال: إنّي لم أفرّ يوم عيْنين[2] فقال عثمان: فَلِمَ تعيِّرني بذنبٍ قد عفا الله عنه؟

وقال: قد اختبأت[3] عند الله خصالاً، إني لرابع الإسلام، وزوجني رسولُ الله - ﷺ - ابنته ثم ابنته[4]، وبايعته بيدي هذه اليمنى فما مَسَسْتُ بها ذكري، وما تغنَّيت، ولا تمنّيتُ، ولا شربت خمراً في الجاهلية والإسلام.

وقال: كلُّ شيء يُحبُّ ولده حتى الحُبارى[5].



---

(١) الحشر: الجهاد.

(٢) عينين: جبل بأحد.

(٣) اختبأت: ادخرت وخبأت.

(٤) ابنتا الرسول المشار إليهما: رقية، وأم كلثوم.

(٥) طائر يضرب به المثل في الحمق.

البـاب الرابـع



كلام الصحابة

عبد الله بن مسعود[1]

خطبة له: أَصْدَقُ الحديث كتابُ الله، وأَوثق العُرى كلمةُ التَّقْوى، خيرُ الملل ملّة إبراهيم، وأَحسن السنن سنة محمد ﷺ، شرُّ الأمور محدَثاتها، ما قلَّ وكفى خيرٌ مما كثر وألهى، خير الغنى غنى النفس، خيرُ ما ألقي في القلب اليقين، الخمر جماع الآثام، النساء حِبالة[2] الشيطان، الشباب شعبةٌ من الجنون، حبُّ الكفاية مفتاح المَعْجَزَة، من الناس مَنْ لا يأتي الجماعة إلا دُبراً[3]، ولا يذكر الله إلا هُجْراً، أعظم الخطايا اللسان الكذوب. سبابُ المؤمن فسوقٌ، قتاله كفرٌ، أكل لحمه

---

(١) عبد الله بن مسعود الهذلي: سادس من أسلم، وأول من جهر بالقرآن في مكة، شهد الهجرتين وبدراً، سيره عمر إلى الكوفة إماماً للمسلمين، وأمره عليها عثمان، ثم عزله. مات سنة ٣٣هـ.

(٢) الحبالة: ما يصاد به من أي شيء كان.

(٣) دبراً: معرضاً عن الجماعة مستدبراً لها.

معصيةٌ، من يتألَّ[1] على الله يُكذّبْه، ومن يغفر يُغفر له. مكتوبٌ في ديوان المحسنين: من عفَا عُفي عنه.

ومن كلامه رضي الله عنه: حدِّث الناس ماحَدَجُوك[2] بأسماعهم، ورَمَوكَ بأبصارهم، فإذا رأيت منهم فترةً[3] فأمسك.

وكانت له ثلاثُ خصال: أولها السِّرارُ، وهو سِرار[4] رسول الله ﷺ قال له: إذنك عليَّ أنْ تسمع سِوادي[5]. وكان معه سِوَاكُ رسول الله ﷺ، أو عصاهُ.

وقيل له في مرضه: لو نظرَ إليك الطبيبُ. فقال: الطبيبُ أمْرَضني. وقال: ما الدخانُ على النار بأدلَّ منَ الصاحب على الصاحب.

---

(١) يتألَّ على الله: يحلف على الله، متحكماً عليه، فيقول: هذا له الجنة وهذا له النار.

(٢) حدجه ببصره: أحد إليه النظر. والمراد: مادامـوا نشيطين مقبلين على كلامك.

(٣) الفترة والفتور: الضعف.

(٤) ما يسار به أصحابه.

(٥) السواد: السِّرار.

قال بعضهم: أسكتتني كلمةُ عبد الله بن مسعود عشرين سنة حيث يقول: مَن كان كلامه لايوافق فعله، فإنما يوبِّخُ نفسَه.

وقال: الدنيا كلُّها غمومٌ، فما كان منها من سرور فهو ربح.

ودخل عليه عثمان - رضي الله عنهما - في مرضه، فقال: ماتشتكي؟ قال: ذنوبي. قال: فَمَا تشتهي؟ قال: رحمة ربِّي.

وقال: القلوب تملُّ كما تمل الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة.

وقال: كونوا ينابيع العلم مصابيح الليل، جُدُدَ القلوب، خلَقـان[1] الثِّيَاب، أَحـلاس[2] البيـوت، تَخْفَـون في الأرض، وتُعْرفون في السماء.

وقال: جَرِّدوا[3] القرآن ليربو فيه صغيركم، ولاينأى عنه كبيركم؛ فإن الشيطان يخرج من البيت تقرأُ فيه سورةُ البَقرَة.

وقال: إن التمائم والرُّقَى والتِّوَلَة[4] من الشِّرْكِ.

* * *

(١) الخلقان: جمع خلق وهو الثوب البالي.

(٢) أحلاس البيوت: الملازمون لها. والحلس في الأصل الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب.

(٣) جردوا القرآن: لا تقرنوا به شيئاً من الأحاديث.

(٤) التولة: ما تفعله المرأة من سحر لتحبب زوجها فيها.

سلمان الفارسي

قال له عمر رضي الله عنه لما دوَّنَ الدَّواوين: مَعَ مَن نكتبُكَ؟ قال: معَ الذين لايريدون علوّاً في الأرض.

قالوا: أضاف[1] سلمانُ الفارسي رجلاً فقدم إليه كِسراً وملحاً، فقال: أمامِن جُبنٍ! فرهن سلمان ركوته واشترى لهُ خبزاً وجبناً، فلما أكل وشبع قال: رضيت بما قسم الله لي. فقال سلمان: لو رضيت بما قسم الله لم تُرهن الرَّكوة[2].

وكان سلمان يتعوذ بالله من الشيطان والسلطان والعِلج[3] إذا استعرب.

وقال: القصدَ والدوام وأنت السابق الجواد.

اشترى رجل بالمدائن شيئاً، فمر سلمان وهو أميرٌ بها فلم يعرفه، فقال: احمل هذا معي يا علْج. فحمله، فكان من يتلقّاه يقول: ادفعه إليَّ أيُّها الأمير، والرجل يعتذر، وهو يقول: لا والله ما يحمله إلا العِلْجُ، حتى بلغ منزله.

---

(١) أضاف الرجل: أنزله عنده، وضافه نزل به.

(٢) الركوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء.

(٣) العلج: الرجل من كفار العجم وغيرهم.

ورُوِي أنّه أخذ من بين يَدَيْ النبي ﷺ تمرةً من تمرِ الصدقة فوضعَهَا في فيه فانْتَزَعَها عليه السلامُ من فمه. وقال: إنُما يحلُّ لك مِنْ هَذا مَا يَحلُّ لَنا.

وقال: الناسُ أربعةٌ: أسدٌ، وذئبٌ، وثعلبٌ، وضأنٌ، فأما الأسدُ فالملوكُ يفرسون[1] ويأكلون، وأما الذئبُ فالتجارُ، وأما الثعلبُ فالقراءُ المخادعون؛ وأما الضأنُ فالمؤمن ينهشه مَنْ رآه.

❋ ❋ ❋

أبو ذر الغفاري[2]

لما بنى معاويةُ خضراء دمشق أدْخلَها أبا ذر رحمة الله، فقال له: كيف ترى ما ها هنا؟ قال: إن كنتَ بَنَيْتَهَا من مال الله فأنت من الخائنين، وإن كنتَ بَنَيْتَها مِنْ مالِكَ فأنْتَ من المسرفين.

---

(١) يفرسون: يفترسون.

(٢) أبو ذر: هو الصحابي الجليل جندب بن جنادة، أسلم على يدي الرسول، وصحبه في غزواته، نفاه عثمان إلى الزبدة فمات بها.

وقال: كانَ الناسُ ورَقاً لا شوكَ فيه، فصاروا شوكاً لا ورقَ فيه.

وقال: يخضَمُون ونقضَم[1]، والموعدُ الله.

وقال: إن لكَ في مالكَ شريكَيْن: الحَدَثان[2] والوارثُ، فإن قدرت ألّا تكونَ أخسَّ الشركاءِ حظًّا فافعلْ.

ولما أمر عثمان بتسييره إلى الربَذَة[3] قال له: إني سائرٌ إلى ربَذتك، فإنْ متُّ بهَا فأنا طريدك، فإذا بعثَني ربيّ حكَمَ بيني وبينَك. قال: إذاً أحُجُك، إنَّك تبغِي عليَّ وتسعَى. قال أبو ذَر: إن كنت أنت الحاكمَ فاحجُجْني[4]، إنّ الحَكمَ يومئذٍ لا يقبلُ الرشوةَ، ولا بينهُ وبينَ أحدٍ قرابةٌ.

نظر عثمان إلى عيرٍ مقبلة، فقال لأبي ذر: ما كنتَ تحبُّ أن تكونَ هذه العير؟ قال: رجالاً مثل عُمَرَ.

---

(١) يقضم: يأكل بطرف أسنانه، ويخضم: يأكل بجميع أضراسه. المراد: يجمعون الدنيا ونزهد فيها.

(٢) الحدثان: الليل والنهار. ويريد: نوائب الدهر.

(٣) الربذة: قرية على بعد ثلاثة أميال من المدينة في طريق الحجاز.

(٤) احججني من حجه أي غلبه في الحجة.

وقيل له: أتحبُّ أن تحشر في مِسْلاخ[1] أبي بكر؟ قال: لا. قيل: ولِمَ؟ قال: لأني على ثقةٍ من نفسي وشكٍّ من غيري.

* * *

المغيرة بن شعبة[2]

ذكرَ عمرَ بنَ الخطاب - رضي الله عنه - فقالَ: كانَ أفْضَلَ من أن يَخْدَع، وأعقَلَ من أنْ يُخدعَ، ومَا رأيْتُ مُخاطِباً لهُ قط. إلا رحمتُه كائناً مَنْ كَان.

وقالَ: من أخّر حاجَةَ الرجل فقد ضمنَها.

وقال له عُمرُ رضي الله عنه: ما أدْري كيْفَ أُعَامِلُ أهلَ الكوفةِ؟ إنْ أرسلتُ إليْهم مؤمناً ضعَّفُوه، وإنْ أرسلتُ إليهمْ

(١) المسلاخ: الإهاب والجلد. كناية عن طريقته.

(٢) المغيرة بن شعبة: أحد دهاة العرب، أسلم وشهد فتوح الشام والعراق، ولاه عمر البصرة ثم الكوفة، بايع معاوية بعد التحكيم: توفي سنة ٤٩هـ.

قوياً فَجَّرُوه[1]. فقالَ المغيرةُ: يا أميرَ المؤمنينَ، الضعيفُ إيمانهُ لهُ وعليكَ ضعفُهُ، والفاجرُ قوتُه لَكَ وعليه فجورُه. فولَّاه الكوفةَ.

وقيل له: إن بوابك يأذَنُ لأصحابِهِ قبلَ أصحابك.
فقال: إن المعرفة لتنفعُ عند الكلب العَقُور، والجمل الصؤُول، فكيفَ بالرجل الكريم.

* * *

عمرو بن العاص

قال: ثلاث لا أملُّهن: جليسي ما فهمَ عنِّي، وثوبي ما سترني، ودابتي ما حملت رَحْلي.

وقال لعبدِ الله بن عباس يوم صفِّين: إن هذا الأمر الذي نحن وأنتُمْ فيه ليس بأول أمرٍ قادهُ البلاءُ، وقدْ بلَغَ الأمرُ بِنَا وبِكُمْ ما ترَى. وما أبقتْ لنَا هذه الحربُ حيَاةً ولا صبراً، ولسنا نقولُ: ليتَ الحربَ عادتْ، لَكِنَّا نقولُ: ليتَهَا لم تكُنْ فانظرْ فيمَا

---

(١) ضعفوه: نسبوا إليه الضعف، وفجروه: نسبوا إليه الفجور.

بَقِي بعينِ ما مضَى، فإنكَ رأسُ هَذا الأمرِ بعدَ عليٍّ، وإنما هوَ أمير مطاعٌ، ومأمورٌ مطيعٌ، ومُشاورٌ مأمونٌ، وأنت هو.

وقال لابنه وقد ولِي ولايةً: انظر حاجبَك فإنه لحمُك ودمُك، فلقد رأينَا بصفِّين وقد أشْرَعَ قومٌ رماحَهم في وُجُوهنا، ما لنا ذنبٌ إليْهم إلا الحجاب.

وقال: ما وضعتُ سرِّي عند أحدٍ قطّ فأفشاهُ فلُمتُه، لأنِّي أحقٌّ باللوم أنْ كنتُ أضيقَ صدراً منهُ.

وكان بين طلحة بن عبيد الله والزُّبيْر مداراةٌ[1] في وادٍ بالمدينةِ، فقالا: نجعلُ بيننا عمرو بن العاصِ، فأتياهُ فقال لهما: أنتما في فضلكما وقديم سوابقكما ونعمةِ الله عليكما تختلفانِ، وقد سمعتُما مِنْ رسول الله ﷺ مثل ما سمعتُ، وحضرتُما من قوله مثل الذي حضرتُ، فيمن اقتطعَ شبراً من أرض أخيه بغير حقٍ أنّهُ يُطوقُّهُ من سبع أرضينَ. والحكمُ أحوجُ إلى العدل من المحكوم عليه، وذلك لأن الحكم إذا جارَ رُزِئ في دينه، والمحكومَ عليه إذا جير عليه رزئ عرضَ الدنيا. إن شئتما فأدليا بحجتكما، وإن شئتما فاصطلحا، وأعطى كل واحد منهما صاحبهُ الرِّضا.

---

(١) المدارأة: المنازعة والمخاصمة.

وقال: ليس العاقلُ الذي يعرف الخيرَ منَ الشر، ولكنه الذي يعرفُ خير الشَّرَّيْن.

قال المدائني: جُعل لرجل جُعْلٌ على أن يسألَ عمرو بن العاص وهو على المنبر عن أمه، فلما قام على المنبر، قال له: ياعمروُ، مَنْ أُمُّكَ؟ قال: سلمى بنتُ خزيمة، تلقّبُ بالنابغة، من بني جلان من عنزة، أصابتْها رماحُ العرب فصارت للفاكه بن المغيرة[1]، ثم صارت إلى عبد الله بن جُدْعان[2]، ثم صارت للعاص بن وائل[3] فولَدت فأنجبَتْ؛ اذهب فخذ جُعْلك الذي جُعِل لك.

وقال لبنيه: اطلبُوا العلمَ، فإن استغْنَيْتُمْ كان جَمَالاً، وإن افتَقَرْتُمْ كان مالاً.

قال عمرو: يا بنيَّ، إمام عادلٌ خيرٌ من مطرٍ وابلٍ، وأسدٌ حَطومٌ خيرٌ من سلطانٍ ظلوم، وسلطانٌ ظلومٌ خيرٌ من فتنةٍ تدومُ، ولأنْ تمازحَ وأنتَ مجنونٌ خيرٌ من أنْ يمازحَكَ مجنونٌ،

---

(١) الفاكه بن المغيرة بن عبد الله المخزومي: أحد الفصحاء في الجاهلية، وعم خالد بن الوليد.

(٢) عبد الله بن جدعان التيمي القرشي: أحد الأجواد المشهورين في الجاهلية.

(٣) العاص بن وائل بن هاشم: أبو عمرو بن العاص.

وزلّةُ الرجلِ عظمٌ يُجبَر، وزلَة اللسانِ لا تُبقي ولا تذر، واستراحَ من لاَ عقلَ له.

وكتب إلى عمر رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين، إن البحر خلْق عظيم يركبه خلْق ضعيف، دودٌ على عُودٍ، بين غرَقٍ وبَرَق[1]. فقال عمر: لا يسألُني اللهُ عن أحدٍ حملتُهُ فيه.

* * *

طلحة

قال لعمرَ - رضي الله عنه - حين استشارهُم في جموع الأعاجم: قد حنّكتْك الأمورُ، وجرَّستْكَ الدهور[2]، وعَجَمَتْك[3] البلايا، فأنت وليٌّ ما وليتَ، لا ينبُو في يديكَ، ولا يحولُ عليك.

---

(١) البرق: الفزع.

(٢) جرستك الدهور: أحكمتك، من جرست بالقوم إذا سمعت بهم، كأنه ارتكب أموراً فعنف حتى استحكم.

(٣) عجمتك: من عجم العود، وهو عضه لتعرف صلابته.

قال ابن عباس: بعثني عليٌّ - رضي الله عنه - بالبصرة إلى طلحةَ والزبير فأتيتُهما فقلت لهما: أخوكما يقرئكما السلام، ويقول لكما: ما الذي نقمتُما عليَّ؟ استئثارٌ بفيءٍ أو جورٌ في حكْم؟ قال: فأمّا الزبيرُ فسكتَ، وأمّا طلحةُ فقال. لا واحدةَ من ثنْتين.

* * *

أبو موسى الأشعري[1]

قال: من إجلال الله إكرامُ ذي الشَّيبةِ المسلم، وحاملِ القرآنِ غير الغالي فيه ولا الجافي عنه، وإكرامُ ذي السلطانِ المُقْسِط.

وقيل له زمنَ علي - عليه السلام - ومعاوية: أهيَ؟[2]

---

(١) عبد الله بن قيس الأشعري: غلبت عليه كنيته أبو موسى. أسلم، ثم قدم على الرسول يوم خيبر، واستعمله، ولاه عمر البصرة، وعثمان الكوفة، وهو أحد الحكمين يوم صفين، راوية للحديث، معلم للقرآن. مات سنة ٤٢هـ.

(٢) المراد: أهي الفتنة التي تحدث عنها الرسول عليه الصلاة والسلام.

فـقـال: إنما هذه الفـتنة، حَيْصَةٌ[1] من حَيْصَات الفتنِ، وبَقِيَت الرَّدَاحُ[2] المظلمةُ، التي من أشرف لها أشرفَتْ له[3].

كتب معاويةُ إلى أبي موسى بعد الحكومة ـ وهو يومئذ بمكةَ عائذٌ بها من علي - عليه السلام - ، وإنما أراد بكتابه أن يضمَّه إلى الشام ـ : «أما بعدُ؛ فإنه لو كانت النيةُ تدفعُ خطأً لنَجا المجتهدُ، وأعذرَ الطالبُ، ولكنَّ الحقَّ لمَنْ قصدَ له فأصابهُ، ليسَ لمن عارضَه فأخطأه. وقد كان الحكَمَان إذا حكَمَا على رجلٍ لم يكنْ له الخيارُ عليهما. وقد اختارَ القومُ عليك، فاكرهْ منهمْ ما كرهُوا منك، فأقْبِلْ إلى الشامِ فهي أوسعُ لك.

فكتب أبو موسى إليه: أما بعدُ؛ فإني لم أقلْ في عليٍّ إلا بما قال صاحبك فيك. إلاّ أني أردتُ ما عندَ الله، وأرادَ عمروٌ ما عندكَ، وقد كانتْ بيننا شرُوطٌ، والشُّورَى عن تراضٍ، فلما رجعَ رجعتُ، فأما الحكمَان وأنَّه ليس للمحكوم عليه الخيارُ، فإنما ذلكَ في الشاةِ والبعيرِ؛ فأمَّا في أمرِ هذه الأمة فليسَ أحدٌ

(١) حيصة من حيصات الفتن: روعة منها عدلت إلينا.

(٢) الرداح: الثقيلة العظيمة.

(٣) من أشرف لها أشرفت له: من غالبها غلبته.

آخذاً لَهَا بزمام ما كَرِهُوا، وليس يَذهبُ الحقُّ لعجزِ عاجزٍ ولا مكيدةِ كائد. وأما دعاؤك إياي إلى الشام، فليستْ بي رغبةٌ عن حرم إبراهيمَ عليه السلام.

* * *

ابن عمر[1]

كتب إليه رجلٌ يسأله عن العلم؛ فأجابه: إنَّكَ كتبتَ تسألُ عن العلم. والعلمُ أكثرُ من أن أكتبَ به إليك، ولكنْ إن استطعتَ أن تلقَى الله عز وجل كافَّ اللسانِ عن أعراض المسلمينَ، خفيفَ الظهرِ من دمائِهم، خميصَ البطنِ من أموالِهم، لازماً لجماعتِهمْ فافْعَل.

وقال ابن عمر: كان الرجلُ إذا أراد أن يعيب جارَهُ طلبَ الحاجَةَ إلى غيره.

---

(١) عبد الله بن عمر بن الخطاب: ولد بعد البعثة بثلاث سنوات، أسلم وهاجر مع أبيه: شهد الخندق، صالح، زاهد، كثير الرواية للحديث، لم يشترك في النزاع بين علي ومعاوية. مات سنة ٧٣هـ.

سئل ابنُ عمر: هل كان النبيُّ ﷺ يلتفتُ في الصلاة؟ فقال: لاَ، ولاَ في غير الصلاة.

وكانَ إذا حدَّثَهُ محدثٌ فقالَ: زعموا. قال له ابنُ عمر: «زعموا» من زوامل[1] الكذب.

وقيل له: إن المختار[2] يزعم أنَّه أُوحي إليه. قال: صدقَ، أما سمعتَ قول الله تعالى: ﴿وإنَّ الشياطينَ ليُوحُونَ إلى أوليائهم﴾[3].

قال بعضهم: أتيته، فقلتُ: أتَجبُ الجنةُ لعاملٍ بكلِّ الخيرات وهو مشركٌ؟ فقالَ: لا. قلتُ له: أتَجبُ النارُ لعاملٍ بالشر كله وهو موحِّد؟ فقال ابن عمرَ: عَشِّ ولا تَغْتَرّ. فأتيتُ ابنَ عباس فسألتُه، فأجابني بمثل جوابه سواء قال: عَش ولا تغتر[4].

---

(١) الزوامل: جمع زاملة، وهو ما يحمل الزاد والمتاع من الإبل.

(٢) المختار الثقفي: هو المختار بن مسعود، ولد سنة ١هـ، كان مع العلويين، ثم مع ابن الزبير، ثم عاد إلى العلويين. تتبع قتلة الحسين بالقتل، حاربه مصعب بن الزبير فهزمه وقتله سنة ٦٧هـ.

(٣) سورة الأنعام: ١٢١.

(٤) عش ولا تغتر. مثل يضرب للأخذ بالأحوط من الأمور. أصله: أن يمر صاحب الإبل بالأرض ذات الكلأ، فيقول: ادع أن أعشي إبلي حتى أرد على أخرى، فيقال له المثل؛ لأنه لا يدري ما يرد عليه.

. ورأى رجلاً مُحْرِماً قد استظلَّ، فقال: اضْحِ لمن أَحْرَمْتَ له[1].

* * *

أبو الدرداء[2]

كان يقول: أبغضُ الناس إليَّ أن أظلمه، مَنْ لا يستعين عليَّ بأحد إلا الله.

وقال: من هوان الدنيا على الله ألاَّ يُعْصَى إلاَّ فيها، ولا يُنالَ ما عندَه إلاَّ بتركها.

وقال: نعم صومعةُ المرء منزلُه، يكفُّ فيه بصرَه ونفسَه وفرجَه، وإياكم والجلوس في الأسواق فإنها تُلْغِي[3] وتُلْهي.

---

(١) اضح: أظهر واعتزل الظل.

(٢) صحابي جليل، اشتهر بكنيته واختلف في اسمه؛ عامر أو عويمر، وكذلك في اسم أبيه. جده قيس الأنصاري الخزرجي، وهو من المكثرين من رواية الحديث. توفي لسنتين بقيتا من خلافة عثمان.

(٣) تلغي: تبعث على اللغو.

وقــال: لولا ثلاثٌ لصلُح الناسُ: هوًى مــتَّبعٌ، وشحٌّ مطاعٌ، وإعجابُ المرء بنفسه.

وقــال: بئسَ العــونُ على الدين قلب نَخِيبٌ[1]، وبطن رَغيب[2]، ونفظٌ شديد[3].

وقـال: لأنَا أعْلَمُ بشِرارِكم من البَيْطَارِ بالخيل، هم الذين لا يأتون الصلاة إلا دبْراً[4]، ولا يستمعونَ القولَ إلا هُجْراً[5]، ولا يُعتقُ مُحَرَّرُهم[6].

* * *

---

(١) القلب النخيب: الفاسد.

(٢) البطن الرغيب: الواسع. المراد به: الممتلئ بالطعام.

(٣) المراد بالنقط: شهوة الجماع.

(٤) يأتون الصلاة دبراً بفتح الدال وضمنها: معرضين عنها.

(٥) الهجر: الفاحش من القول.

(٦) المراد: يستخدمونه ولا يدعونه لشأنه. قيل: إن العرب كانوا في الجاهلية إذا أعتقوا عبداً تناقلوه تناقل الملك.

عبد الله بن عمرو بن العاص

سألَه أبوه عن السؤدد، فقال: اصطناعَ العشيرة، واحتمال الجريرةِ. وعن الشرف، فقال: كفُّ الأذَى، وبَذْلُ النَّدَى. وعن المروءة، فقال: عرفانُ الحقِّ، وتعهُّد الصنيعة. وعن السناء، فقال: استعمالُ الأدب، ورعايةُ الحسَبِ. وعن المجد، فقالَ: حَمل المغارمِ، وابتناءُ المكارمِ. وعن الحلم، قال: كظم الغيظ، وملكُ الغضب. وعن الحزم، فقال: تنْتَظِرُ فريستَك، ولا تعاجَلُ حتى يمكنك. وعن الرفق، فقال: أَنْ تكونَ ذا أَناة، دون مخاشَنَة الولاة. وعن السماحة، قال: حبُّ السائلِ، وبذل النائلِ. وعن الجود، قال: أَنْ تَرَى نعماك زائدة، والعطيةَ فائدةً. وعن الغنى، قال: قلةُ تَمَنِّيكَ، والرضا بما يكفيك. وعن الفقر، قال: شرَهُ النفسِ، وشدةُ القنوطِ. وعن الرِّقة، قال: اتباعُ اليسير، ومنع الحقير. وعن الجبن، قال: طاعةُ الوَهَل[1]، وشدة الوجَل. وعن الجهل، قال: سرعة الوِثاب، والعيُّ بالجواب.

* * *

(١) الوهل: الفزع الشديد.

حسّان[1]

وكان إذا دُعي إلى طعام قال: أفي عرسٍ أو خُرْسٍ[2] أو إعذارٍ[3]؟ فإن كان في واحد من ذلك أجابَ، وإلاّ لم يُجبْ.

وروي أنه أخرج لسانه فضربَ به روَثة أنفه[4]، ثم أدْلعَهُ فضربَ به نحرَهُ. وقال: يا رسولِ الله. ادعُ لي بالنَّصرْ.

واستأذن النبي عليه السلام في هجاء المشركين، فقال: كيف بنَسَبِي فيهم؟ قال: لأَسُلَّنَّك منهم كما تُسَلُّ الشعرةُ من العجين.

وقيل له: لِمَ لَمْ ترثِ رسولَ الله ﷺ؟ فقَال: هو أجلُّ من ذلك.

---

(١) حسان بن ثابت الأنصاري: أكبر شعراء الرسول ﷺ.

(٢) الخرس: طعام الولادة.

(٣) الإعذار: طعام الختان.

(٤) روثة الأنف: طرفه.

وقال له النبيُّ ﷺ: «ما بقيَ من لسانِكَ؟» فأخرج لسانه حتى قرع بطرفِهِ أرْنَبَتَهُ، وقال: إني واللهِ لو وضعتُهُ على صخرٍ لفَلَقَه، أو على شَعَرٍ لحَلَقه، وما يسرُّني به مِقولٌ من مَعدّ.

* * *

بلال (1)

سألهُ رجلٌ، وقد أقبل من الحَلْبة، فقال له: من سبقَ؟ فقال: المقرّبون. قال: إنما أسألكَ عن الخيلِ. قال: وأنا أجيبُك عن الخير.



(1) بلال الحبشي مؤذن الرسول ﷺ.

أبو هريرة[1]

قال: إذا نزلت برَجلٍ فلم يقْرِك[2] فقاتلْه.

ونظر إلى عائشةَ بنت طلحة[3] فقال: سبحان الله، ما أحْسَنَ ما غذَّاها أهلُها! ما رأيتُ أحسن منها إلاَّ معاويةَ.

وكان يحمل حزمةَ حطبٍ وهو أميرٌ، ويقول: وسِّعَوا للأمير.

وكان يجيءُ على حماره ويقول: الطريقَ الطريقَ قد جاءَ الأمير.

أتاه رجلٌ فقال: كنتُ صائماً فدخلتُ داراً فأطعموني، ولم أدرِ. قال: الله أطعمكَ. فقالَ: ثم دخلتُ داراً أخرى، فسقوْني ولم أدرِ. قال: أطعمَكَ اللهُ وسقاكَ. فقال: ثم دخلت داري فجامعْتُ ولم أدرِ. فقال أبو هريرة: يا هذا، ليس ذا فعل من تعوَّد الصيام.

---

(١) أبو هريرة بن عامر: اختلف في اسمه في الجاهلية، وسماه الرسول في الإسلام: عبد الرحمن. أكثر الصحابة حديثاً، أسلم بين غزوتي: الحديبية، وخيبر، استعمله عمر على البحرين، ومات سنة ٥٧هـ.

(٢) لم يقرك: من القرى وهو طعام الضيف.

(٣) عائشة بنت طلحة: من جميلات العرب، لم تكن تستر وجهها اعتزازاً بجمالها، تزوجها عبد الله عبد الرحمن، ثم مصعب بن الزبير. تغزل فيها شعراء عصرها.

وأردف غلامَه خلفه فقيل له: لو أنزلته يسعى خلفك.
فقال: لأن يسير معي ضِغْثان[1] من نارٍ يحرقانِ مني ما أحرقا. أحبُّ إليَّ من أنْ يسعى غلامي خلفي. وقال: إن للإسلام صُوًى[2] ومناراً كمنار الطريق.

وقال: مثَل المؤمن الضعيف، كمثل خافت الزرع يميلُ مرة ويعتدل أُخرى.

* * *

عمَّار[3]

لم يشهد بدراً أحدٌ أبواهُ مؤمنان إلا عمّارَ بن ياسر. وكان لِدَةَ[4] النبي ﷺ، وكان يحمِي له الأرض يرعى فيها غنَمَه.

---

(١) ضغثان: حزمتا حطب، فاستعارهما للنار. يعني أنهما قد اشتعلتا وصارتا ناراً.

(٢) الصوى: أعلام من حجارة في المفاوز المجهولة واحدتها صوة.

(٣) عمار بن ياسر: من السابقين للإسلام، وممن عذب هو وأهله فيه، شهد أكثر الغزوات، وحارب في صفين مع علي، وقتل في الموقعة.

(٤) لدته: نظيره في العمر.

وقـــال ﷺ: مَا لكُم ولابنِ سُمَيَّة؟ يدعـــوكُم إلى الجنةِ وتدعونَه إلى النار.

وكان عمَّار يقول، الجنة تحت البارقَة: يريد السيوف.



الزبير (١)

لما كان يومُ الجَمَلِ صاح عليٌّ بالزبير فخرج إليه، فقال له: يا أَبا عبد الله: لئن كانَ حلَّ لك خذلاَنُنا إنه لحرامٌ عليكَ قتالُنا. قال: افتحبُّ أَن أنصرفَ عنك؟ قال: وما لي لا أُحبُّ ذلك؟ وأنت سيفُ رسولِ الله ﷺ وحواريُّه وابنُ عمته، فعارضه ابنهُ عبدُ الله، فقال له: يا أَبَهْ، ما الذي دهَاك؟ فأخبره خبرَه. فقال: قد أنبأَك ابنُ أَبي طالب مع علمكَ بذلك، إنك بزمام الأمر أَولى منكَ بعنانِ فرسك، ولئن أَخطأَك أَن يقول الناسُ جبَّنَهُ عليٌّ

---

(١) الزبير بن العوام: أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، أسلم وسنه اثنتا عشرة سنة، وشهد المشاهد مع الرسول، وكان مع عائشة يوم الجمل ولكنه لم يقاتل، قتل في ذلك اليوم بسهم من رجل من جيش عائشة حين انصرف عن القتال.

ليقولُنَّ خدعه. فقال الزبير: ليقلْ من شاءَ ما شاءَ، فوالله لا أشتري عملي بشيءٍ، ومع ذلك لَلدُّنْيا أهون علي من ضِبْحَةٍ سَحْماء[1]. وانصرف راجعاً.

ومن كلام الزُّبير: يكفيني من خصمهم القَضْمُ، ومن نَصِّهم العنَق[2].

ضرب الزُّبير يوم الخندق رَجُلاً فقطعت ضربتُه الدرعَ ومؤخر الجوشن[3] حتى خلصت إلى عجز الفرس، فلما رأى أبو بكر - رضي الله عنه - ما صنعتْ ضربةُ الزبير، قال: يا أبا عبد الله، ما أجودَ سيفك! فغضب الزبير وقال: أمَا والله لو كان إلى السيفِ ما قطع، ولكني أكرهتُه بقلبٍ مجتمعٍ وقوةِ ساعدٍ فقطع. فقال أبو بكر: ما أردنا غضبك يا أبا عبد الله.

قالوا: أدرك عثمانُ رضي الله عنه الزبيرَ، وعثمانُ في موكبه يريد مكةَ بذات الجيْش، ولموكب عثمان حِسٌّ، قد ظهرت

---

(١) الضبحة: واحدة الضبح وهو الرماد. وسحماء مائلة للسواد.

(٢) النص: أشد أنواع السير. والعنق: السير البطيء.

(٣) الجوشن: الصدر والدرع.

فيه الدوابُّ والنجائب، والزبيرُ على راحلةٍ له، ومعه غلمان له وزوامل[1]. فقال عثمان: سرْ يا أَبا عبد الله، فقال: سيكفيني القضمُ من خضمِكم، والعَنَق من نَصِّكم.

* * *

عبد الرحمن بن عوف

قال عبد الرحمن يوم الشورى: يا هؤلاء، إن عندي رأياً. وإنّ لكم نظَراً، إنّ حَابياً خيرٌ من زاهقٍ[2]، وإنَّ جرعةَ شروبٍ[3] أنفع من عذبٍ موبٍ[4]. إن الحيلةَ بالمنطقِ أبْلغُ من السُّيُوبِ[5] في الكلم. فلا تطيعوا الأعداء وإنْ قربُوا، ولا تفلُّوا

---

(١) الزوامل: جمع زاملة، الجمل الذي يحمل الزاد والمتاع.

(٢) الحابي: السهم الذي يزلج على الأرض ثم يصيب الهدف. والزاهق: الذي يجاوزه لسرعته.

(٣) الشروب: الماء الملح الذي لا يشرب إلا عند الضرورة.

(٤) عذب موب: أصلها موبئ، مورث للوباء، وهو مثل لرجلين: أحدهما أدون وأنفع، والآخر أرفع وأضر.

(٥) السيوب: مصدر ساب في الكلام إذا أكثر بهذر.

المُدى بالاختلاف بينكم، ولا تغمدوا السيوف عن أعدائكم فتوتِرُوا ثأركم[1]، وتُؤْلتُوا[2] أعمالكم. لكل أجل كتابٌ، ولكلِّ بيت إمامٌ بأمره يقومُون، وبنَهْيِه يرعُون[3]. قلدُوا أمركم رحبَ الذراع فيما نزل، مأمون الغيب على ما استكنَّ. يَقْتَرِع منكُم[4]، وكلكم مُنتهى، ويرتضي منك وكلكم رضا.

* * *

حُذيفة بن اليمان[5]

قال لرجل: أيسرُّك أنك غلبت شرَّ الناس؟ قال: نعم. قالَ: فإنك لن تغلبهُ حتى تكونَ شراً منه.

* * *

---

(١) فيوتر ثأركم. وترته: أصبته بوتر، وأوترته: أظفرته به، والثأر هنا معناه العدو. والمعنى: فتوجدوا لعدوكم الوتر فيكم.

(٢) تؤلتوا: تنقصوا.

(٣) يرعون: يكفّون.

(٤) يقترع: يختار.

(٥) حذيفة بن اليمان: صحابي، شهد غزوة أحد، وفتح الري والدينور، وتوفي سنة ٣٦هـ.

خالد بن الوليد

وقال في مرضه: لقد لقيت كذا وكذا زحفاً، وما في جسدي موضعُ شبرٍ إلاَّ وفيه ضربةٌ أو طعنةٌ أو رَميةٌ، ثم هاأنذا أموتُ على فراشي حتفَ أنفي كما يموتُ العير، فلا نامتْ أعينُ الجبناء!

وخطب الناسَ فقال: إن عمرَ استعملني على الشام وهو له مُهِمٌّ، فلما ألقى الشام بوانيَه[1] وصار بَثْنِيّة[2] وعسَلاً عزَلني، واستعملَ غيري. فقال رجل: هذا واللهِ هُو الفتنة. قال خالدٌ: أمّا وابنُ الخطاب حيٌّ فلا، ولكنَّ ذاك إذا كان الناسُ بذي بِلِّيٍّ وذي بِلَّي[3].

وانصرف عمروُ بن العاص من الحبشة يريد رسولَ الله ﷺ

---

(١) البواني: أضلاع الزور، جمع بانية، يقال: ألقى البعير بوانيه إذا استناخ، والمعنى: خضع الشام واطمأن كالبعير إذا استناخ للركوب.

(٢) البثنة: الأرض السهكة، أي كثر فيها الحنطة والعسل حتى كأنها كلها حنطة وعسل.

(٣) بذي بلي وذي بلي: إذا كانوا متفرقين متباعدين لا يعرف بعضهم بعضاً.

فلقيه خالدٌ وهو مقبلٌ من مكة، فقال: أين يا أبا سليمان؟ فقال: والله لقد استقام المَنْسِم[1]، وإن الرجل لنبيٌّ. أذهبُ فأسلم.

وكان بينه وبين عبد الرحمن كلامٌ، فقال خالد: أتستطيلون علينا بأيامٍ سبقتُمُونَا بِهَا؟.

وقالَ: كان بيني وبين عمّار بعضُ ما يكون بين الناسِ، فعدمتُهُ[2]، فشكاني إلى رسولِ الله ﷺ، فقال: من يبغضْ عماراً يبغضْه اللهُ.

ولما بويع أبو بكر قامَ خالد بن الوليد خطيباً، فقال: إنا رُمينا في بدء هذا الأمرِ بأمرٍ ثقُل علينا حمله، وصعُبَ علينا مُرْتقاه، ثم ما لبثنا أن خفَّ علينا مَحْمله، وذلَّ لنا مَصعبه، وعجِبْنا ممن شكَّ فيه، بعد أن عجِبْنا ممَّن آمَنَ به، وما سُبِقْنا إليه بالعقولِ ولكنّه التوفيقُ. ألا وإنَّ الوحيَ لم ينقطعْ حتىَ أكْملَ، ولم يَذْهب النبيُّ ﷺ حتى أعْذَرَ، فلسْنَا ننتظرُ بعد النبيِّ نبياً، ولا

---

(١) استقام المنسم: مثل يضرب في استقامة الأمر. أصله أن يعثر البعير على منسم أخيه.

(٢) عدمته: فقدته. المعنى: فقدت وده.

بعد الوحيِ وحياً ونحن اليوم أكثرُ منا أمسِ، ونحن أمسِ خيرٌ منا اليومَ. من دخلَ هذا الدينَ كانَ مِن ثوابِهِ على حسبِ عمله، ومن تركَهُ رَدَدْناهُ إليه. إنه والله ما صاحبُ هذا الأمر بالمسئول عنه، ولا متخلّفٍ فيه، ولا الخفيِّ الشخصِ ولا المغموز القناةِ.

وكان خالد يقولُ: ما ليلةٌ أسرُّ إليَّ من ليلةٍ تُهْدَى إليَّ فيها عروس إلا ليلة أغدو في صبيحتِها إلي قتال عدوٍّ.

* * *

سعد بن أبي وقاص

خطب يوم الشُّورى، فقال: الحمد لله بديئاً كانَ وآخراً يعودُ. أحمَدُهُ كما أن أنجاني من الضَّلالة وبصَّرني من العماية، فبرحمةِ الله فازَ من نَجَا، وبهدْيِ الله أفلحَ من وَعَى، وبمحمد بن عبد الله ﷺ استقامت الطرقُ، واستنارتِ السبُلُ، فظهرَ كلُّ حقٍّ ومات كلُّ باطل. إياكم أيها النفرُ وقولَ أهلِ الزورِ، وأمنيةَ

الغُرورِ، فقد سلبَتْ الأماني قبلكم قوماً ورِثُوا ما ورِثْتُم، ونالُوا ما نلتُم، فاتخذَهمُ الله أعداءً ولعنهم لعناً كثيراً. قال الله عز وجل: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَاءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[1]. وإني نَكَبْتُ قَرْني[2]، فأخذت سهمي الفَالِجَ[3]، وأخذتُ لطلحةَ بنِ عبيدِ الله في غَيْبَتِه ما ارْتَضَيْتُ لنفْسي في حضوري، فأنا به زعيمٌ، وبما أعطيت عنه كفيل، والأمر إليك يا ابنَ عوفٍ بصدقِ النَّفْسِ وجهدِ النُّصح، وعلى الله قصدُ السبيل، وإليهِ المصير.

* * *

---

(١) سورة المائدة: ٧٨- ٧٩.

(٢) القرن: جعبة صغيرة، سميت بذلك لأنها تقرن إلى الكبيرة.

(٣) الفالج: الفائز. والمعنى: قلبت آرائي فاخترت منها الرأي السديد.

عُتبة بن غَزوان السلمي [1]

خطب بعد فتح الأُبُلَّة [2]، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: إن الدنيا قد تولَّت بحذافيرها [3] مدبِرةً، وقد آذنتْ أهلها بصرمْ [4]، وإنما بقِيَ منها صُبابةٌ كصُبَابةِ الإناءِ يَصبها صاحبُها. ألا وإنكم مفارِقُوها لا محالة، ففارقُوها بأحسنِ ما بحضرتِكم. ألا إن من العجب أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الحجر الضخم لَيُرمَى به مِنْ شفَير جهنَّم فيهوي في النار سبعينَ خريفاً، ولجهنم سبعةُ أبواب ما بين البابيْنِ منها مسيرةُ خمسمائة عام. ولتأتيَنَّ عليه ساعةٌ وهو كظيظٌ من الزحام. ولقد كنتُ مع رسول الله ﷺ سابعَ سبعةٍ، ما لنا طعام إلا ورَق البَشَام [5] حتى

---

(١) عتبة بن غزوان بن جابر السلمي: من السابقين إلى الإسلام، هاجر الهجرتين، وحضر بدراً وسائر المشاهد، ولاه عمر على البصرة، ولد سنة ٣٧ قبل الهجرة ومات سنة ٢٠هـ.

(٢) الأبلة: بلدة على شاطئ دجلة في زاوية الخليج العربي.

(٣) الحذافير: الجوانب. جمع حذفور. أي تولت كلها.

(٤) الصرم: القطع، والمراد: الفراق.

(٥) البشام: شجر يستاك به.

قَرِحَتْ[1] أَشداقنا، فوجدت أنا وسعدٌ ثمرةً فشقَقْتُها بيني وبينه نصفَينْ، وما منَّا اليومَ أحدٌ إلا وهو على مصرٍ أميرٌ، وإنَّه لم تكنْ نبوَّةٌ قط إلا تناسختها[2] جبريَّةٌ، وأنا أعوذُ بالله أن أكونَ في نفسي عظيماً وفي أعين الناسِ صغيراً، وستجرِّبُونَ الأمرَ بعدي فتعرفونَ وتنكرون.



(١) قرحت أشداقنا: حدثت فيها القروح.

(٢) تناسختها: تلتها ونسختها. جبرية: قسوة وشدة.

البــاب الخامــس



من كلام عمر بن العزيز

كتب إليه أبو بكر بن حزم[1] - وهو والي المدينة من جهته -: إنْ رأى الأميرُ أن يُقْطِعَ لي من الشمع والقراطيسِ ما كان يُقْطَعُ لعمالِ المدينةِ؛ فكتب إليه: جاءني كتابُك وإنَّ عهدي بك تخرجُ من بيتِك في الليلةِ الظلماءِ بغير سراج. وأما القراطيسُ فأَدِقَّ القلمَ، وأَوجِزِ الإملاءَ، واجمعِ الحوائجَ في صحيفةٍ.

وذكر له سليمانُ بنُ عبدالملك يزيدَ بنَ أبي مسلم بالعفةِ عن الدِّرهمِ والدينارِ، وهمَّ بأن يستكفِيَهُ مُهِمّاً من أمره. فقال له عمرُ: أفلا أَدُلُّكَ على من هو أزهد في الدرهم والدينارِ منهُ وهو شرُّ الخلقِ؟ قال: بلَى. قال: إبليسُ لعنه الله.

وكان يقول: أيها الناسُ إنما خلقتم للأبد، وإنَّما تُنقَلون من دارٍ إلى دار.

---

(١) هو أبو بكر بن محمد بن عمر بن حزم: قاضي المدينة، ولاه الوليد بن عبد الملك المدينة حين عزل عمر، وأبقاه عمر والياً عليها. ولد حوالي سنة ٤٠هـ، ومات سنة ١٢٠هـ.

وسأله رجل عن الجمل وصفِّين، فقال عمرُ: تلك دماءٌ كفَّ اللهُ يدي عنها، فأنا أُحِبُّ ألا أغمس لساني فيها.

وكان يقول: اللهمَّ إني أسألك رضوانك، وإلَّا أكنْ له أهلاً فعفوك.

وقال لأصحابه: إذا كتبتُم إليَّ فلا تكتبُوا الأمير، فليست الإمارةُ أفضلَ من أبي.

كتب إليه عديُّ بن أرطاة[1] يستأذنه في عذاب العمّال، فكتب إليه عمرُ: العجبُ لكَ يا ابن أم عديٍّ، حين تستأذنُني في عذاب العمال كأني لك جنّة[2]، وكأنَّ رضاي يُنجيكَ من سَخَط الله. من قامتْ عليه بيّنةٌ وأقرَّ بما لَمْ يكنْ مضطهَداً فيه فخذْهُ، فإن كان يقدر على أدائه فاستأده، وإن أبى فاحبسه، وإنْ لم يقدر على شيء فخلِّ سبيلَهُ بعد أن تُحلّفَه على أنه لا يقدرُ على شيءٍ، فلأنْ يلقَوْا الله بخياناتهم أحبُّ إليَّ من أن ألقاهُ بدمائهم.

---

(١) عدي بن أرطاة الفزاري: أمير من العقلاء الشجعان، ولاه عمر بن عبد العزيز البصرة سنة ٩٩هـ، واستمر إلى أن قتله معاوية بن يزيد بن المهلب في فتنة سنة ١٠٢هـ.

(٢) جنة: وقاية، أي من حساب الله وعذابه.

وقال: مِنْ أَحبِّ الأُمورِ إلى الله عز وجل الاقتصادُ في الجِدَّةِ[1]، والعفوُ في القدرةِ، والرفقُ في الولاية.

خرج يوم الجمعة إلى الصلاة وقد أبطأ، فقال: أيُّها الناس؛ إنما بَطَّأني عنكم أَن قميصي هذا كان يُرقَع - أو كان يُغْسَلُ - ولاَ والله ما أملكُ غيرَه.

وقال عمر يوماً وقد قام مِن عنده عليُّ بن الحسيْن رضي الله عنهما: من أشرفُ الناسِ بعد رسول الله ﷺ؟ فقالوا: أنتم. فقالَ: كلا! أشرفُ النَاسِ هذا القائمُ مِن عندي آنفاً، من أَحبَّ الناسُ أَن يكونُوا منهُ، ولم يحب أن يكونَ من أحد.

قيل: أول من اتخذ المنابرَ في المساجدِ للأذان عمرُ بن العزيز، وإن أوّلَ من دُعيَ له على المنابرِ عبدُ الملك.

وكان عمر يقولُ: إن أقواماً لزمُوا سلطانَهُم بغير ما يُحقُّ اللهُ عليهم، فأكلوا بخَلاَقهم[2]، وعاشُوا بألسِنتهم، وخلَفُوا الأمةَ بالمكر والخديعةِ والخيانةِ، وكل ذلك في النار، ألاَ فلاَ

---

(1) الجدة: كثرة المال.

(2) بخلاقهم: بحظهم ونصيبهم من الدين.

يصحبْنَا من أُولئك أحدٌ ولا سيما خالدُ بن عبد الله[1]، وعبد الله بن الأهتم فإنهما رجلان لَسِنان، وإن بعضَ البيانِ يشبهُ السِّحْرَ، فمن صحبنا بخمسِ خصالٍ، فأبْلَغَنا حاجةَ من لا يستطيعُ إبلاغَها، ودلّنا على ما لا نهتدِي إليه من العدلِ، وأعانَنَا على الخيرِ، وسكتَ عمَّا لا يَعْنيه، وأدّى الأمانَةَ التي حُمِّلَها منّا ومن عامةِ المسلمين فحيَّهلا[2]، ومن كان على غيرِ ذلكَ ففي غير حلّ من صُحبتنَا والدخول علينْا.

ودخل على عبد الملك وهو صبيٌّ، فقال له: كيف نفقتُك في عيالك؟ فقال عمر: حسنةٌ بينَ سيئتَين. فقال لمن حوله: أخذَهُ من قولِ الله تعالى: ﴿والَّذين إذا أنفقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ولَمْ يَقْتُرُوا وكانَ بَيْنَ ذلك قَوَاماً﴾[3].

وكتب عمر إلى عديّ بن أرْطاةٍ في شيءٍ بلغه عنه: إنما يعجّل بالعقوبةِ من يخاف الفوْتَ.

---

(١) هو خالد بن عبد الله القسري: أحد خطباء العرب وأجوادهم، ولد سنة ٦٦هـ وقتل بيد يوسف الثقفي سنة ١٢٦هـ.

(٢) حيهلا: أي فليبدأ به.

(٣) سورة الفرقان: ٦٧. وقواماً: عدلاً.

وشتمه رجلٌ فقال: لولا يومُ القيامة لأجبْتُك.

وأُديَ إليه تفاح لُبناني، وكان قد اشتهاهُ، فردَّه. فقيل له: قد بلغكَ أن رسولَ الله ﷺ كان يأكلُ الهديةَ، فقال: ياعمرو بن المهاجر[1]: إن الهديةَ كانت لرسول اللهِ هدية، ولنا رشْوَة.

وقال لجاريةٍ في صباه بحضْرَةِ مؤدِّبه: أعضكَّ الله بكذا؟[2]. فقال له المؤدبُ: قل أعضكَّ عبدُ العزيز. فقال: إن الأميرَ أجلُّ من ذلك. قال: فليَكُن الله أجلَّ في صدرك. فما عاودَ بعدَها كلمةَ حيَاءً.

وقال: ما أطاعني الناسُ فيما أردت من الحقّ حتى بَسَطْتُ لهم طرفاً من الدينا.

ودخل عليه ميمون بن مهران[3] فقال له - وقد قَعَدَ في أُخريات الناس - : عِظْني. فقال ميمون: إنك لَمِنْ خير أهلكَ إن وُقيت ثلاثةً. قال: ما هنَّ؟ قال: إن وقيت السلطانَ وقُدْرتَه،

---

(١) عمرو بن مهاجر بن دينار: من الطبقة الرابعة من تابعي أهل الشام. توفي سنة ١٤٠هـ.

(٢) ضرب من الشتيمة.

(٣) ميمون بن مهران الرقي: ولد سنة ٣٧هـ. وكان عالماً وواعظاً بليغاً وثقة في الحديث، استعمله عمر بن عبد العزيز على القضاء. مات سنة ١١٧هـ.

والشبابَ وغِرَّتَه، والمالَ وفتنتَه. قال: أنت أولى بمكاني مني. ارتفعْ إليَّ، فأجلَسه معه على سريره.

قال بعضهم: كنا نُعْطِي الغسَّالَ الدراهمَ الكثيرة، حتى يغسل ثيابَنَا في إثْر ثيابِ عُمرَ بنِ العزيز، وهو أميرٌ؛ من كثرةِ الطِّيبِ والمسكِ فيها.

ولما نزلَ بعمرَ الموتُ قال: يا رجاء[1]، هذا والله السلطانُ، لا ما كنَّا فيه.

وقيل له: لِمَ لا تنامُ؟ قال: إن نمتُ بالليلِ ضيَّعتُ نفسي، وإن نمت بالنهار ضيَّعْتُ الرعية.

أمر عمرُ بعقوبةِ رجلٍ قد كان نذرَ لئنْ أمكنه اللهُ منه لَيَفْعَلَنَّ وليفعلنَّ، فقال له رجاءُ بن حيْوةَ: قد فعل اللهُ ما تحبُّ من الظفرِ، فافْعَلْ ما يُحبُّ اللهُ من العفوِ.

وعزل عمرُ بعضَ قضاته، فقال له: لم عزلتَني؟ فقال: بلغني أنَّ كلامَك أكثر من كلام الخَصمينْ إذا تحاكَمَا إليك.



---

(١) رجاء بن حيوة الكندي: شيخ الشام في عصره، ومن الوعاظ والعلماء، كان ملازماً لعمر بن عبد العزيز وكاتبه. توفي سنة ١١٢هـ.

البـــاب الســـادس



مزح الأشراف والأفاضل والعلماء

قالوا: كان رسولُ الله ﷺ يَمْزَحُ ولا يقول إلاَّ حقاً.

وفي حديثه عليه الصلاة والسلام أن ابناً لأمِّ سليمٍ يقال له عُميـر، وكـانَ له نُغَرٌ وهو طائرٌ صغيرٌ أحمرُ المنقارِ، فقالُوا: يارسولَ الله، مات نُغَرٌ. فجعلَ - عليه السلامُ - يقول: «ياأبا عُمير. ما فعل النُّغَيْر»؟.

وذُكِرَ أنّه كـان يمازحُ بلالاً، فـرآه يومـاً وقـد خـرجَ بطنُهُ فقال: أمّ حُبَيْن[1].

ومما يحفظُ من مزْحه عليه السلام أنه كان يقولُ لأحد ابني بنته، وقد وضع رجليْه على رجليه وأخذ بيديه: «تَرَقَّ عَيْنَ بقَّة». وهذا شيءٌ كان النساء يقُلْنَه في ترقيصِ الصبيانِ:

حُزُقَّةٌ حُزُقَّه . . . تَرقَّ، عينَ بَقَّه.

ترقَّ: أي ارقَ. من رقيْتُ الدرجةَ، والحُزُقَّةُ الذي يقاربُ خطوه، وشبَّهه في صغرِه بعينِ البقة.

---

(١) أم حبين: دوبية عظيمة البطن.

وقال عليه السلام لعجوز: إنَّ الجنَّةَ لا يدخلُها عجوزٌ يريد: أنهن يَعُدْنَ شوابَّ، ثم يدخُلْنَ الجنة.

واستدبرَ عليه السلامُ رَجُلاً من ورائه وأخذَ بعيْنَيْه، وقال: من يشتري منِّي العبدَ؟ يريدُ أنَّه وإن كانَ حُراً فهوَ عبْدُ الله.

وقال لامرأةٍ: «زَوْجُكِ الذي في عَيْنِه بيَاضٌ» فقالت: لا. أرادَ البياضَ الذي حول الحدقة، وظنَّتِ المرأةُ أنَّه أرادَ البياضَ الذي يغشى الحدقة فيَذْهبُ البصر.

وخرج إلى طعام دُعِيَ له فإذا حسينٌ يلعب مع صِبْوَةٍ(١) في السكَّة، فاستَنْتَلَ رسولُ الله -ﷺ- يضاحكُه حتى أخذَهُ فجعل إحدَى يديه تحت ذقْنِه، والأُخرَى في فأس رأسه(٢)، ثم أقْنَعهُ فقبَّله.

استَنْتَلَ: يريدُ: تقدَّمَ أمام القوم، وأقْنَعَهُ: رفَعَهُ.

---

(١) الصبوة: جمع صبي، وهي القياس.

(٢) فأس الرأس: حرف الهنة الناشزة فوق القفا، وهي القمحدوة.

وقالت عائشة: كنتُ ألعبُ مع الجَوَاري بالبنات[1] فإذا رأينَ رسولَ الله ﷺ انقَمَعْنَ[2]. قالت: فيُسرِّبُهُنَّ إليّ[3].

وقالت: قدم وفدُ الحبشةِ فجعلُوا يَزْفِنُون[4] ويلْعبُون، والنبيُّ ﷺ قائمٌ ينظر إليهم، فقمتُ، وأنا مستترةٌ خلفهُ حتى أعْيَيْتُ، ثم قعدتُ ثم قُمْتُ، فنظرتُ حتى أعييْتُ، ثم قعدتُ ورسولُ الله ﷺ قائمٌ ينظر. فاقدُروا قدرَ الجاريةِ الحديثةِ السِّنِّ المشتهية للنظرِ[5].

وروي أنه ـ عليه السلام ـ مرَّ على أصحاب الدِّرَكْلة[6] فقال: خذُوا يا بني أرفدةَ[7] حتَّى يعلمَ اليهودُ والنصارَى أنّ في ديننا فسحةً. قال: فبينما هم كذلك إذ جاء عمرُ، فلما رأوْهُ ابْذَعَرُّوا[8].

---

(١) البنات: التماثيل التي يلعب بها الصبيان.

(٢) انقمعن: دخلن البيت وتغيبن.

(٣) يسربهن: يرسلهن.

(٤) يزفنون: يرقصون.

(٥) أي أنها تعبت ورسول الله ﷺ لم يتعب.

(٦) الدركلة – وقيل الدركلة بوزن شرذمة: ضرب من لعب الصبيان.

(٧) بنو أرفدة: الحبش.

(٨) ابذعروا: تفرقوا.

وروي أنه ـ عليه السلام ـ سابَقَ عائشةَ في سفرٍ فسبقتْهُ، وفي سفر آخر فسبقَها. وقال ﷺ: «هذه بتلْكَ».

ومن مزْحه عَلَيْه السلام قوله لخوَّات بن جُبير[1] الأنصاريِّ صاحب ذات النِّحْيَيْن[2]: «ما فعلَ جَمَلُكَ الشَّرُودُ؟» فقال: عَقَلَهُ الإِسلامُ.

* * *

وقال عليٌّ كرَّمَ اللهُ وجْهَهُ: لا بأسَ بالفُكاهةِ يخرجُ بها الرجلُ عن حدِّ العبوسِ.

ولما بلغهُ قول عمرَ: إنَّ فيه دُعابةً. قالَ: ويحَهُ أمَا علِمَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «إنَّ المؤْمِنَ دَعِبٌ لَعِب، والكافر خِبٌّ ضَبٌّ»[3].

---

(١) خوات بن جبير بن النعمان الأنصاري. قيل إنه ممن شهدوا بدراً، أحد فرسان الرسول. توفي سنة ٤٠هـ. وسنه أربع وسبعون سنة.

(٢) النحي: الوعاء. وذات النحيين امرأة كانت تبيع السمن عبث بها خوات بن جبير.

(٣) رجل خب ضب: منكر ومرواغ.

وقـال عقُـبـة الجـهني [1] : رأيتــهُ يرمِي جـواريَهَ ويُرَامِـينَهُ بقُشُورِ البطيخ .

ومـرَّ بقـومٍ من الأنصـارِ فـقـالوا : يا أمـيـرَ المؤمنينَ ، انزلْ عندنَا للغَداءِ . فقال : إمَّا حلفتُم وإمَّا انصرفنا .

قال بعضهم : سمعتُه وهو يرقَى المنبرَ بالكوفةِ ويقولُ :

حُزُقَّةٌ حُزُقَّة   تَرَقَّ عيـنَ بَقَّهْ [2] .

وقـال عـبـدُ الرحـمنِ بنُ عـوف : أتيتُ عـمـر بن الخطاب فسمعتُهُ ينشد بالرُّكبانية [3] :

وكيـفَ ثَوائِـي بالمدينـةِ بعدمَـا   قضَى وطراً منْها جميلُ بنُ مَعْمَرِ

فلما استأذنتُ قال : أسمعتَ ما قلتُ؟ قلتُ : نعم . قال : إنَّا إذا خلونْا قلْنا ما يقولُ الناسُ في بيوتِهم .

---

(١) عقبة بن عامر الجهني : من الطبقة الأولى ، من رواة الحديث ، وهو أحد من أعان في جمع القرآن ، شهد صفين مع علي ، وأمره على مصر : مات سنة ٥٦هـ.

(٢) عين بقة : شبهه بها في الصغر ، وهنا يعني نفسه مهيناً لها عن الكبر .

(٣) الركبانية : نشيد فيه مد وتمطيط ينشدونه إذا ركبوا الإبل ، أو في عامة أحوالهم ، وجميل بن معمر هو الجمحي ، ولا قرابة بينه وبين جميل بن معمر العذري .

وقال عمر: كلُّ امرئٍ في بيتِهِ صبيٌّ.

وذُكِرَ عنده النساءُ فقال: إذا تَمَّ البياضُ مع كبر العَجزُ في حُسْنِ القوامِ فقد كَمُلَ.

وخرج أبو بكر إلى بُصْرَى[1]، ومعه نعَيمان[2] وسُوَيْبِط[3].

وكلاهما بَدْرِيٌّ، وكان سُوَيْبط على الزاد، فجاء نُعيمانُ، فقال: أطعمني، فقال: لا، حتى يأتي أبو بكر. وكان نُعَيمان رجلاً مضحاكاً، فقال: والله لأغيظنَّك. فذهب إلى ناسٍ جلَبوا ظَهْراً، وقال: ابتاعوا مني غلاماً عربياً فارهاً، وهو دَعَّاءٌ له لسانٌ، لعله يقول: أنا حرٌّ. فإن كنتمْ تاركيه لذلك فدَعوني لا تفسدوا عليَّ غلامي. قالوا: بل نبتاعه منك بعشر قلائص[4]، فأقبل بها يسوقُها، وأقبلَ بالقوم حتى عقَلَها، ثم قال للقوم:

(١) بصرى: المراد بصرى الشام، وهي من أعمال دمشق، بكورة حوران، وقد افتتحها المسلمون أيام أبي بكر، وهناك بصرى العراق، وهي قرية قرب بغداد.

(٢) نعيمان بن عمر بن رفاعة الأنصاري: شهد بدراً وبعض المشاهد، كان يحب المزاح وله كثير من التوادر مع الخلفاء مات في عهد معاوية.

(٣) سويبط بن حرملة القرشي: أسلم وشهد بدراً، هاجر الهجرتين، وحضر كثيراً من المشاهد.

(٤) جمع قلوص وهي الناقة.

دونكم هو هذا. فجاء القومُ فقالوا: قد اشتريناك. فقال سُوَيبِط: هو كاذب. أنا رجلٌ حرّ. قالوا: قد أُخْبِرنا خبرك. فوضعوا الحبلَ في عنقه وذهبوا به، فجاءَ أبو بكر فأخبره بذلك، فذهب هو وأصحاب له فردُّوا القلائص وأخذوه، فأخبر بذلك النبي ﷺ فضحك منه حَوْلا.

وأهدى نُعيمان إلى النبي -ﷺ- جرَّةَ عسل اشتراها من أعرابيٍّ بدينار، وأتى بالأعرابي بابَ النبي ﷺ، فقال: خذِ الثَّمنَ من هاهنا. فلما قسمها رسول الله ﷺ، نادى الأعربي: ألا أُعْطَى ثمنَ عسلي؟ فقال ﷺ: «إحدى هنات[1] نُعيمان». وسأله: «لم فعلتَ هذا؟» فقال: أردت بِرَّك، ولم يكن معي شيء. فتبسَّم النبي ﷺ وأعطى الأعرابيَّ حقَّه.

مازح ابنُ عباس أبا الأسودِ[2] فقال: لو كنْتَ بعيراً لكنت

---

(١) هنات: الأشياء اليسيرة.

(٢) ظالم بن عمر: اشتهر بكنيته أبي الأسود الدؤلي، شهد صفين مع علي، معدود في الفقهاء والمحدثين، والشعراء، والفرسان، والأمراء، والنحاة، والحاضري الجواب، والشيعة، والبخلاء، والصلع، والبخر من الأشراف. مات سنة ٦٩هـ.

ثَقَالاً[1]. فقال أبو الأسود: لَوْ كنتَ راعي ذلك البعير، ما أشبعتَهُ من الكلإ، ولا أرويتَهُ من الماء، ولا أحْسَنْتَ مهنته.

وروي: أنه ﷺ رجع من بعض غزواته، فاستقبلته جاريةٌ، من جواري المدينة، فقالت يا رسول الله، إني نذرتُ إنْ ردَّكَ اللهُ صالحاً أنْ أضربَ بين يديك بالدُّف. فقال ﷺ: «إن كنت نذرتِ فاضربي، وإلاَّ فلاَ». قال: فضَرَبتْ، ثم جاء أبو بكر وهي تضربُ، وجاء عليٌّ - كَرَّمَ الله - وجهه وهي تضربُ، ثم جاء عمرُ رضي الله عنه فألْقَتْهُ وقعدت عليه، فقال رسول الله ﷺ: «إنِ الشيطان لَيَفْرَقُ منك يا عُمَرُ».

كان نعيمانُ من الصحابة وممَّن شهد بَدْراً، وكان كثيرَ العبث، فمرَّ يوماً بمَخرمَةَ بن نوفل[2] الزهري - وهو ضرير - فقال له: قُدْني حتى أبولَ فأخذ بيده حتى إذا كانَ في مؤَخَّر المسجد قال: اجلسْ. فجلسَ يبولُ، وصاحَ به الناسُ: يا أبا المسْوَر إنك في المسجد. فقال: من قادنَي؟ قالوا: نعيمانُ. قال: لله عليَّ أن

(١) الثقال: الثقيل البطيء.

(٢) مخرمة بن نوفل بن وهب الزهري: أسلم في فتح مكة، وهو من المؤلفة قلوبهم، فقد بصره في أخريات أيامه، مات سنة ٥١هـ.

أضربه ضربةً بعصاي إن وجدته. فبلغ ذلك نُعيمانَ. فجاء يوماً فقال: يا أبا المسْوَر، هل لكَ في نُعَيمان؟ قال: نعم. قال: هو ذا يصلّي، وأخذ بيده فجاء به إلى عثمان - رضي الله عنه - وهو يصلي، وقال: هذا نعيمان. فعلاه بعصاه. وصاح الناسُ: ضربتَ أميرَ المؤمنينَ. فقال: من قادني؟ قالوا: نعيمانُ. قال: لا جَرَمَ. لا عرضتُ له بشرٍّ أبداً.

قال ابن عياش[1]: رأيت على الأعمش فروةً مقلوبة، صوفُها خارجٌ، فأصابنا مطرٌ، فمررنا بكلبٍ، فتنحّى الأعمشُ وقال: لا يحسبنا شاةً.

وكان يلبس قميصَه مقلوبا قد جَعَل دُرُوزَه[2] خارجَه ويقول: الناس مجانينُ، يجعلون الخشنَ إلى داخلٍ، مما يلي جلودهم.

وكان يقول: إذا رأيتم الشيخَ لا يحسن شيئاً فاصفعَوه.

---

(١) عبد الله بن عياش المتوف: صاحب رواية للأخبار والآداب، صحب المنصور. توفي سنة ١٥٨هـ. والأعمش: سليمان بن مهران الأسدي تابعي مشهور عالم بالقرآن والحديث.

(٢) الدروز: كلمة فارسية معربة وهي موضع الخياطة.

قال عيسى بن موسى، وهو يلي الكوفة، لابن أَبي ليلى: اجمع الفقهاء واحضروني. فجاءَ الأَعمشُ في جبَّة فَرْوٍ وقد ربطَ. وسطَه بشريط. فأَبطؤوا، فقامَ الأَعمش فقال: إِن أَردتمْ أَن تعطُونا شيئاً، وإِلا فخلُّوا سبيلنا، فقال عيسَى لابن أَبي ليلى: قلتُ لك تأتيني بالفقهاء، فجئتَني بهذا! قال: هذا سيدُنا الأَعمش.



الباب السابع


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجوابات المسكتة الحاضرة

قدم حمّاد بن جميل من فارس، فنظر إليه يزيد بن المنجاب وعليه جبابُ وَشْيٍ، فقال: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾[1]. فقال حماد: ﴿كَذَلِكَ كُنتُم مِّنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ﴾[2].

جاء رجلٌ إلى عمرَ فقال: أعطِني. فقال: والله لا أعطيكَ. قال: والله لتُعْطِيَنِّي. قال: ولِمَ لا أبَالَكَ؟ قال: لأنه مال الله، وأنا من عيالِ الله. قال: صدقتَ.

قال الربيعُ يوماً بين يدي المهدي لشريكٍ[3]: بلغني أنَّكَ خُنْتَ أميرَ المؤمنين. فقال له شريكٌ: مَه[4]، لا تقولنَّ ذاك، لَوْ فَعَلْنَا لأتاكَ نصيبُكَ.

---

(١) سورة الإنسان: ١.

(٢) سورة النساء: ٩٤.

(٣) شريك بن عبد الله الكوفي: ولد سنة ٩٥هـ. فقيه عالم بالحديث سريع البديهة، ولي القضاء للمنصور والمهدي. توفي سنة ١٧٧هـ.

(٤) مه: اكفف.

خطبَ رجلٌ إلى عبدِ الله بن عباس يتيمةً كانت في حِجْرِه، فقال له: لا أَرضاها لكَ. قال: ولم ذاك؟ قال: لأنها تُشرفُ وتنظرُ، وهي مع ذلك بريَّة، فقال: إني لا أكْرَهُ ذلك، فقال ابن عباسٍ: أما الآن فإني لا أرضاكَ لَها.

قال معاويةُ لعمرو بن سعيد[1]: إلى من أوصَى بكَ أبوكَ؟ فقال: إنَّ أبي أوصَى إليَّ ولم يوصِ بي.

وقال عَمرو بن العاص لعبدِ الله بن عباسٍ: اسمع يا ابنَ أخي. فقال: كنتُ ابنَ أخيكَ. وأنا اليومَ أخُوك.

قال رجل من أهل الحجازِ لابنِ شُبْرُمَةَ[2]: مِن عندنا خرج العلمُ. قال: ثم لَمْ يَعُدْ إليكم.

دخلتْ وفودٌ على عُمَر بن عبدِ العزيز، فأراد فتىً منهمُ الكلام، فقال عمرُ: ليتكلمْ أسنُّكم. فقال الفتى: يا أميرَ المؤمنين إنَّ قريشاً لترَى فيها مَنْ هو أسَنُّ منك. فقال: تكلمْ يافتى.

---

(١) عمرو بن سعيد بن العاص: المشهور بالأشدق، ولد سنة ٣هـ، أمير أموي من الخطباء البلغاء، قتله عبد الملك بن مروان سنة ٧٠هـ.

(٢) عبد الله بن شبرمة القاضي: ولي قضاء الكوفة للمنصور، وكان مع فقهه شاعراً. مات سنة ١٤٤هـ.

لقي محمد بن أسباط عبدَ الله بنَ طاهرٍ[1] في جبّةِ خزٍّ، فقال: يا أبا جعفر، ما خلّفتَ للشتاء؟ قال: خِلعَ الأمير.

قال ابن الزيّات[2] لبعض أولاد البرامكة: من أنتَ، ومن أبوكَ؟ قال: أبي الذي تعرفُه، وماتَ وهو لا يعرفُك.

كان لشيطان الطاق[3] ابنٌ محمّقٌ، فقال أبو حنيفة له: أنتَ من ابنكَ هذاَ في بستانٍ. قال: هذا لو كان إليك.

دخل بعضُهم على عبد الملك، فقال: الحمدُ لله الذي ردّك على عَقبيك. فقال: ومَن رُدَّ إليكَ فقد ردَّ على عقبيه، فسكت.

لما قال مسكين الدارمي[4]:

ناري ونارُ الجارِ واحدةٌ وإليهِ قبلي تنزل القدرُ

---

(١) عبد الله بن طاهر الخزاعي: أمير عباسي، من خزاعة، ولاه المأمون خراسان، ولد سنة ١٨٢. مات سنة ٢٣٠هـ.

(٢) محمد بن عبد الملك الزيات: الوزير، الأديب الشاعر، ولد سنة ١٧٣هـ. كان وزيراً للمتوكل، ومات تحت العذاب في سنة ٢٣٠هـ.

(٣) شيطان الطاق: محمد بن علي بن النعمان الكوفي، فقيه من غلاة الشيعة، كان صيرفياً، وعاصر الإمام أبا حنيفة، توفي نحو سنة ١٦٠هـ.

(٤) مسكين الدرامي: هو ربيعة بن عامر، ومسكين لقبه الذي اشتهر به، شاعر إسلامي، ناصر معاوية على علي بن أبي طالب.

قالت امرأته: صدقَ؛ لأنَّها نارُ الجارِ وقدرُه.

قال الرشيدُ لإسماعيل بن صبيح[1]: وددت أنَّ لي حسْنَ خطِّك.

فقال: يا أمير المؤمنين، لو كان حسنُ الخط مكرمةً، لكان أولى الناسِ بها رسولُ الله ﷺ.

وقال عمر بن عبد العزيز لرجلٍ: من سيّدُ قومِك؟ قال: أنا. قال: لو كنت سيدَهم ما قلت.

دخل شابٌ من بني هاشم على المنصور، فسأله عن وفاة أبيهِ، فقال: مرضَ - رضي الله - عنه يومَ كذا، وماتَ - رحمه الله - يومَ كذا، وتركَ -رضي الله عنه- من المال كذا؛ فانتهرهُ الربيعُ وقال: بين يدي أمير المؤمنين توالي الدعاء لأبيك! فقال الشابُّ له: لا ألومك؛ لأنك لم تعرفْ حلاوةَ الآباء[2]. قال: فما علمنا أنَّ المنصورَ ضحكَ في مجلسه قط. ضحكاً افترَّ عن نواجذهِ إلا يومئذٍ.

---

(١) إسماعيل بن صبيح: كاتب الرشيد، وصاحب ديوان الخراج والرسائل له، كان كاتباً للأمين بعد الرشيد.

(٢) يعرض الشاب بالربيع بن يونس. فقد قيل: إن أباه كان خارجياً فوقع على أمه، فأتت به.

قال بعضهم وقد باع ضيْعةً من آخر له: أما والله لقد أخذتها ثقيلةَ المؤونة، قليلة المعونة. فقال: وأنتَ والله لقد أخذتَها بطيئةَ الاجتماع، سريعة التفرق.

قال رجل لعمرو بن العاص: والله لأتفرَّغنَّ لك. فقال: هناك والله وقعت في الشغل.

قال الحجاج لصالح بن عبد الرحمن[1] الكاتب: إني فكرتُ فيك فوجدت مالك ودمك لي حراماً. قال: أشد ما في هذا أيها الأمير واحدة. قال: وما هي؟ قال: أن هذا بعد الفكرة. يريد: أن هذا مبلغ عقلك.

نظر ثابت بن عبد الله بن الزبير[2] إلى أهل الشام فشتمهم، فقال له سعيد بن خالد بن عمر بن عثمان بن عفان[3]: إنما تنتقصُهم لأنهم قتلُوا أباك. قال: صدقتَ لقد قتلُوا أبي، ولكنَّ المهاجرينَ والأنصار قتلو أباك.

---

(١) صالح بن عبد الرحمن: كان كاتباً للحجاج، وهو الذي نقل الدواوين من الفارسية إلى العربية سنة ٧٨هـ.

(٢) ثابت بن عبد الله بن الزبير: كان خطيباً فصيحاً، توفي حوالي سنة ٩٤هـ.

(٣) سعيد بن خالد بن عمر بن عثمان: استوطن الشام وله بها دور كثيرة، وقصده بعض الشعراء للمدح.

خطب أبو الهندي - وهو خالد بن عبد القدوس بن شيْث بن ربعي [1] - إلى رجل من بني تميم؛ فقال له: لو كنتَ مثلَ أبيك لزوجتُك، فقال أبو الهندي: لكنْ لو كنتَ مثل أبيكَ ما خطبت إليك.

ووقف عليه نَصر بن سيّار [2] وهو سكران، فسبَّه، وقال له: ضيعتَ شرفكَ. فقال: لولا أني ضعيتُ شرفي لم تكن أنت والي خراسان.

جلس محمدُ بن عبد الملك يوماً للمظالم، وحضر في جملة الناس رجلٌ زيّهُ زيّ الكتّاب، فجلس بإزائه، ومحمدٌ يُنْفذ الكلام؛ وهو لا يتكلمُ. ومحمدٌ يتأمله، فلما خَفَّ مجلسه قال له: ما حاجتك؟ قال: الساعةَ أذكرها. فلما خلا المجلسُ تقدم وقال: جئتك أصلحك اللهُ متظلماً. قال: ممن؟ قال: منكَ. قال: منّي؟! قال: نعم. ضيعةٌ لي في يد وكيلك يحملُ إليكَ غلّتها ويحول بيني وبينها. قال: فما تريدُ؟ قال: تكتب بتسليمها إليَّ. قال: هذا نحتاج فيه إلى شهودٍ وبيِّنةٍ وأشياء

---

(١) كان شاعراً ماجناً وصّافاً للخمر.

(٢) نصر بن سيار: والي خراسان لمروان بن محمد، أمير من الدهاة، تغلب عليه أبو مسلم الخراساني، فتنقل بين البلاد إلى أن مات سنة ١٣١هـ.

كثيرة. قال الرجل: الشهود هم البينة و«أشياء كثيرة» عِيٌّ منك. فخجل محمدٌ وهابَ الرجلَ، وكتب له بما أرضاه.

قال الحجاج ليحيى بن سعيد بن العاص[1]: أخبرني عبد الله بن هلال صديق إبليس أنك تشبه إبليس. قال: وما ينكرُ الأميرُ أن يكون سيدُ الإنس يشبهُ سيدَ الجن.

لما هرب ابن هُبَيْرة[2] من خالد بن عبد الله القسري قال له: أبَقْتَ إباقَ العبد. فقال له: نعم حين نمتَ نومةَ الأمةِ عن عَجينها.

دخل رجلٌ من ولد قُتَيْبة بن مسلم[3] الحمام، وبشار بن برد في الحمام، فقال: يا أبا معاذ وددت أنك مفتوحُ العين. قال: ولم؟ قال: لترى استي فتعرف أنك قد كذبتَ في شعرك حيث تقول:

على أستاه[4] سادتِهم كتابٌ «موالِي عامرٍ» وسمٌ بنارِ

---

(١) يحيى بن سعيد بن العاص: أخو عمرو بن سعيد. سكن الكوفة وواسط.

(٢) عمرو بن هبيرة بن سعد الفزاري: كان واليا على خراسان. حبسه الوالي - الذي بعده- خالد القسري، ففر من سجنه. مات حوالي سنة ١١٠هـ.

(٣) قتيبة بن مسلم الباهلي: ولد سنة ٤٩هـ. ولي الري لعبد الملك، وكان قائدا شجاعا، قتله بعض قادة جيشه ٩٦هـ.

(٤) الاستاه: جمع است. وهو الدبر.

قال: غلطتَ يا ابن أخي. إنما قلت: على أُستاهِ سادتِهم، ولستَ منهم.

دخل إياس بن معاوية[1] الشام وهو غلام، فقَدَّمَ[2] خصماً له - وكان شيخاً كبيراً - إلى قاضي عبد الملك، فقال له القاضي: أتقدمُ شيخاً كبيراً؟ قال: الحقُّ أكبر منه. قال: اسكتْ. قال: فمن ينطق بحجتي؟

قال المهديُّ يوماً لشريك، وعيسى بنُ موسى عنده: لو شهدَ عندكَ عيسى كنتَ تقبلُه؟ وأرادَ أن يُغري بينهما. فقال شريكٌ: من شهدَ عندي سألت عنه، ولا يُسأل عن عيسى غيرُ أمير المؤمنين، فإن زكَّيتَه قبلته. فقلبها عليه.

قيل لسعيد بن المسيب وقد كُفَّ: ألا تقدحُ عينَك[3].
قال: حتَّى أفتحَها على مَنْ؟

---

(١) القاضي إياس بن معاوية: يضرب المثل بذكائه. ولد سنة ٤٦هـ. تولى القضاء في البصرة، توفي سنة ١٢٢هـ.

(٢) قدم: تقدّم وسبق.

(٣) قدح عينه: أخرج منها الماء الفاسد.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال مراون يوم الزَّاب[1] لحاجبه وقد ولّى منهزماً: كُرَّ عليهمْ بالسيف. فقال: لا طاقةَ لي بهم. فقال: والله لئنْ لم تفعلْ بهمْ لأسُوءنَّك. قال: وددتُ أنَّك تقدرُ على ذلك.

ركب الرشيد وجعفرُ بن يحيى يسايرُه، وقد بَعَثَ عليُّ بنُ عيسَى بهدايَا خراسانَ بعد ولاية الفضل بن يحيى[2]، فقال الرشيد لجعفر: أين كان هذا في أيامِ أخيك؟ قال: في منازلِ أهلهِ.

قال بحيراَ الراهبُ لأبي طالب: احذرْ على ابنِ أخيكَ، فإنه سيَصيرُ إلى كذاَ وكذاَ. قال: إن كانَ الأمرُ كما وصفت فإنَّه في حِصْنٍ من الله.

قال رجلٌ مطعونُ النسبِ لأبي عبيدة[3] لمَّا عمل كتابَ

(١) يوم الزاب: بين مروان آخر خلفاء الأمويين وبين العباسيين، هزم فيه مروان وفر هارباً سنة ١٣٢هـ.

(٢) عزل الفضل بن يحيى البرمكي. عن ولاية خراسان سنة ١٨٠هـ. وولى الرشيد بدله علي بن عيسى.

(٣) أبو عبيدة معمر بن المثنى: فارسي الأصل، عاش في العصر العباسي، عالم بالأدب والنحو والأخبار، غير أنه هجاء خبيث اللسان، وكتابه «المثالب» في مثالب العرب. توفي سنة ٢١٠هـ.

المثالب: سَبَبْتَ العربَ جميعاً. قال: وما يضرُّكَ؟ أَنت خارج من ذلك.

لما قال أَبو العتاهية.

فاضربْ بطرفِكَ حيثُ شئـ ـتَ، فلنْ ترى إِلا بخيلاً

قيل له: بَخَّلْتَ الناسَ كلَّهم. قال: فأَكْذِبُوني بواحد.

دعا أَبو جعفر المنصور أَبَا حنيفة إِلى القضاء. فأَبى، فحبسه، ثم دَعَا بهِ، فقال له: أَترغبُ عَمَّا نحن فيه؟ فقال: أَصلح الله أَمير المؤمنين، لا أَصلُحُ للقضاء. فقال: كذبتَ. فقال أَبو حنيفة: قد حكم عليَّ أَميرُ المؤمنين أَني لا أَصلح للقضاء؛ لأَنه نسبنَي إِلى الكذب، فإِن كنتُ كاذباً فأَنا لا أَصلحُ، وإِن كنت صادقاً، فإِني قد صدقْتُ عن نفسي أَنِّي لا أَصلح. فردَّه إِلى الحبس.

قال الحسن بن سهل[1]: ما نكأَ قلبي كقولٍ خاطبني به

---

(١) الحسن بن سهل: فارسي الأصل، أخو الفضل بن سهل، وزير المأمون، تولى الوزارة بعد أخيه، تزوج المأمون ابنته بوران، توفي سنة ٢٧٥هـ.

أعرابيٌّ يَحُجُّ يوما بالعرب، فقلت له: رأيت منازلكم وخيامكم تلكَ الصغار، فقال لي بالعجلة: فهل رأيت فيها من ينكح أُمَّه أو أُختَه؟[1]

قال رجل لآخر: ألا تستحيي من إِعطاء القليل؟ فقال: الحرمانُ أقلُّ منه.

شكا يزيد بن أُسَيْد[2] إلى المنصور ما نالَه من العباسِ بن محمد أخيه، فقال المنصور: اجمع إِحساني إليكَ وإِساءة أخي، فإِنهما يَعْتَدلان. قال: إذا كان إِحسانُكم إِلينا جزاءً لإِساءتكم، كانت الطاعةُ منا تفضُّلا.

لما أخذ محمدُ بن سليمان صالحَ بنَ عبد القدوس[3] ليُوجِّه به إلى المهدي، قال: أطلقني حتى أُفكر لكَ فيولَد لك ذكرٌ. قال: بل اصنَعْ ما هوَ أنفعُ لك من أن يُولدَ لي، فكَرَّ حتى تفلتَ من يدي.

(١) يعرض بأنه فارسي مجوسيّ.

(٢) يزيد بن أسيد: وال من رجال الدولة العباسية، أمه نصرانية، توفي سنة ١٦٢هـ.

(٣) صالح بن عبد القدوس: من حكماء الشعراء، نشأ بالبصرة وفيها عاش، شعره تكثر فيه الحكم والفلسفة، اتهمه المهدي بالزندقة وقتله وصلبه على جسر بغداد سنة ١٦٧هـ.

قــــال مـــــروان بن الحكم لحُبَيْش بن دلَجَةَ[1] : أظنك أحمق. فقال: أحمقُ ما يكون الشيخ إذا عملَ بظنِّه.

قال بعضُهُم لأبي تمام: لِمَ لا تقولُ ما يُفهَم؟ فقال: لم لا تفهمون ما يُقال.

حمل بعض الصوفيةِ طعاماً إلى طحَّانٍ ليطحنه، فقالَ: أنا مشغول. فقال: اطحنْه وإلاَّ دعوتُ عليك وعلَى حمارِكَ ورَحَاك. قال: وأنت مجابُ الدعوة؟ قال: نعمْ. قال: فادعُ الله أن يُصيِّرَ حنطتَك دقيقاً، فهو أنفعُ لك، وأسلمُ لدينك.

هجا أبوُ الهولِ الحِمْيري[2] الفضلَ بنَ يحيى، ثم أتاه راغباً، فقال له الفضلُ: ويحَك، بأيٍّ وجهٍ تلقانِي؟ قال: بالوجهِ الذي ألقى به ربِّي جلَّ جلاله، وذنوبي إليه أكثر. فضحكَ ووصلَه.

---

(١) حبيش بن دلجة: من قادة الجيوش في العصر الأموي. ولاه مروان قيادة الجيش الذاهب إلى المدينة، فاستولى عليها. توفي وهو عائد منها سنة ٦٥هـ.

(٢) أبو الهول الحميري: شاعر من شعراء الدولة العباسية المجيدين، اختص بمدح البرامكة.

قال الحجاجُ لسعيدِ بن جُبيرٍ[1]: اخترْ لنفسك أي قتْلةٍ شئت. قال: بل اخترْ أنت؛ فإنَّ القصاص أمامَك.

جاء شيخٌ من بني عقيل إلى عمرَ بن هُبَيْرة فمتَّ بقرابتِه، وسألَه، فلم يعطه شيئاً. فعاد إليه بعد أيام فقال: أنا العقيلي الذي سألك منذ أيامٍ. قال عمر: وأنا الفزاري الذي منعك منذ أيام. فقال: معذرةً إلى الله، إني سألتُك وأنا أظنُّك يزيدَ بنَ هُبَيْرَةَ المحاربيَّ؛ فقالَ: ذاك ألأمُ لك، وأهونُ بك عليَّ، نشأ في قومك مثلي ولم تعلمْ به، ومات مثلُ يزيد ولا تعلمُ به. ياحَرَسِي اسفعْ يده[2].

قال موسى بن سَعيد بن سلم: قال أبو الهُذَيل[3] لأبي يوماً: إني لا أجدُ في الغناء ما يجدُ الناسُ من الطَّرَب! فقال له: فما أعرفُ إذاً في الغناء ذَنْباً.

---

(١) سعيد بن جبير الأسدي: ولد سنة ٤٥هـ. حبشي الأصل، من علماء التابعين وزهادهم، وأذكيائهم. خرج مع عبد الرحمن بن الأشعث على عبد الملك بن مروان، وقتله الحجاج سنة ٩٥هـ.

(٢) اسفع يده: اضرب يده.

(٣) هو أبو الهذيل محمد بن الهذيل: من أئمة المعتزلة، كان قوي الحجة حاضر البديهة، كف بصره في أواخر حياته، وتوفي سنة ٣٢٥هـ.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أُتي ضِرارٌ المتكلمُ بمجوسي ليكلمه، فقال أبو مَن؟ فقال المجوسي: نحن أجلُّ من أنْ نُنسبَ إلى أبنائنا، إنما نُنسبُ إلى آبائنا، فأطرق ضرارٌ ثم قال: أبناؤنا أفعالُنا، وآباؤنا أفعالُ غيرنا، ولأن نُنْسَبَ إلى أفعالنا، أولَى من أن نُنْسَبَ إلى أفعال غيرنا.

كان يناظرُ رجلٌ يحيَى بن أكثم، وكان يقولُ له في أثناءِ كلامه: يا أبا زكريا. وكان يحيى يكنى بأبي محمد. فقال يحيى: لستُ بأبي زكريا. فقال الرجلُ: كلٌّ يحيَى كنيتهُ أبو زكريا. فقال: العجبُ أنك تناظرني في إبطالِ القياسِ، وتكْنِيني بالقياس.

لمَّا عزلَ عثمانُ عمروَ بن العاص، وولَّى عبدَ الله بنَ أبي السَّرْح[1] مكانَه، دخلَ عليه عمرو، فقال: أشعرت أنَّ اللِّقاح[2] بعدكَ درَّت ألبانها بمصر؟ فقال: نعمْ، ولكنكُم أعْجَفْتُمْ[3] أولادها.

---

(١) عبد الله بن سعد بن أبي السرح: أخو عثمان بن عفان من الرضاع، فاتح إفريقية، ولي مصر سنة ٢٥هـ. كان ميله مع معاوية، ولكنه اعتزل صفين. مات سنة ٢٧هـ.

(٢) اللقاح: جمع لقحة، وهي الناقة الحلوب.

(٣) أعجفتم: أهزلتم.

جاور إبراهيمُ بن سيَابة قوماً فأزعجوه من جوارهم، فقال: لِمَ تخرجونَني من جواركم؟ فقالوا: لأنك مُريب. فقال: ويحكم. ومن أذلُّ من مريبٍ، أو أحسن جوارا؟.

قيل لبعض الصوفية: أتبيع جُبَّتَك الصوف؟ قال: إذا باعَ الصياد شبكتَه فبأي شيءٍ يصطاد؟.

قالوا: لما ضُرِبَ سعيدُ بن المسيَّب أُقيمَ للناس، فمرَّت به أَمَةٌ لبعض المدينيين، فقالت: لقد أقَمتَ مقامَ الخزي يا شيخ. فقال سعيد: مِن مقام الخزي فَرَرْتُ.

سمعت الصاحب[1] - رحمة الله - يقول: إن بعض ولد أبي موسى الأشعري عيِّر بأنه كان حجَّاما، فقال: ما حَجَم قطُّ غيرَ النبي ﷺ. فقيل له: كان ذلك الشيخُ أتقَى لله من أن يتعلم الحجامةَ في عنق النبي ﷺ. قال الصاحبُ: وأنا أقولُ: كان النبي ﷺ أحزمَ من أن يمكِّنَ من حجامته من لم يحجم قَطُّ أحداً.

---

(١) الصاحب بن عباد: هو إسماعيل بن عباد، والصاحب لقبه، وزير غلب عليه الأدب، كان نادرة زمانه فضلاً وأدباً، توفي سنة ٣٨٥هـ. له كتب أشهرها: الكشف عن مساوئ المتنبي، وله شعر رقيق.

أخذت الخوارج رجلا[1] فقالت له: ابرأ من عثمان وعَلِيّ. فقال أنا من عليٍّ، ومن عثمانَ بريءٌ.

قال معاويةُ لرجل: أنت سيدُ قومِك. قال: الدهرَ ألجأهم إليَّ.

أتى رجلٌ أعورُ في زمانِ عمرَ، فشهد أنه رأى الهلالَ. فقال عمرُ: بأي عينيكَ رأيتَ؟ قال: بشرِّهما، وهي الباقيةُ؛ لأنَّ الأخرى ذهبت معَ رسولِ الله ﷺ في بعضِ غزواته. فأجازَ شهادتَه.

رأى مجوسيٌّ في مجلس الصاحب-رحمهُ الله-لهيبَ نار، فقال: ما أشرفَه! فقال الصاحبُ: ما أشرفهُ وقوداً، وأخسَّه معبوداً!.

صحَّ عند بعضِ القضاة إعدامُ رجل فأركبَهُ حماراً ونُودي عليه: هذا مُعْدِم[2]، فلا يُعاملَنَّه أحدٌ إلا بالنقد، فلمَّا كان آخر النهارِ نزل عن الحمارِ، فقال له المكارِي: هاتِ أجرتي. فقال: فيم كنا نحنُ منذ الغداة.

---

(١) هو شيطان الطاق.

(٢) معدم: فقير أو مفلس.

تقدَّم سقَّاءٌ إلى فقيهٍ على باب سلطان، فسأله عن مسألةٍ، فقال:

قال الأصمعي: ضَرب أبو المخشِّ الأعرابيُّ غلمانا للمهدي. فاستعْدَوْا عليه، فأحضرَه وقال: اجترأتَ على غلماني فَضَرَبتَهم. فقال: كلُّنا يا أميرَ المؤمنين غلمانُكَ ضربَ بعضُنا بعضًا. فخلَّى عنه.

اعترضَ رجلٌ المأمونَ فقال: يا أمير المؤمنين، أنا رجلٌ من العرب. فقال ما ذاك بعجبٍ. قال: إني أُريد الحجَّ. قال: الطريق أمامك نهْجٌ[1]. قال: وليستْ لي نفقةٌ. قال: قد سقطَ الفرضُ. قال: إني جئتُك مستجدياً. لا مستَفْتِياً. فضحك وأمر له بصِلَةٍ.

قال الحَجَّاج لرجلٍ: أنا أطولُ أم أنتَ؟ فقال: الأميرُ أطولُ عقلاً، وأنا أبسطُ قامةً..

قدم رجل من اليمامة فقيل له: ما أحسنَ ما رأيتُ بها؟ قال: خروجي منْها أَحْسَنُ مَا رأيتُ بها.

مدح رجلٌ هشاما فقال له: يا هذا، إنه قد نُهِيَ عن مدحٍ

(١) نهج: واضح.

الرجلِ في وجههِ. فقال له: ما مدحتُك، وإنما أذكرتُك نعمةَ الله، لتجدِّدَ له شكرا.

عاتب الفضل بن سهلٍ الحسينَ بنَ مُصْعَبٍ[1] في أمْر ابنه طاهر[2]، والتوائهِ وتلوُّنه، فقال له الحسينُ: أنا أيها الأمير شيخٌ في أيديكم، لا تذمُّونَ إخلاصي ولا تنكرُون نصيحتي، فأما طاهرٌ فلي في أمرِه جوابٌ مختصرٌ وفيه بعضُ الغلظ. فإن أذنْتَ ذكرتُه. قال: قل. قال: أيُّها الأمير، أخذتَ رجلاً من عُرْض الأولياء فشقَقْتَ صدرهَ، وأخرجتَ قلبَه، ثم جعلتَ فيه قلباً قتلَ به خليفةً، وأعطيتَه آلة ذلكَ من الرجالِ والأموالِ والعبيد، ثم تسومه بعد ذلك أن يَذِلَّ لك، ويكونَ كما كان. لا يتهيأُ هذا إلا أن تردَّه إلى ما كان، ولا تقدرُ على ذلك. فسكت الفضل.

قال المأمون لابن الأكشف ـ وكان كثير الركوب للبحر ـ ما أعجبَ مَا رأيتَ في البحر؟ قال: سلامتي منه.

قيل لسعيد بن المسيَّب لما نزل الماء في عينيه: اقدحْهُما حتى تبصرَ. فقال: إلى مَن؟

---

(١) الحسين بن مصعب: أحد المقدمين في أيام المأمون. مات بخراسان سنة ١٩٩هـ.

(٢) طاهر بن الحسين: قائد شهير. ولاه الفضل بن سهل قيادة الجيش المتوجه إلى الأمين، وقد استولى على بغداد وقتل الأمين سنة ١٩٨هـ.

قال المنصور لرجل: ما مالك؟ قال: ما يكفُّ وجهي، ويعجزُ عن الصديق. قال له: لطفْتَ في المسألة.

قال الرشيد للجهجاه: أزنديقٌ أنت؟ قال: وكيف أكونُ زنديقاً وقد قرأتُ القرآن، وفرضتُ الفرائضَ، وفرقتُ بين الحُجَّة والشُّبْهَة؟ قال: تالله لأضربنّك حتى تقر. قال: هذا خلافُ ما أمر به الرسول ﷺ، أمرنا أنْ نضربَ الناس حتى يُقرُّوا بالإيمان، وأنت تضربُني حتى أُقرَّ بالكفر.

قال عُمر لعمرو بن معد يكرب: أخبرني عن السلاح. فقال: سَلْ عمَّا شئتَ منه. قال: الرمْحُ. قال: أخوك وربما خانَك. قال: النبل. قال: مَنايَا تُخطِىءُ وتصيب. قال: التُّرس. قال: ذاك المِجَنُّ، وعليه تدُور الدوائر. قال: الدِّرع. قال: مَشْغَلَةٌ للرَاجِل متعَبةٌ للفارس، وإنها لحصنٌ حصينٌ. قال: السيف. قال: ثَمَّ قارَعَتْكَ أمُّكَ عن الهَبَل[1]. قال: بل أمُّك. قال: الحمّى أضرعتني لك[2].

* * *

---

(١) الهبل: الثكل.

(٢) مثل يضرب للأمر يضطر صاحبه للخضوع.

باب آخر من الجوابات المسكتة
وهو ما يجري مجرى الهزل

قال بعضهم لآخر: يا خائن. فقالَ: تقول لي ذلك وقد ائتَمنك اللهُ على مقدارِ درهمٍ من جسدِك فلم تؤدِّ الأمانَةَ.

شتم عيسى بن فرخانشاه[1] رجلاً نصرانياً، فقال: يا ابنَ الزانية. فقال له: أنت مسلمٌ ولا أقدرُ على شتمِك، ولكنْ أخوك يحيى بن فرخانشاه هو ابن الزانية.

قال العطَوي[2]: قلتُ لجارية: أشتهي أنْ أقبّلك. قالت: ولمَ؟ قلتُ: لأنّك زانية. قالتْ: وكلُّ زانية تقبلُها؟ قلتُ: نعم. قالت: فابْدأ بمن تعُول.

قال غلامُ ثُمامةَ لثمامة: قمْ صلِّ واسترحْ. قال: أنَا مستريحٌ إنْ تركتَني.

اشترى عليٌّ بن الجعد[3] جارية بثلاثمائة دينار، فقال له

---

(١) عيسى بن فرخانشاه: استوزره المعتز بعد عزل الوزير صاعد بن مخلد.

(٢) هو أبو عبد الرحمن محمد بن عطية: شاعر بصري، كانت إقامته بسر من رأى.

(٣) علي بن الجعد بن عبيد: شيخ بغداد في عصره، ولد سنة ١٣٦هـ، وتوفي سنة ٢٤٥هـ.

ابنُ قادم النحوي[1]: أيَّ شيءٍ تصنعُ بهذه الجارية؟ فقال: لو كان هذا شيئاً يُجَرَّب على الإخوانِ لجرّبْنَاه عليك.

كان حماد[2] الراوية يُتّهم بالزندقة وكان يصحبُ ابن بيضٍ، فدخلا يوماً على والي الكوفة، فقال لابن بيّضٍ[3]: قد صالحْتَ حماداً؟ قال: نعم أيها الأمير، على ألاّ آمرهُ بالصلاة، ولا ينهاني عنها.

أنشد حضري أعرابياً شعراً لنفسه، وقال: تراني مطبوعاً؟ قال: نعم على قلبك.

اعترض عمرُو بنُ الليثِ فارساً من جيشه، فكانتْ دابّتهُ بغاية الهُزال. فقال له: يا هذا، تأخذ مالي تُنفقهُ على امرأتك وتُسَمِّنها، وتُهزل دابّتَك التي عليها تحاربُ، وبها تأخذُ الرزق، امضِ لشأنك فليس لك عندي شيءٌ. فقال الجنديُّ: أيها

(١) محمد بن عبد الله بن قادم النحوي: من علماء النحو، وهو معلم المعتز، مات حوالي سنة ٢٥١هـ.

(٢) حماد بن سابور: أعلم أهل عصره بأشعار العرب وأيامهم، ولد سنة ٩٥هـ وتوفي سنة ١٥٥هـ.

(٣) حمزة بن بيض: شاعر من شعراء الدولة الأموية منقطع إلى المهلب بن أبي صفرة، ثم إلى بلال ابن أبي بردة، وهو كوفي ماجن خليع.

الأمير، لو استعرضت امرأتي لاستَسْمَنتَ دابَّتي. فضحك عمروٌ، وأمرَ بإعطائه رزقَه.

قيل للتَّيف[1] الأصبهاني: لم تنتف لحيتَك؟ فقال: وأنت فلمَ لا تنتفها؟

قيل لبعضهم: زوجت أمك؟ فقال: نعم، حلالاً طيباً. فقال: أمَّا حلالٌ فنعمْ، وأما طيبٌ فلا.

قالت امرأةٌ لرائض دوابَّ: بئس الكسب كسبُكَ، إنما كسبُك باستِك. فقال: ليس بينَ ما أكتسب به وبينَ ما تكتسبينَ به إلا إصبعان.

قالت امرةٌ لزوْجها: يا مفلسُ يا قَرنَان. قال: إنْ كنت صادقةً فواحدةٌ منك وواحدةٌ من الله.

قيل لبعض الظرفاء من أهل العلم: أتكرهُ السَّماعَ؟ قال: نعم، إذا لم يكنْ معه شرْبٌ.

كتب العباسُ بن المأمون، في رقعة: أيُّ دواةٍ لم يلقَها قلمُه؟ وألقاهَا بين يديْ يحيَى بن أكثم، فقرأها ووقَّع فيها:

---

(١) هو الأصولي الفقيه أبو عبد الله محمد الأصفهاني، والتيف لقبه.

دواتُكَ ودواةُ أبيكَ. فأقرأها العباسُ أباه المأمونَ. فقال: صدق يا بُنيَّ، ولو قالَ غيرَ هذا لكانت الفضيحةُ.

سمع رجلٌ به وجعُ الضرسِ آخرَ ينشد:

قضاها لغيرى وابتلاني بحبها[1]

فقال: والله لو ابتلاكَ بوجع الضرسِ لم تفزَعْ لهذا.

قيل للجاحظ: لم هربتَ في نكبةِ ابن الزيّات[2]؟ قال: خفتُ أن أكون ثاني اثنين إذا هما في التنور.

رمى المتوكل عصفوراً بالبندق فلم يصبْهُ، فقال ابن حمدون[3]: أحسنتَ يا سيدي، فقال: هو ذا تهزأُ بي، كيف أحسنتُ؟ قال: إلى العصفور.

قيل لأبي عُرْوَةَ الزبيري: أيسرُّكَ أنك قائدٌ؟ فقال: إي والله، ولو قائدُ عميان.

---

(١) عجزه: فهل بقضاء غير ليلى ابتلانيا. والقائل قيس بن الملوح.

(٢) قبض المتوكل على ابن الزيات سنة ٢٣٣هـ. وأمر بوضعه في تنور ضيق، به مسامير محددة أطرافها إلى الداخل لتنخسه إذا اتكأ أو تحرك، وهو التنور كان ابن الزيات يعذب به من يريد تعذيبه.

(٣) ابن حمدون نديم المتوكل، وكان المتوكل يستملحه.

تجارَى قومٌ في مجلس لهم حديثَ الكمال في الرجال، ودخولَ النقصانِ عليهم للآفات، فقال بعضُهم: من كان أعورَ فهو نصفُ رجل، ومن لم يحسن السباحة فهو نصف رجل، ومن لم يكن متزوجاً فهو نصفُ رجل. وكان فيهم أعورُ، ولم يكنْ يحسن السباحةَ ولا متزوجاً، فالتفتَ إلى ذلكَ الإنسان وقال له: إن كان عليّ ما تقولُ فأنا أحتاجُ إلى نصفِ رجلٍ حتى أكونَ لا شيءَ.

قال بعضهم: مررت بمنجمٍ قد صُلِبَ، فقلت له: هل رأيت في نَجمك وحكمكِ هذاَ؟ قال: كنتُ رأيتُ رفعة، ولكن لم أعلمْ أنَّها فوق خشبةٍ.



البـاب الثامـن



من نوادر المتنبئين

ادَّعى رجلٌ في زمن المهديّ النبوةَ، فأُدخل إليه، فقال له المهديُّ: أنت نبيٌّ؟ قال: نعم. قال: فإلى من بُعثت؟ قال: وتركتموني أذهبُ إلى مَنْ بعثت؟ بعثتُ بالغداة وحبستُمُوني بالعشيِّ، فضحك المهديُّ حتى فَحَصَ برجله[1]، وأمر له بجائزةٍ وخلّى سبيله.

وتنبّأ آخرُ وادَّعَى أنه موسَى بن عُمران، فأحضره وقال له: من أنتَ؟ قال: أنا كليمُ الله موسَى. قال: وهذه عصاكَ التي صارت ثُعْباناً؟ قال: نعم. قال: فألقها من يدك ومُرْها أن تصيرَ ثُعْباناً. قال: قل أنتَ (أنا ربُّكُمُ الأَعْلَى)[2]. كما قال فرعون، حتى أُصيِّرَهَا ثعباناً كما فعلَ موسَى. فضحكَ منه واستَظْرفه.

وتنبّأت امرأةٌ أيام المأمون؛ فأوصلتْ إليه. فقال لها: مَنْ أنت؟ قالت: أنا فاطمةُ النبيّة. فقال المأمونُ: أتؤمنينَ بما قال محمد رسول الله؟ قالتْ: هو نبيٌّ حقّاً، وقوله حقٌّ مقبولٌ.

---

(١) فحص برجله: ضرب بها الأرض.

(٢) اشارة إلى الآية الكريمة: ٢٤ من سورة النازعات.

قال: فإن محمداً - عليه السلامُ - قال: لا نبيَّ بعدي. قالتْ: صدقَ صلواتُ الله عليه؛ فهلْ قال: لا نبيةَ بعدي؟ فقال المأمون لمن حضرَ: أما أنا فقد انقطعتُ، فمنْ كانتْ عنده حجةٌ فليأتِ بها، وضحك حتى غطّى وجهه.

وتنبأ آخرُ في أيام المأمون فقال: أنا أحمدُ النبيّ. فَحُمِلَ إليه فقال له: أمظلومٌ أنتَ فتنْصف؟ قال: ظُلمتُ في ضيعتي، فتقدمَ بإنصافه، ثم قال له: ما تقولُ في دعْواك؟ قال: أنا أحمدُ النبيَّ فهلْ تذمُّه أنتَ؟

ادّعى رجلٌ النبوة فقيل له: ما علامتُك؟ قال أنبئكُم بما في أنفُسكم. قالوا: فما في أنفُسنا؟ قال: أني كذَّاب، لستُ بنبيٍّ.

تنبأ رجلٌ في أيام المأمون، فقال له: من أنتَ؟ قال: نبيٌّ. قال: فما معجزتُك؟ قال: ما شئتَ. قال: فأخرج لي من الأرْض بطيخةَ. قال: أمهلْني ثلاثةَ أيام. قال المأمون: الساعةَ أريدُها. قال: يا أمير المؤمنين أنصفْني. أنت تعلمُ أن الله يُنْبِتُها في ثلاثة أشهرٍ، فلا تقبلُها منّي في ثلاثة أيام؟! فضحك المأمون وعلم أنه محتالٌ واستتابَه ووصله.

وتنبأ آخر في أيامه، فطالبوه بمعجزته، فقال: أطرحُ لكم حصاةً في الماء فأذيبها حتى تصير مع الماء شيئاً واحداً. قالوا: قد رضينا، فأخرج حصاة كانت معه وطرحها في الماء فذابت، فقالوا: هذه حيلة، ولكن أذِبْ حصاةً نعطيك نحن. قال لهم: لا تتعصَّبوا، فلستم أنتم أجلَّ من فرعون، ولا أنا أعظم من موسى، لم يقلْ فرعونُ لموسى: لا أرضى بما تفعله بعصاك حتى أعطيكَ من عندي عصاً تجعلُها ثعباناً. فضحكَ المأمونُ وأجازه.

وتنبأ رجل في خلافة المأمون، فقال لعلي بن صالح صاحب المصلّى: ناظِرْه. فقال له علي: ما أنت؟ قال: نبيٌّ. قال: فأين آياتُكَ والنُّذُرُ؟ قال: ألستمْ تزعمُون أن محمداً كان لا يُخبرَ بشيءٍ إلا كانَ؟ قالوا: نعمْ. قال: فأنا لا أُخبرُ بشيءٍ أنه يكونُ فيكونُ.

تنبأ رجلٌ في أيام المأمون، فقال له: ما أنت؟ قال: أنا نبيٌّ. قال: فما معجزتُكَ؟ قال: سلْ ما شئتَ. وكان بين يديه قُفْل، قال: خذْ هذا القفْلَ فافتحه، فقالَ: أصلحكَ اللهُ، لم أقلْ إنِّي حدادٌ، قلت: أنا نبي!! فضحك المأمون واستتابه وأجازه.

وتنبأ آخر فطُلبَ، فلما أُحضرَ دَعَا له بالنِّطَعِ[1] والسيف، فقال: لِمَ تقتلوني؟ قالوا: لأنك ادَّعيْتَ النبوةَ. قالك فلست أَدعيهَا. قالوا: فأيُّ شيءٍ أنتَ؟ قال: أنا صدِّيق. فدُعي لَه بالسياط، قال: لم تضربوني؟ قالوا: لادِّعائك أنكَ صدّيق. قال: لا أَدَّعي. قالوا: فمن أنت؟ قال: من التابعينَ بإحسان. فدعي له بالدِّرة. قالَ: ولمَ؟ قالوا: نؤدِّبك لادِّعائكَ ما ليسَ فيكَ. قال: ويحكم. الساعة كنتُ نبياً، أتريدُون أن تحطُّوني في ساعة واحدة من النبوَّة إلى مرتبةِ العَوامِّ؟ أمهلُوني إلى غَدٍ حتى أصيرَ لكُمْ إلى مَا شئتُمْ.



---

(١) النطع: قطعة من الجلد يقطع عليها الرأس.

البـاب التاسـع



نوادر المدينيين

قال رجل من أهل الشام لبعض أهل المدينة - وهو الغاضري -: كيف يُباع النبيذُ عندكم؟ قال: مُدَّان وثمانيةٌ وسبعون سَوطاً بدرهم!!.

وقيل لمدينيٍّ: ما أعدَدْتَ لشدة البردِ؟ قال: شدةَ الرِّعدة.

وقال آخر منهم لغلامه ونزل به ضيف: افرشْ لضيفنا. فقال: ما أفرش له، وسراويلُك عليكَ، والجُلُّ على الحمَار[1]؟

سرق آخر نافجةَ مسْك[2]، فقيل له: إن كلَّ من غلَّ يأتي بما غلَّ يوم القيامة يُحْمَلُ على عنقه. فقال: إذاً والله أحملُها طيبةَ الريح خفيفةَ المحمَل.

وقال آخر: لو قُسِّمَ البلاءُ بين الناسِ لم يصبْنا أكثرُ مما أصابنا. قالوا: ما الذي أصابَك؟. قال: بعثنا بشاتنا إلى التيَّاسِ[3] مع الجارية، فجاءت الشاة حائلاً والجاريةُ حاملاً.

---

(١) الجل: ما تلبسه الدابة لتصان به.

(٢) نافجة المسك: وعاؤه، كلمة أعجمية.

(٣) التياس: صاحب التيوس وهي الذكور من الوعول والمعز وغيرها.

قيل لآخر: كيفَ طابتْ أصواتُ أهلِ المدينة؟ قال: لخلاءِ أجوافِهم، كالعودِ لمّا خلا جوفُه طابَ صوتُه.

لقي مدينيٌّ آخرَ فقال له: ما فعل ابنُك فلانٌ؟ قال: باليمن. قال فابنكَ فلانٌ؟ قال: بخراسَان. قال: لا أسألُك عن الثالثِ فإني أعلمُ أنه في السحاب.

واشترَى آخرُ رطباً، فأخرج صاحبه كيْلَجة[1] صغيرة ليكيل بها، فقال المدني: والله لو كلتَ لي حسناتٍ ما قبلتُها.

وقال مدني لابن أبي مريم: تعَشَّقْتُ فلانةَ وأُريد شراءها. قال: يا بْنَ الفاعلة، فبأيِّ شيءٍ تشتريهَا؟ قال: أبيع قَطيعةَ جَدّي[2] وأشتريها. قال: امرأتُه طالقٌ إنْ كان ملَكَ جدُّكَ قطيعةً إلا قطيعةَ الرحم.

كان مديني يجلسُ على باب مسجد، فيرى الناسَ إذا أذَّنَ المؤذِّنُ يدخلون أرسَالا[3]. فقال: والله لو قال هذا المؤذِّنُ يوماً: حيّ على الزكاةِ، ما جاءَ منكُمْ أحدٌ.

---

(١) كيلجة: مكيال يكتال به. كلمة فارسية.

(٢) القطيعة: ما يقطع من الأرض.

(٣) أرسالا: متتابعين.

وسرق آخر جرةً فأخذوها منه وأرادوا ضربَه، وقالوا: ياعدوَّ الله تسرق جرتَنا؟ فقال: ما هذه جرتكم، وهذه والله عندنا مذ هي كوز!. فضحكوا منه وتركوها له.

مُطِر أهلُ المدينة ستَّ ليالٍ متواليات، حتى كاد أهلُها يغرقون، فقال بعضهم: إن مُطِرنا السابعةَ أصبح أهلُ السماء في مفازة لا يجدون حَسْوَةَ ماء[1].

نزل على مديني أضيافٌ فتسترت امرأتُه منهم وتَخَفَّرَت[2]. فقال لها زوجها: لوددتُ أنَّ في الدنيا عيناً تشتهيك، وأنك أثقلتِ في كلِّ يوم بتوأمَيْن.

نظر مديني إلى قوم يستَسقُون ومعَهُم الصبيان، فقال: ما هؤلاء؟ قالوا: نرجو بهم الإجابةَ. قال: لو كان دعاؤُهم مجاباً لما بقيَ في الأرض معلِّمٌ.

أخذ الطائفُ بعضَهم وهو سكرانُ، فقال: احبسوا الخَبيثَ. فقال: أصلحكَ الله؛ عليَّ يمينٌ بالطلاق ألاَّ أبيتَ بعيداً عن منزلي، فضحك وخلاَّه.

---

(١) حسوة ماء: قليل منه. والمفازة: الصحراء.

(٢) المراد: تحجبت حياء منهم - والخفر: الحياء.

خاصمت مدينيةٌ زوجَها، وكان في خَلَقٍ[1] لا يواريه، فقالت له: غيَّر الله ما بك من نعمة. قال: استجاب الله دعاءك، لعليَّ أصبحُ في ثوبَيْن جديدين.

وصف مديني مغنيِّة بحُسْن الغناء، فقال: والله لو سمعتَها ما أدركتَ ذكاتك[2].

عرَض آخر جاريةً على البيع، فقيل له: هي دقيقةُ الساقين، فقال: تريدونَ تبنونَ على رأسها غرفة؟

سُرِق لآخر دراهمُ، فقيل له: لا تغتمَّ فإنها في ميزانك. فقال: مع الميزان سرقت.

وقال آخر لصاحب منزله: أصلح خشبَ هذا البيت فإنه يتفرقع. فقال: لا تخف، فإنه يسبِّح، فقال: إني أخاف أنْ تدركه الرِّقَّةُ فيسجد.

وأراد المهديُّ أن يتنزهَ بالمدائن، فخرج أشرافُ أهل المدائن، فأوقدُوا النيران والشموعَ، فقال أبو جواليق: قد أذنَ

---

(١) ثوبة خلق: بال قديم.

(٢) ذكاة الحيوان: ذبحه. والمعنى: لو غنتك لصعقك صوتها من جماله.

اللهُ في خرابِ المدائن. قالوا: لم؟ قال: أوقدتُم النيران. الآن تنفرِ حراقاتُ المهدي منها فيأمر بخراب المدائن.

جاء رجل إلى مديني فقال: هل تدلُّني على من يشتري حماري، وكان أجربَ أجْرَدَ[1]، فقال: والله ما أعرفُ من يشتري هذا إلا أن يجيءَ من يطلب من الحمير نَسَمَةً للعتق[2].

غنَّت قينة ومديني حاضرٌ، فقال: يا سيدتي أجدتِ، وما يحضرني ما أُعطيكِ، ولكن قد وهبتُ لكِ كل حسنة لي، وحملتُ عنكِ كلَّ سيئة لكِ. فقام آخرُ فقال: يا سيدتي، ما أعطاكِ شيئاً، وذلك أنه مالكِ سيئةٌ يحملُها عنكِ، ولا له حسنةٌ فيُعْطيكَها.

كان بالمدينة واحدٌ يقُودُ قد أفسد أحداثَها، فاجتمعَ المشايخُ وشكوا ذلكَ إلى والي المدينة، فنفاهُ إلى قُباء[3]، فبعُدت المسافةُ، فكانوا يركبُون حميرَ المُكاريِّن ويصيرُون إلى عندِه، وكثُر ذلك حتى كان الواحدُ يركب حماراً، فيسيرُ حتى

(١) الجرد: عيب في الدواب.

(٢) يريد: عبداً ليعتقه من الرقّ.

(٣) قباء: قرية قرب المدينة بها مساكن بني عمرو بن عوف من الأنصار. يمد ويقصر.

يقف على بابه؛ فاجتمعَ الناسُ إلى واليهم وقالوا: قد أفسدَ أحداثنا وأتلفَ أموالَنا، حتى إن الحمرَ قد عرفت بابَ داره، فتقفُ عنده. فأمر الوالي بإحضاره وأمر بتجريده، وقال: ليس أُريدُ شاهداً عليكَ سوى أن الحميرَ تعرفُ بابَ دارك. قال: فبكى، فقيل له: مِمَّ تبكي؟ قال: من شماتة أهل العراق بنا، يقولون: إنَّ أهلَ المدينة يقبلونَ شهادة الحمير. فضحك الوالي ومن حضره، وخلّوه.

تمنّى آخرُ في منزله فقال: ليت لنا لحماً فنَطْبخَ سكْباجاً.! فما لبثَ أن جاءَ جارٌ له بصَحْفَة، وقال: اغرفُوا لنا فيها قليلَ مرَقٍ. فقال: جيرانُنا يشَمُّون رائحةَ الأماني.

دخل الغاصريُّ على الحسن بن عليٍّ عليه السلام، فقال: إني عصيْتُ رسولَ الله ﷺ. قال: بئسَ ما عملت! كيفَ؟ فقال: إنَّ النبي ﷺ قال: لا يصلُحُ قومٌ ملَكَتْ عليهم امرأةٌ، وقد ملَكَتْ عليَّ امرأتي؛ أمرتني أن أشتري عبداً فاشتريتُهُ فأبَق[1]. فقال رضي الله عنه: اختر إحدى ثلاث، إنْ شئتَ

---

(١) أبق: هرب.

فثمنُ عبدٍ، فقالَ: قفْ هُنَا ولا تتجاوزْ، قد اخترت ذلكَ، فأعطاهُ.

وقعَ واحدٌ منهم فوُثِئَت[1] رجلُه، فجعل الناسُ يدخُلونَ عليه فيسألونه: كيف وقع؟ فأكثرُوا، فضجِرَ وكتب قصتهَ، فكان إذا دخلَ عليه عائدٌ وسأله دفَعَ إليه القصَّةَ.



(١) الوثء: كسر يصيب اللحم دون العظم، ووثئ: أصيب بوثء.



البـاب العاشـر



من نـوادر الطُّفَيْليين والأكلة

قـال بنان الطفـيلي [1] : الجَوْذَاب [2] صـاروجُ المعدَة [3] . اشربْ عليه ما شئتَ .

وقـيل له : كم كـان عـددُ أصـحـاب النبي -ﷺ- يومَ بَدْرٍ؟ قال : ثلاثمائة وثلاثة عشرَ رغيفاً .

وقال : عُصْعُصُ [4] عنزٍ خيرٌ من قِدْرِ باقلَّى [5] .

وقـال آخـر : من احـتـمَى [6] فـهـو على يقينٍ من مكروهِ الجوع ، وفي شك من العافية .

وقال بعضهم : ليس شيء أضر على الضَّيف من أنْ يكونَ صاحبُ البيت شبعان .

---

(١) بنان الطفيلي : هو عبد الله بن عثمان أصله من مرو ، وأقام ببغداد.
(٢) الجواذب : طعام من سكر ورز وجوز ولحم.
(٣) الصاروج : كلمة معربة معناها الأساس.
(٤) العصعص : أصل الذنب.
(٥) الباقلى ، والباقلاء : الفول.
(٦) الحمية : عدم الأكل خوف المرض ، واحتمى : لم يأكل.

قال الأصمعي: كان في البصرة أعرابيٌّ من بني تميم يطفِّلُ على الناسِ، فعاتبتُهُ على ذلكَ، فقال: والله ما بُنيت المنازلُ إلاّ لتُدخَل، ولا وُضِعَ الطعامُ إلاّ ليُؤكَل، وما قدمتُ هديةً فأتوقع رسولا، وما أكرهُ أن أكون ثقلاً ثقيلاً على من أراهُ شحيحاً بخيلاً، أتعمَّم عليه مستأنساً، وأضحكُ إنْ رأيتُه عابساً، فآكل برغمه، وأدعه بغمِّه، وما اخترق اللهوات[1] طعامٌ أطيبُ من طعامٍ لم تنفقِ فيه درهماً، ولم تُعَنِّ إليه خادماً[2].

قال بعضهم: من جلسَ على مائدةٍ، وأكثر كلامَهُ غَشَّ بطنه.

أولَمَ طُفَيلي على ابنته، فأتاه كلُّ طفيليٍّ، فلما رآهُم عرفهم، فرحَّب بهم ثم أدخلَهُم، فرقاهم إلى غرفةٍ بسلم، وأخذ السلَّم حتى فرغَ من إطعامِ الناس، فلما لم يبقَ أحدٌ أنزلَهم وأخرجَهم.

قيل لبعضهم: لِمَ تأكل بخمس أصابع؟ قال: ولِي أكثر منها؟!

---

(١) اللهوات: جمع لهاة، وهي فتحة البلعوم.

(٢) لم تعن: لم تخرج.

نظر طفيليٌّ على مائدة إلى مُلَبَّقَة[1] بيضاء ومُلَبَّقة صفراء، فجعل يأكل البيضاء، فصفعهُ شيخٌ طفيليٌّ كان معهُ على المائدة وقال: لا أمَّ لك، إذا كنت في صناعة فتحذَّق فيها. أما عرفتَ أن الفَرْقَ بينهما الزعفران؟.

أكل هلالُ بن أسْعر[2] جملاً، وامرأته أكلت فصيلاً، فلما ضاجعها لم يصل إليها، فقالت: كيف تصل إليَّ وبيننا بعيران.

كان سعيد بن أسعد إمامَ المسجد الجامع بالبصرة طُفيلياً، فإذا كانت وليمة سبق إليها، فربما بسَط معهم البسط وخدم، فقيل له في ذلك، فقال: إنني أُبادر برد الماء، وصفر القدور، ونشاط الخباز، وخلاء المكان، وغفلة الذباب.

دعا بعضهم واحداً فأقعده إلى نصف النهار، وهو يتوقع المائدة ويتلظَّى جوعاً، فأخذ صاحب المنزل العود وقال: بحياتي أيّ صوت تشتهي؟ قال: صوت المِقْلَى.

كان نقش بنان الطفيلي: ما لكم لا تأكلون؟

---

(١) الملبقة: قطعة الثريد الملين بالدسم.

(٢) هلال بن الأسعر بن خالد المازني: شاعر، كان فارساً عظيم البطش وكان أكولاً. مات بالعراق سنة ١٣٠هـ.

وكان يقول لأصحابه: إذا دخلتم فلا تلتفتوا يميناً ولا شمالاً، وانظروا في وجوه أهل المرأة، وأهل الرجل حتى يقدر هؤلاء أنكم من هؤلاء، وكلموا البوابَ برفقٍ، فإن الرِّفق يُمْنٌ، والخرق شُؤمٌ، وعليكم مع البواب بكلامٍ بين كلامي: الإدلال، والنصيحة.

سمع بعضهم رجلاً يقول: رُوِي في الأخبار أن الدجالَ يخرج في سنة قحطٍ مع جرادق[1] أصفهانية، وملح ذرآنيّ وأنجذانيٌّ سرخسيٍّ[2]. فقال الطفيلي: عافاك الله، والله إنَّ رجلاً يجيءُ، بهذا يستحقُّ أن يُسمع له ويطاع.

صحب طفيليٌّ جماعةً في سفرٍ، ففرضوا على أن يُخرج كل واحد منهم شيئاً للنفقة، فقال كل واحد منهم: علي كذا. فلما بلغوا إلى الطفيلي قال: أنا عليَّ.. وسكت. قالوا له: لم سكتَّ؟ وإيش عليك[3]؟ فقال: لعنةُ اللهُ. فضحكوا وأعفوه من النفقة.

(١) الجرادق: نوع من الخبز – معربة.

(٢) الانجذاني: نبات جيد ملطف لوجع المفاصل. وسرخسي: نسبة إلى سرخس – مدينة بين نيسابور ومرو.

(٣) ايش: كلمة عامية أصلها اي شيء.

قال بعضهم: أفضلُ البقاعِ وخيرُها ثلاثة. قيل: وما هي؟ قال: دكان الرَّواسِ[1]، ودرجةُ الخبَّاز، ومطبخُ الجَوَاد. وأفضل الخشب وخيرَه ثلاثةٌ: سفينةُ نوح، وعصا موسى. ومائدة يؤكل عليها.

مر طفيليٌّ إلى باب عرس، فمُنع من الدخول، فذهب إلى أصحاب الزجاج ورهنَ رهناً، وأخذ عشرةَ أقداح، وجاء وقال للبواب: افتح حتى أدخل هذه الأقداحَ التي طلبوها. فَفَتَح له، ودخل وأكلَ وشرب مع القوم، ثم حمل الأقداحَ، وردّها إلى صاحبها، وقال: لم يرضَوْها، وأخذ رهنَه.

ودخل آخر إلى قوم فقالوا: ما دعوناكَ، فما الذي جاء بك؟ قال: إذا لم تدعُوني ولم أجِيءْ وقعت وحشةٌ، فضحكوا منه وقرّبوه.

وكان ميسرة التَّراس يأكل الكبشَ العظيمَ ومئة رغيف فذُكِرَ أكلُهُ للمهدي، فقال: ادعوا الفيل، فألقوا له رُغُفاً فأكل تسعةً وتسعينَ رغيفاً، فألقوا له تمام المئة فلم يأكُلْهُ، وأكل ميسرة بعد المائة.

---

(١) الرواس لحن، وصحته: الرآس. وهو بائع الرؤوس.

وممَّن قرُبَ عهدُه من الأَكَلَة أبو الحسن بن العلاَّف، وهو ابنُ أبي بكرٍ العلاف الشاعر[1].

ودخل إلى الوزير المهلَّبي[2] يوماً ببغداد، فأنفذ الوزير من أخذ حماره الذي كان يركبه من غلامه، وأُدخل المطبخ وذبح وطبخ لحمه بماء وملح، وقُدِّم إليه وهو يظنُّ أنَّه لحم بقرٍ فأكله كلَّه، فلما خرجَ وطلبَ الحمار قيل له: قد أكلتَه، وعوَّضه الوزيرُ عنه ووصله.

* * *

ألقاب الأطعمة وغيرها على مذهب الطفيليين

الطشت والإبريقُ: بشرٌ وبشير. والخوان: أبو جامع. السُّفْرَةَ: أبو رجاء. الخبز: أبو جابر. اللحمُ: أبو عاصم.

---

(١) ابو الحسن بن علي بن احمد. ولد سنة ٢١٨هـ، وعاش ببغداد، ونادم الخلفاء والوزراء وتوفي سنة ٣١٩هـ. والحسن ابنه كان نديماً للصاحب بن عباد.

(٢) المهلبي: هو الحسن بن محمد، من نسل المهلب بن أبي صفرة، ولد سنة ٢٩١هـ كان وزير السلطان معز الدولة بن بويه، ثم وزير الخليفة المطيع، توفي سنة ٣٥٢هـ.

الملح: أبو عون. القدر: ميمون الزنجي. الغضارة[1]: أم الفرج. الحُوّاري[2]: نجوم الفكة. البقل: زحامٌ بلا منفعة. البيض: بنات نعش. الثريدُ: جبيرُ بن مطعم. الجبن: راشد الخنّاق. الجوز: أبو القعقاع. الزيتون: خنافس الخُوان. الصحناءة[3]: أم البلايا. الباذنجان: قباب ياسر. الكامخُ: عرق الشيطان. البوارد: برائد الخير. البَزْماوَرْد[4]: أبو كامل الطيالسي. السَّنْبُوسَكُ: جامع سفيان. الماء: أبو غياث. الخَردل: أبو كلثوم الجلاد. الدَّجاجة: سمانة القوادة. البطّة: بهادةُ السوسية. الحَمَل: شهيدُ بن شهيد. الجدي: أبو العريان. الرّقاق: أبو الطيالس. التّيّر[5]: وضّاحُ اليمن. الرغيف السميد: أبو بدرٍ. السِّكْبَاج[6]: أم عاصم. المضيرة[7]: أم

(١) الغضارة: وعاء كبير يتخذ من الخزف ونحوه.

(٢) الحوّاري: الدقيق الأبيض، وكل ما بيض من طعام.

(٣) الصحناء: ضرب من الكامخ، إدام يتخذ من السمك الصغار، مشهّ مصلح للمعدة.

(٤) طعام من بيض ولحم. فارسي.

(٥) التير: الجوز يدلك حتى يصير أملس.

(٦) السكباج: طعام يعمل من لحم وخل. معرب سكبا.

(٧) المضيرة: مرقة تطبخ باللبن.

الفضل. الكَشْكِيَّةُ: أُم حفص. الهريسة: أُم الخير. الرأسُ: قيم الحمام. ماء البلاقلاءِ: أبو حاضر. السمكُ: أبو سابح. الأكارع: أبو الخَرْق. الخل: أبو العباس. الفَتِيتُ: أبو نافجٍ. القَنَّبيطِيَّة[1]: دويرة الرومية. المغمومة[2]: المقنَّع الكندي. المريء: أبو مهارش. الزيبة: أبو الأسود الدؤلي. القشمشية[3]: أُم الجمال. المَلَبَّقَة[4]: أُم سهل. الطباهجة[5]: زلزل المغنّي. البقيلة: المشئومة. القلية[6]: الناعِيةَ. المصلّية[7]: أُم بشير. الأرز: أبو الأشهب. النَّرْجسية: أُم الثُّرَيَّا. الجَوْذَابُ: أُم الحُسن. الفالوذج[8]: أبو مضاء. السكر:

---

(١) هي نوع من الحلواء.

(٢) المغمومة والغميمة: لبن يسخن حتى يغلظ قوامه.

(٣) القميشة: طعام من اللبن وبعض الحبوب. والقشمش: نوع من الفاكهة.

(٤) الملبقة: الثريدة إذا كثر سمنها فلانت.

(٥) الطباهجة: كلمة معربة أصلها تباهة، وهو اللحم المشرح المطبوخ، ويسمى أيضاً الكباب.

(٦) القلية: طعام يتخذ من أكباد الجزور ولحومها.

(٧) يجوز أن تكون المصلية: وهو ما يقدم قبل الطعام من مشهيات تشبيهاً لها بالخيل المصلية، ويجوز أن تكون المصلية وهو ما شوي في التنور.

(٨) الفالوذ، والفالوذج: نوع من الحلوى يعمل من الدبق والعسل.

أَبو الطيب. الطبَرْزَد: أَبو شيبة الخوري. الخبيص[1]: أَبو نعيم. اللوزينج: بكير الطرائفي. القائف: قبور الشهداء. الفراريج: بنات المؤذّن. السويق: أُم حبيب. الخلاَل: أَبو البأس. الأشنان والمخلب: منكر ونكير. النبيذ: أَبو غالب. الغُرَابَة[2]: أُم رزين. النُّقْلُ: أَبو تمام. النَّرْجِسْ: أَبو العيناء. السايكسي: أُم فرعون. القدح: أَبو قريب. النَّبيقَة[3]: أُم الفتيان. الصَّراحيَّة[4]: أُم القاسم.



(١) الخبيص: طعام من سمن وتمر ودقيق.

(٢) الغرابة: اللحم الذي تحت الركبة في الساق.

(٣) النبيقة: زمعة الكرم إذا عظمت، والنبقة: دقيق يخرج من لب جذع النخلة حلو يقوى بالدبس، ويجعل نبيذاً.

(٤) الصراحية: آنية الخمر.



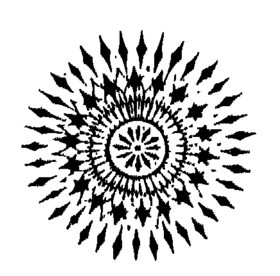
فهرس السفر الأول





٥٠٠٠ ط ١ / ٥ / ١٩٩٧





طبع في مطابع وزارة الثقافة

دمشق ١٩٩٧

سعر النسخة داخل القطر

١٨٥ ل.س

في الأقطار العربية ما يعادل

٣٧٠ ل.س